حين شرعت الجدران بالكلام..!!

تأليف ريما فليحان

إهداء

إلى من تشاركت وإياهم نشوة الحلم و مرارة استلابه ...

إليكم أبناء الشمس وأرواح الهائمين ...

إلى كل تلك الابتسامات التي حرمها الموت من أن تورق شباباً فدفنت في صدور الأمهات وآهات الأباء ...

إلى وطني العالق في الذاكرة النابض كالقلب رغماً عنهم ...

إلى من تشاركت وإياهم الانسلاخ والمرارة أبنائي مازن ومنى ... و شقيقتي كندة ...

ريما فليحان

تقديم وشهادة من الكاتبة والقاصة الأردنية بسمة النسور

حين رحل والدها مبكراً، وضعت طفولتها جانباً. قررت أن تعيشها حين ميسرة، إذ بدا لها آنذاك أن في العمر متسعاً لترف كهذا ! فكبرت الصغيرة على حين فقدان، جرى ذلك في لحظة خاطفة، فجأة وضعتها الحياة في مواجهة مجحفة مع صدمة اليتم والحزن والخسارة. نعم . خسارة الظل والأمان والسند والعزوة بالمعنى القروي الجميل.

قدرعليها التعب والأسى رديفاً لروحها الصلبة العنيدة العصية ولكن شديدة الرهافة فائقة الحساسية صاحبة نفس لوامة تؤرقها بضراوة لمجرد اشتباهها بأنها أساءت لصديق ، وهي لا تفعل سوى التغاضي بنبل شديد وتسامح يثير الغيظ أحيانا عن هفوات الآخرين.

ريما فليحان الطفلة المؤجلة التي رافقت أمها الراحلة في درب آلام جائر حيث المرض والأوجاع المبرحة ، عاشت تفاصيلها يوماً بيوم وعاماً إثرعام إلى أن أفضى بها إلى حجرة باردة نائية في مستشفى دمشقي . غسلت الجسد المغادر بيديها الغضتين كفّنته بما يليق بالحب واللوعة وحرقة الفراق ، كانت برفقة الجثمان المسجى في طريقها الى السويداء ، حيث ودعت هناك وإلى الأبد طفولتها المنهوبة دون وجه حق .

لم يخطرببال ريما يوماً رغم أنها منخرطة بالشأن العام كناشطة حقوقية وكاتبة سيناريو متورطة حتى أخمص روحها بعذابات البشر وأم مهجوسة بتحقيق شروط حياة أفضل لصغيريها .

لم يخطرلها أنها ستتحول إلى معارضة سياسية لها حضورها المؤثر، ويغدو مطلوبا رأسها بتهمة الإنحيازلجوع أطفال درعا ، فتغادربلادها في ليلة ليس فيها ضوء قمرلائذة بحلمها النبيل بسوريا حرة ديمقراطية، علمانية، تعددية.

ومن عمان في منفاها الذي أرادته على مرمى تنهيدة حنين إلى سويداء قلبها وإلى دمشقها الأغلى من تراب الأرض وإلى شامها التي ما غادرت وجدانها لحظة.

صارت وجهاً مألوفاً ومنتظراً ومحبوباً يبث الأمل ويعزز حلم الخلاص في محطات التلفزة العربية والعالمية.

زاولت نشاطها السياسي والإعلامي والإغاثي بمهنية عالية واقتدار كبير وشفافية غير مسبوقة فدوّنت كل فلس تم إنفاقه . انتشلت الكثيرين من شروط عيش مدقع أمنت لهم الغذاء والدواء والدفء الذي عز في ليالي مخيم الزعتري الطويلة الباردة، لم يسمع بها أحد حين انزلقت قدمها وسقطت عن سقف شاحنة في قلب الزعتري الغارق في بياض موحش توزع بيدها الأغطية على جموع اللاجئين المرتعدة أوصال صغارهم برداً ، فتأذى ظهرها وكان ينبغي لها أن تتوقف . غير أنها لم تفعل رغم إلحاح الجميع وظلت حتى مطلع الفجر تقوم بعملها ، فعلت ذلك بصمت نبيل حزين في الوقت الذي كان البعض يلهون بكرات الثلج في مناطق عمان الفاخرة ويجتهدون في اختيار كسوة رجل الثلج كي لا يتعرض للذوبان السريع !

تعالت على جراحها الكثيرة وصمدت في مواجهة محاولات التشكيك والاغتيال الشخصي وقدمت حين اتيح لها ما عجزت عنه مؤسسات دولية مكرسة.

أدركت ربما بذكائها الحاد وفطرتها النقية مقدار الوحل الذي غاص فيه كثيرون، ودارت خيبتها بأشخاص توهمتهم أكثر صدقاً وشجاعة، وآخرين مغرمين باللون الرمادي وقفوا في اللحظة الحاسمة بمنطقة ما بين بين بانتظار حسم المعركة.

شأن كل الشرفاء احتملت هذه الشهيدة الحية بشجاعة عز نظيرها أذية وظلم نظام البطش والأجرام الذي سخر أدواته دون نجاح كبير للنيل من سمعتها انطلاقاً من حقيقة استحالة تغطية الشمس بغربال.

غير أن ما جرح روحها في العمق وترك بصمة أسى غير قابلة للزوال فقد كان ظلم ذوي القربى وهو الأكثر إيغالا في الروح .

ورغم ذلك حاولت بكل طاقتها التصدي والمضي في تلك الدرب الشائكة الحافلة بالمطبات

أتحدث كشاهدة عيان شاءت الأقدار أن أقف على تفاصيل يومية كثيرة ، ولأن فليحان نزيهة وحالمة أكثر مما ينبغي لم تحتمل كل تلك البذاءات، فآثرت التمسك بالحلم النبيل ونأت بنفسها عن كل ذلك الضجيج .

وفي مرحلة التأمل والتقاط الأنفاس التفتت نحو الوراء ، انتبهت إلى خزان الذاكرة المكتظ بالصور وكان لا بد لها التخفف منه ، لدى ربما ما تقوله . وهو جدير بالالتفات إليه لأن تجربتها شديدة

الخصوصية ولسوف تصحبنا على مدى الصفحات المقبلة إلى بوح عفوي حميم موجع وأصيل وصادم أحيانا ، منذ تلك اللحظة الخارقة المدهشة الخارجة عن إيقاع الزمن الرتيب، حين شرعت الجدران في الكلام وانفلتت الكلمات الحبيسة في الصدور فاحتشدت بها سماء سوريا الحرة الأبية التي في البال.

مذكرات ريما فليحان تلخيص فادح لسيرة الحلم والأمل والوجع والبطولة والشجاعة والصمود والتضحيات الكثيرة.

إنها باختصارصرخة شاهقة للحق الذي لن يضيع .

بسمة النسور- عمان 2014/6/29

مقدمة

كان يجب أن أخرج كل شيء من رأسي على الورق لأضعه أمامي وأحدق فيه ملياً مرة أخرى..

ثلاث سنوات لا تقاس بالدقائق والساعات الزمنية المعهودة، لأنها ترتبط بذاكرة إعصار..

أحدق في جسد وطن يئن أمام عجزي وتضارب مشاعري فأشعربالاحتراق .. وأبحث عن حلمي وبقايا البلاد، ضمن ما تبقى من أهداب ثورة صارت خارج التغطية بفعل تراكم الدماء..

غدربنا الجميع وقتل بعضنا بعضاً وجاءت الغيلان من كل مكان لتسرق ما تبقى لنا من بقايا أحلام وترفع أعلامها الغريبة فوق الجماجم.

وصنع المجرم حملته الانتخابية وأقيمت " الأعراس الوطنية " لتجديد إستبعاث الديكتاتور فوق الدماء وأنقاض أمل في التغييرما زال يستشعرالنبض في ثورة مولودة موؤودة بأيدي الغدروالأنانية والقتل .. وأبحث تحت غبارالركام عما تبقى .. وتسقط البراميل لتفجركل شيء حتى الاطفال .. !

في وطني حرب بالوكالة يشنها الجميع ضد الجميع وينتصرفيها الموت ويخسرفيها كل السوريون ..

بين كل هذا وذاك تطحننا رحى لا نعلم من يمسك بذراعها، وتسحن عظامنا تحت وطأة الدوران وخلط الأوراق في هذا العالم المجنون ..

كان يجب أن أستدعي الصوت والصورة من عمق الذاكرة المتعبة .. فحلمي الضائع كان أبيضَ كلون الغيوم، ومازلت أبحث عن المطر بالرغم من كل هذا السعار الذي يفترس كل شيء ...

من أجل كل هذا تخرج صوري وحكاياي على الورق ضمن هذا الكتاب ..

لحظة الانسلاخ -

صوت انسلاخ الروح عن الجسد، كان التعبير الآني لرئتي اللتين أصدرتا صفيراً غاضباً في أزمة ربو اسقطتني على الفور إلى الجانب الأردني وأدخلتني مباشرة في الشريط الشائك الذي أمسك بقدمي في محاولة أخيرة لتجميد اللحظات التي رافقت الخروج المكلوم من سوريا ..

على قمة ذلك الساتر الترابي كانت نهاية العالم. خلفه يئن وطن غادرته عنوة وأمامه مستقبل مجهول تحيط به العتمة، ضمن ما يمكن تسميته رحلة اللجوء إلى بلدان الجوار..

كانت تلك اللحظات التي رافقت هربي من سوريا بعيداً عن أعين المخابرات الجوية، وكانت تلك اللحظات هي التي حولتني بقدر صخبها إلى لاجئة مجهولة المصير والمكان . ككثير من أبناء وطني الخارجين المتعبين الهاربين من عيون المخابرات الوقحة التي أرادت دائما أن تقتحم عشقنا الممنوع للحرية والذي خرج إلى الحياة كمارد عملاق من رحم الأمل والألم ..

ولدت فيزيولوجيا في حلب ورافقت سنوات عمري الأولى مراحل كثيرة عبرت من حلب منها إلى دمشق ثم إلى السويداء محافظتي التي أنحدر منها . وبين هذه المدن الثلاث تعلمت الألم والصمت والعض على الجراح كما أنني تعلمت أيضا أن أضمد جروح الاخرين في محاولة يائسة لفعل شيء في مواجهة وحش بشع يسمى الظلم..

ولكن هذا لم يكن كافياً فوجود الهواء لا يعني أبداً أن الاوكسجين كان كافياً ..

طوال أعوام الارتقاء بالنمو نحو الوعي جثم على صدري صمت مطبق يشبه إلى حد كبير ذلك الهدوء الذي اختزنته ذاكرتي في تجربتي الجنينية..

أن تعيش في العتمة تسعة اشهر كاملة بحيث لا يكون لك الخيار إلا في النمو والحصول على ما يُختار لك فقط ، تجربة يحق لنا أن نتذكرها وأعتقد أن هذا الصمت هو السبب المباشر لشهقاتنا وصرخاتنا الأولى والتي تعلن للعالم أننا وصلنا .. ها نحن هنا وقد مللنا الصمت و سنحيا...!!

فشلت دائماً في استعادة تلك الذاكرة كما فشل الآخرون على ما أعتقد.. إلا أنني نجحت فعليا في الحصول على كل المشاعر التي رافقت ولادتي الجديدة في شهر نيسان من عام 2011 حين دخل الكثير من الاوكسجين إلى صدري وصرخت بأعلى الصوت لأنطق كلمتي الأولى فعلياً... حرية .. حرية .. حرية..

في ذلك اليوم اجتاحت السيالات العصبية كل المسامات والأحاسيس في حالة من النشوة المقدسة التي أعلنت من خلالها ككل المولودين المعمدين بالكبرياء أننا هنا ولدنا ووجدنا لنقول ولتحطم أصواتنا أسوار السجون والأقبية وظلام القبور السرية وأعواد المشانق ..

في سوريا ولدنا من جديد ورأينا ذلك الفجر المعمد بدمائنا يخرج من رحم الصمت ، هو لنا ونحن له أيضاً. ومن أجل هذا فإننا سنحارب كل جيوش الظلام ، من أجل هذا لن نسمح لأحد بسرقة الحلم منا مجدداً وسرقة القمر الوليد على أكفان مسجاة بأعلامنا الهادرة فوق سيول من الهامات...

منذ خرجت من وطني في 2011/9/25 وأنا أبحث عن ملامح...

ملامح الشارع المسجى بغبار أقدامهم..

ملامح العجوز المتكئ على ناصية الباب في حواري الميدان في رحلة عبوري إلى الطفولة...

ملامح البازلت الأسود الذي قفزت فوقه كالماعز طفلة في مدينتي السويداء..

ملامح الأصدقاء وأصوات القهقهات.

ملامح بائع الفول والخضار في آخر الحارة في حي الميدان الدمشقي قبل ان أرحل..

رائحة القهوة والعرانيس في الأسواق الشعبية ..

ملامح ... ملامح .. ملامح

وطن أو ما تبقى منه..

ثورة وحلم.. ولدت وتنازعتها الأيدي لتغير من ملامحها..

ملامح وجه أمي .. وطني.. وأصدقائي..

هي كل ما بحثت عنه طوال الأعوام الثلاثة التي مضت...

عبثاً بحثت عنها خارج طيف الطاقة المرتبطة بالحياة في جسدي المتعب ..

ودائماً كانت تنتهي رحلة بحثي الشاقة خلف المقل في ظلام الليل البارد حيث أهرب من البرد الى البرد ومن الحياة إلى الحياة ..

ترقب -

لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسية جديدة..

عبارة قالها حسني مبارك في خطابه الأخير لشعب مصر..

أن تسمع في هذه البلاد المحكومة بالطغيان مثل تلك العبارة فهذا يعني أن هناك شيء قد تغير في تاريخ المنطقة...

فالجمهوريات في بلادنا هي كذبة تم اختراعها لتكرس في الواقع الاستحواذ على السلطة وتوريثها الآباء فالأبناء ..

وباتوا هم أنفسهم لا يصدقون ليقول أحدهم من أنتم ؟؟ ويقول الآخر فاتكم القطار..!!

لم يفهم هؤلاء ما فهمه "بن علي" مستدركاً سنوات طوال من التغاضي :

" لقد فهمتكم" فاستقل طائرته وغادر...

إنها أبدية الديكتاتور واستمرار حكم المخابرات .. بحيث يصبح خبر وفاة أي زعيم أو رحيله "تماما" أمراً لا يصدق ..

حين توفي حافظ الأسد في العاشر من حزيران من عام 2000 كان شبه مستحيل بالنسبة لي أن أصدق..!

أذكر تماماً ما حصل في ذلك اليوم .. كنت وحدي في البيت ، ولم يكن التلفاز مضاء كالعادة ، رن جرس الهاتف وكانت صديقة تحاول ربما معرفة ردة فعلي وإن كان الخبر قد وصلني..

تحدثت إليها بشكل اعتيادي وكانت مرتبكة تماماً حين أدركت أنني لم أعلم بعد ، وهذا يعني أنه من الواجب عليها إعلامي دون أن تقع في فخ التنصت على المكالمات ودون أن تبدي أي ردة فعل قد تتسبب لها بمشاكل هي بالغنى عنها..

قالت لي : ربما هل شاهدت التلفاز اليوم ، فقلت لها لا ..

فقالت ما رأيك أن تفتحيه.. وداعاً.. أغلقت السماعة.. شعرت بغرابة الموقف توجهت إلى لتلفاز كان القرآن يتلى على التلفزيون السوري استهجنت الامر.. لم أفهم وشعرت بأن هناك أمراً ما .. لحظات استدركت.. ظهر الخبر الذي أعلن شيئاً كان من الصعب علي تصديقه.. حافظ الأسد مات..

تجمدت للحظات .. ثم انتابتني نوبة من الضحك.. ضحكت مطولاً..

أتعلمون لماذا؟ لم أعرف أبداً رئيساً لسوريا منذ ولدت الا حافظ الأسد ..

أجبرت طوال وجودي في المدرسة على ترديد شعار إلى الأبد إلى الأبد يا حافظ الأسد.. رأيت تلك العبارة في كل الشوراع طوال حياتي..

صورة حافظ الأسد لاحقتني على دفاتر المدرسة والكتب.. على شهادات نهاية العام الدراسي .. على التلفاز.. في الساحات العامة.. في كل مكان..

لم أصدق أنه مات .. لم أكن أتخيل أنه كان رجلاً يمكن أن يموت .

فالموت دائماً كان من نصيبنا.. نحن.. الشعب.. فالزعماء لا يموتون..

في ذلك اليوم ضحكت كثيراً ورددت مراراً.. يالله .. حافظ الأسد "طلع بيموت".. مات.. !!!!

وبالرغم من أن الضحك عند سماع خبروفاة أي مخلوق قد يكون مخلاً باللباقة الاجتماعية أو بالحالة الشعورية التي يجب أن تعتري الإنسان الطبيعي في هذه الحالات.. إلا أن فكرة موت "الأبدية " كانت غريبةً فعلا وتستدعي الضحك.. فالطغاة يفكرون في كل شيء إلا أنهم ربما يموتون... !

هكذا ظننت وربما كان هذا هو سبب ضحكي الذي ما لبث أن تحول إلى بكاء حين تم تعديل الدستور السوري في ثلث ساعة ليكون بإمكان ابن الديكتاتور الترشح للرئاسة ، حيث كان سنة أقل من السن المحددة في الدستور، ضمن مسرحية هزلية كان أبطالها أعضاء مجلس الشعب في ترداد كورالي لكلمة "موافق على التعديل"..

وصل بشار الأسد إلى السلطة وورثها .. وأجبرنا على الخروج إلى الشوارع لنهلل لقدوم الأمل.. هكذا أجبرنا كسوريين على حمل لافتات كتب عليها أنت الامل في تهليل وترحيب بالقائد الجديد للبلاد..

لا يمكن أن تختبر بنفسك شعور أن تكون " لاشيء " تماما لا شيء . إلا حين تجبرك المخابرات والتنظيمات الحزبية على أن تخرج بمسيرات تأييد دون أن يكون لك حق الرفض أو الاعتراض ..

هكذا وصل بشار الأسد إلى السلطة وهكذا امتلأت الشوارع من جديد بصور الرئيس الشاب إلى جانب الأب وشقيق بشار المسمى ماهر..

في إيحاء غريب لإستمرار العائلة حتى ما بعد بشار..

إنه تماما ما يمكن وصفه بالعار..

لقد كانت أحلام معظم السوريين تتجسد في طوق نجاة فردي يؤمن لهم رغيف الخبز وبيت يتمكنون من دفع إيجاره وربما في آخر العمر بيت يمتلكونه..

أما السيارة فكانت حلم الطموحين فقط..

ليس من حق أطفالنا أن يحلموا بأن يكونوا رؤساء .. لأنه حلم خاص بأبناء الرؤساء فقط..

وكان يجب علينا أن نكون حذرين في أن تتمادى أحلام أطفالنا بأبعد من الغد..

فما بعد غد سيؤمنه الزعيم الفذ والقائد الملهم بحكمته البالغه فهو من يقود المسيرة ونحن من يجب أن يصفق..!!!

وبمناسبة الحديث عن التصفيق أود أن أعبر عن مدى كرهي له كفعل مرتبط بذاكرة السوريين بمجلس الشعب، و الذي كانت مهمته الموافقة والتصفيق.. فالتصفيق في بلادنا هو مؤشر مطلوب على المستوى الوطني لتقييم الميول السياسية !

المواطن الصالح هو من يصفق في كل الاحتفالات الرسمية والمسيرات وربما في البيت..!!

وبالرغم من رحيل الأسد الأب إلا أن سياسته الأمنية استمرت كنهج قائم حيث سيطرت على كل مرافق الحياة وثبتت حكم الابن بوقاحة لا توصف ..

في بلادي .. هناك خوف.. صمت..و شلل ..

حالة هزلية من السيطرة الأمنية على كل شيء..

إن تطلق نكتة يرد فيها اسم الرئيس فهذا يعني أنك ستقضي سنوات طويلة كمعتقل..

إن تفتح محل فلافل صغير فهذا يعني أنك تحتاج لترخيص من المخابرات

إن أردت أن تقيم عرساً في صالة أفراح فهذا يعني أنك تحتاج لموافقة أمنية

وبالتالي لن يكون صعباً على القارئ أن يتخيل حجم التكاليف المترتبة على أي مواطن يفكر فيما يتعدى ذلك.. !!

لقد امتد صدى صراخ المصريين والتونسيين ليهز قلوبنا ..

كنا معهم نشاركهم الصراخ والألم والأمل.. بكينا معهم وفرحنا معهم واهتزت ضمائرنا لما كان يلم بهم.. ليس فقط لأننا تشاركنا وإياهم الإحساس بالظلم تاريخياً..

بل لأننا كنا نتخيل أنفسنا مكانهم تماماً ، نعيش أحلام اليقظة التي كنا نريد لها أن تولد في بلادنا وميادينناتماماً كما كان يحصل لديهم..

اليوم قالها حسني مبارك.. قالها ، وللمرة الأولى أسمع تلك العبارة من زعيم عربي .. عبارة يعلن فيها للملأ أنه لم "يكن ينتوي الترشح لولاية رئاسية جديدة "...

حالة لا تصدق.. كانت توحي أنه قد يرحل ورحيل الزعماء في جمهوريات الديكتاتورية أمر لايصدق..

تذكرت حالاً ذلك الرجل التونسي على شاشات التلفاز يصرخ كالمجنون وحده في شارع فارغ ليلاً .. بن علي هرب .. بن علي هرب..!

حين رأيته للمرة الأولى شاركته الصراخ والبكاء والأمل..

أغمضت عيني مراراً لأتخيل نفسي في الشارع الموازي لبيتي.. أصرخ مثله كمجنونة .. الأسد هرب .. الأسد هرب.... لتصفعني عبارة تخرجني سحلاً من حلم اليقظة الجميل ذاك..

عبارة قالها بشار في مقابلة تلفزيونية : ما يحصل في هذه الدول لن يحصل لدينا.. !

ومع هذا يمكنني ان أقول : نعم لقد كنا في حالة ترقب.. !

الشعب السوري ما بينذل

كنت أفكر دائماً في إمكانية الدخول إلى صفحة الثورة السورية ضد بشار الأسد دون أن تلتقطني أساليب المراقبة التي عرفت عن المخابرات السورية...

استجمعت قواي مرة بعد مرة.. حاولت إزالة هذه الفكرة من رأسي ونجحت..

ولدت لدينا صفحة .. صفحة تدعو السوريين للثورة ضد بشار الاسد..

في مكتبي الكائن في الشعلان حضر العديد من الأصدقاء .. كنا نتحدث بما يشبه الهمس عما يحصل في مصر ونختبر النظرات وما وراءها..

هل نحن جاهزون..؟؟

هل سننزل إلى الميادين ؟؟

كان حديثنا اليومي.. وبات الصوت يرتفع قليلاً قليلاً مع تسارع الأحداث في كل مكان..

صوتنا لم يعد همساً ..

سألت صديقتي الزائرة بثقة :

بتنزلي إذا طلعوا الناس عنا.. بتنزلي.. ؟؟

صمتت لبرهة .. نظرت في كل أرجاء الغرفة ثم حدقت بي وانفجرت ضاحكةً..

لما بيصيروا بالميدان بنزل موقبل ربما .. !!!

ضحكنا معاً.. !! ثم صمتنا معا لأفكر في عبارتها التي لم ترضي ما أصبو إليه نوعاً ما..

لقد كنت بحاجة لاختبار.. اختبار شجاعة.. وجواب صريح على سؤال مفاده هل سأتمكن من النزول إلى الشارع؟.

وجاءت تلك اللحظة دونما تخطيط..

حصلت حادثة الجمل ضمن أحداث ثورة مصر وكانت حادثة مريعة اعتراني إثرها كما الكثيرين الغضب العارم..

كنت أريد النزول إلى الشارع .. أريد ان أصرخ وكأنني في ميدان التحرير معهم..

في ذلك اليوم جاءت ضحى إلى المكتب.. كانت ضحى الصحفية الشابة اليافعة والتي تصغرني بسنوات مليئة بالحماس وكنت أرى في عينها الكثير من الألق.. كنت أرى في عينها بذور ثورة لطالما حلمت بها..

قالت لي سننزل إلى الشارع أمام السفارة المصرية اليوم.. تنزلي.. ؟

كان اختبار حقيقي لكل ما كنت أفكر به طوال الشهرين الماضيين.. في سوريا النزول إلى الشارع يعني تحدي الأمن حتى وإن لم يكن سببه الاعتراض المباشر على النظام..

دقائق قليلة فصلتني عن الإجابة .. استجمعت فيه كل تلك الثرثرة التي كانت تجول في داخلي حول الثورة والغضب وما يحصل في كل مكان وكنت أضع نفسي على محك أخلاقي حقيقي..

محك أخلاقي دفعني للإجابة بنعم..

ابتسمت وغادرت.. جلست على الكرسي أفكر في جوابي.. خفق قلبي بطريقة غريبة.. طريقة لم أعهدها من قبل.. هو ليس خوف خالص لأنه ممزوج بالحماس أيضاً.. وحين يمتزج الخوف بالحماس يولد الجنون..

في المساء حضرت سمر يزبك.. صديقتي الكاتبة التي كانت تنوي الخروج إلى الاعتصام أيضاً..

شحذت همتي وخرجنا وتوجهنا مع ضحى إلى كفرسوسة حيث السفارة المصرية.. على الطريق مررنا أمام أفرع الأمن الجاثمة كشواهد قبور باردة في تلك المنطقة الحيوية في دمشق.. كانت الباصات الواقفة أمامها تمتلئ بعناصر الأمن المدججين .. أدركنا حينها أنهم مدعوون إلى نفس الحدث بطريقة أخرى.. ارتجف جسدي.. وارتفع صوت الخوف في داخلي... ولكنني قررت المضي إلى الأمام..

وصلنا إلى المكان وفصلتنا عن السفارة عشرات الأمتار بفعل حاجز أمني ..

مئات العناصر الأمنية كانت بانتظارنا وكنا لا نتجاوز العشرات..

اكتشفت حينها أنني أعرف معظم من حضروا شخصياً أو بالاسم .. معظم من حضر كان من فئة المثقفين والشباب الناشطين وكنا نعيش لحظة الاختبار ذاتها..

كما كانت القوى الأمنية تعيش حالة الاختبار تلك ولكن من الطرف المقابل...

عملياً كنا محاصرين من ثلاث جهات . وكان على رأس المجموعة الأمنية عقيد.. طلب منا المغادرة فرفضنا، وكان يتجمع خلفه عناصر الأمن المدججين بأدوات مكافحة الشغب مع أننا لم نكن مشاغبين كنا فقط نحمل الشموع..

أوقدنا الشموع وحملنا اللافتات.. وبدأنا بالغناء.. جميل أن يخالط الخوف الغناء فحين يخالط الخوف الغناء تولد الشجاعة..

مصر يامه يا بهيه يا ام طرحه و جلابيه الزمن شاب وانتِ شابة هو رايح و انتِ جاية ...

اختفت وجوههم ولم أعد ألمح هامات الأمن المتحفزين من حولنا .. لحظات استطاعت فيها أضواء الشموع الخافتة أن تدفئ القلوب وتوحدها مع عبارات الاغاني القادمة من النيل لتستثير بردى..

وفي لحظة مباغتة هتف أحد الشبان هبي يا رياح التغيير.. فهبت جموع الأمن الغفيرة بالهجوم علينا.. وانتهى الاعتصام بالهرب..

لكن تلك اللحظات كانت كافية لتهمس في أعماقي بجملة كنت بحاجة الى سماعها..

سننزل الى الشارع..

في 17 /2011/2 وأثناء وجودي في مكتبي ..صعدت زميلتي بالعمل تضحك.. قالت لي جملة واحدة انهمرنا بعدها بالبكاء سويا..

قالت لي نزلوا .. مظاهرة بالحريقة.. بكينا.. لم نصدق... بحثنا على الفيس بوك.. وجدنا الرابط.. في وطن سلبت إرادة شعبه لسنوات ليس حدثاً عادياً أن تنتفض للكرامة..

ليس حدثاً عادياً أن تحيا بعد موت سريري كتب لك بأيدي الطغاة القذرة طوال أربعين عاماً...

ليس سهلاً أن يصرخ السوريين في وسط دمشق رداً على صفع شرطي مرور لرجل في الحريقة :

الشعب السوري ما بينذل..

الشعب السوري ما بينذل ..

قبل شهرين فقط حين تعطلت سيارتي و اضطررت لأخذ سيارة تكسي وأمام روتانا تحديداً عبوراً من أبو رمانة باتجاه الحلبوني، توقفت سيارة هامر كبيرة أمام سيارة الأجرة التي كنت أستقلها .. كان سائق التكسي رجلاً هرماً استفزه مسير سيارة الهامر بعكس السير ووقوفها أمام السيارة فضرب الزمور بغضب.. نزل الشاب سائق الهامر بغضب وتقدم باتجاه الرجل الذي تسمر مترقباً خائفاً وثبت يديه على المقود.. تجمدت في المقعد الخلفي وكنت أحدق في الشاب الملتحي قليلاً الذي يقترب باتجاه السيارة كثور غاضب.. حاولت تذكر ملامحه التي بدت مألوفةً نوعا ما..

أدخل يديه من شباك التكسي وأمسك برأس الرجل وبدأ بضربه والصراخ ، عم تزمرلي يا كر... ولك أنا ماهر الاسد يا حيوان ...

وضع يده على المسدس.. ثم لمح ارتجافي في المقعد الخلفي.. أدخل رأسه من الشباك وحدق بي ثم قال للرجل.. لولا هالست يلي معك كنت شفت ياحيوان..

غادر وصعد إلى سيارته وانطلق كالمجنون بينما انهمرت دموع الرجل ودموعي معا...

لم أكن متأكدة إن كان فعلا ماهر الاسد مع أنه يشبه صوره المعلقة في كل مكان..

لكن ما تأكدت منه في تلك اللحظة أن ما خسره هذا الرجل المسكين بهذه الضربات لا يشبه أي خسارة..

الشعب السوري ما بينذل...

قبل 28 عاماً اضطررت أنا الطفلة إلى أن أقف مراراً ضمن أرتال لا تنتهي من الكبار رافعةً بيدي دفتر العائلة، لعل المختار يلمحني بين كل هؤلاء ويختم لي الدفتر للحصول على علبة سمن وعلبة محارم.

كان هذا في الثمانينات وكان والدي قد توفي وكنت مضطرة لأقوم بأعمال الرجال في بعض الاحيان ..

الحصول على علبة من السمن كان يتطلب نهاراً كاملاً ...وكذلك ربطة الخبز، والسكر والمحارم.. كانت هامات الرجال في تلك الفترة خالية من الروح وكان شحوبهم يخيفني..

نفس الوجوه كنت ألمحها مراراً ضمن أرتال الناخبين المسوقين حين تجديد البيعة حيث تسحب أصابعهم لتثقب بدبوس ليبصموا بالدم للقائد الخالد حافظ الاسد!!!

وجوه الغاضبين في الحريقة اليوم كانت تصرخ بالحياة هم كانوا يصرخون الشعب السوري مابينذل..

لربما عادت إليهم الروح..!

<u>حين شرعت الجدران بالكلام..!! –</u>

أخيرا بدأت الجدران بالكلام.. خرجت عن طور الصمت الأزلي لتقول "جاييك الدور يا دكتور" في التل وحرستا ودوما وفي عدد من المناطق في سوريا...

شاركت أثناء ذلك باعتصامات عديدة أمام السفارة المصرية والليبية بعد أن انضم الليبيون إلى الربيع العربي، كما شاركت في وقفة أمام قصر العدل للمطالبة بالمعتقلين الذي اعتقلهم النظام في وقفة أخرى كانوا قد خرجوا بها أمام وزارة الداخلية قام بها نشطاء وسياسيون للمطالبة بمعتقلي الرأي..

كانت الأعداد قليلة نوعاً ما، إلا أنها كانت تعبر بحق عن إرهاصات ولادة مارد عملاق سيسمى فيما بعد بالثورة السورية..

في 2011/3/15 خرجت أول مظاهرة في دمشق ضد النظام بسوق الحميدية بعنوان الثورة وهتف السوريون الله سوريا حرية وبس.. ووينك يا سوري وينك!

وحين يقول السوريون في أول هتافات الثورة حرية وبس.. أي حرية فقط فهذا يعني أنهم سئموا تماماً من ربط سوريا بالأسد.. وأنه لم يعد يعنيهم إلا الوطن وحريتهم .. هذا يعني أنهم قالوا للنظام الديكتاتوري كفى..

حتى حين ذكر السوريون لفظ الجلالة بالهتاف كان خروجاً عن المسموح.

لطالما قمع النظام السوري أي هتاف لا يشمل القائد حتى ولو كان الله..

وبعيداً عن كونك مؤمناً أو لا .. فإن هذا الهتاف يعني تماماً أن جداراً ضخماً من الخوف قد انهاروأن السوريين قد اتخذوا القرار..

صرخوا أيضا في ذلك اليوم وينك يا سوري وينك.. وفي هذا الهتاف بحث السوريين عن أنفسهم بعد كل هذا الرقاد، لقد نهض التونسيون والمصريون وكنا بانتظارنهوضنا.... إنها استنهاضة للهمم .. استنهاضة للكرامة .. وبعث للحياة بعد صلب طويل للكرامة والحرية والروح الوثابة ..

لكن أبلغ الكلام كان ما قالته جدران درعا حين خط أطفالها تلك العبارات فزُجوا بالسجون وقُلعت أظافرهم..

خرج أبناء درعا بتظاهرات شعبية واسعة في يوم 2011/3/18 واشتعلت شرارة الثورة بانتفاضة أهل درعا..

لقد أدركت تماماً بعد أن صرخ السوريون بهتافاتهم تلك أننا دخلنا عهداً جديداً، وأن سوريا قبل 2011/3/15 ليست أبداً كسوريا بعد هذا التاريخ..

استجابت حمص وبانياس واللاذقية وريف دمشق لنداء الفزعة، وبدأت المظاهرات بالخروج في كل تلك الأماكن.. وقرر النظام مواجهة ذلك بالعنف والاعتقال وإطلاق الرصاص الحي بدلاً من تلبية مطالب إصلاحية كانت ستكفي لتهدئة السوريين..

كان كافياً لأهل درعا في بداية الأمرمعاقبة عاطف نجيب المسؤول عن فرع الامن الذي اعتقل الأطفال وأهان الرجال وتعرض بالقول للنساء... كان كافياً لهم زيارة تعزية من بشارالاسد لعوائل من قتلهم الجيش والأمن بالمواجهات.. لكن بشارالأسد قرر بدلاً من ذلك الخروج على مجلس الشعب بخطاب استفزازي سخربه من كل ما حدث وضحك على دماء الناس ...

تفاصيل تاريخية ثورية لا بد منها

استولى الفيس بوك على يوميات السوريين منذ بدأت الثورة، وبعيداً عن إيماننا بقدرة هذا النظام على التأثير، إلا أنه فعلاً شكل مع بداية الثورة انعكاساً للآراء المختلفة حول ما يحصل في سوريا..

بعيد أولى المظاهرات التي خرجت، والتي أعلنت ولادة الثورة، بدأت مع مجموعة من الأصدقاء والصديقات تكثيف اللقاءات والتنسيق للمشاركة في المظاهرات التي تخرج في دمشق، والتواصل مع النشطاء الذين بدأوا بتشكيل ما سمي بالتنسيقات لاحقاً.. شهدت المظاهرات اعتقالات واسعة وعنفاً

بالغاً حيث ساقت الدولة الشبيحة المدججين بالسلاح الأبيض والعصي لمواجهة المتظاهرين.. وأطلق الأمن الرصاص في عدد من المظاهرات..

اعتقلت ضحى مرتين خلال شهر واحد، واعتقل كثير من الشبان ممن أعرفهم.. وخرجوا ليحدثونا عن تجربتهم المريرة داخل الاعتقال..

كنت أترقب تحرك محافظتي التي أنتمي اليها. وهي السويداء المدينة ذات المكون الدرزي بأغلبيته ، حيث كنت أتوقع أن يكون لهذه المحافظة تحرك واسع ومشاركة كبيرة في الثورة، وهذا ما لم يحدث كما كنت آمل على الاقل بنفس الحجم والمستوى..

فالسويداء التي عانت من اضطهاد النظام طوال حكم الأسد الأب والابن عبر اتباع سياسة التفقير والإهمال والتشديد الأمني، وهي السياسة التي أدت إلى هجرة الكثير من أبنائها الشباب إلى دول الإغتراب عبر العالم . كانت تشكل إحدى أهم المناطق التي شارك كثير من أبنائها في المعارضة مبكراً عبر حزب العمل الشيوعي في الثمانينات والأحزاب الممنوعة الأخرى أو عبر إعلان دمشق لاحقاً ..

بدأت السويداء بتحرك ثوري سلمي في 2011/3/25 عبر اعتصام دام لعشرة أيام امام مبنى المحافظة الحكومي تضامناً مع أهالي درعا، المحافظة الجارة التي بدأ النظام بحصارها حصاراً خانقاً بعد اندلاع الانتفاضة الشعبية فيها..

كما قامت نقابة المحامين في السويداء بأول اعتصام ينتقد أسلوب النظام في التعاطي مع أحداث الثورة في نفس المرحلة تقريباً، وخرجوا ببيان جريء رداً على التداعيات الجارية في البلاد..

ومع هذا فالسويداء لم تتحرك بشكل واسع بما يتناغم مع الحراك الشعبي المتنامي في حمص وبانياس ودمشق وريف دمشق ..

كان هذا يؤرقني فعلاً فمشهد السويداء الثائرة الذي سبق وشهدته في العام 2000 مع بداية حكم بشار الأسد للبلاد كان مذهلاً بكثافته وتعاضد الناس به.

يومها امتلأت الشوارع بالشبان والأهالي وحتى طلاب المدارس، لقد خرجوا متظاهرين انتقاداً للسياسة التي تتبعها الدولة ضد المزارعين، حيث تتيح للرعيان من بعض البدو إنتهاك تلك الأراضي الزراعية بالرغم من الشكاوى المتكررة للمحافظة دون أي رد أو تجاوب .. وكان آخر انتهاك أدى لهذه التظاهرات قيام المدعو سعود السعيد وهو أحد زعماء البدو في قرية الرحى بإطلاق النار على الشاب فادي الأعوج وهو طالب في الثانوية ما أدى إلى مقتله وكانت تلك الحادثة السبب المباشر لمظاهرات استمرت لأيام..

علماً بأن القاتل سعود السعيد كان على صلة وثيقة برئيس فرع الامن العسكري في السويداء والمحافظ .

خرج الناس إلى الشوارع وحملوا جثمان فادي الأعوج ، وبدأوا بالهتاف لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله! ساعات فقط وامتدت المظاهرات من قرية الرحى لتشمل معظم المحافظة ، وكان نتيجة هذا نزول قوات الأمن والجيش إلى الشوارع، والبدء بإطلاق النار على المتظاهرين السلميين وقتل العشرات منهم واعتقال المئات وبينهم أطفال ...

أذكر تماما ذلك التجمع من الناس أمام مبنى المحافظة الآن، وتعود إلى ذاكرتي الصورة ..

خرج المسؤولون ووقفوا أمام الناس، النساء المرتديات للأسود والقادمات من عزاء أحد الشهداء الذين سقطوا جراء اطلاق النار خلعن غطاء الرأس وهن ينشدن نخوة الرجال فهاجت الجموع ...

بعض الموظفين والموظفات من المسؤولين في المحافظة من أبناء السويداء غيروا مواقعهم لينضموا للمتجمهرين متخلين عن المسؤولين بما فيهم المحافظ. كان مشهداً مؤثراً تقشعر له الأبدان ، أربعة أيام قبل أن يتمكن الجيش والمخابرات من إخماد هذا الحراك. شهدت بها بنفسي شجاعة أبناء السويداء الذين كانوا يتلقفون الرصاص ويكملون المسير دون خوف أو وجل..

أشاع النظام في حينه أن هناك نزاع طائفي في السويداء وبدأ بإستثارة المكونات الأخرى والمحافظات المجاورة ضد الدروز. مع أن هذا لم يكن صحيحاً وكان الامر ذا بعد آخر، للنظام بصمات واضحة في إدراته ، وأسبابه الأصلية محلية مرتبطة بسوء أداء المحافظة والأفرع الامنية ولا علاقة لها أبداً بأي بعد طائفي..

قام النظام بعد تلك الحادثة بدفع دية الشهداء ومعاقبة بعض الشخوص الأمنية لامتصاص الغضب.. إلا أن تلك الحادثة تركت جرحاً عميقاً في داخل أبناء المحافظة..

يبدو أن إدراك النظام لهذا دفعه لمحاولة استرضاء أبناء هذه المحافظة، حيث تكررت في الأشهر التي سبقت الثورة بعيد انطلاق ثورات الربيع العربي في دول مجاورة الزيارات المفاجئة لبشار الأسد للمحافظة وتجوله في بعض القرى النائية بين الاهالي. كما قامت أجهزة الأمن مع بداية الثورة ببث الشائعات بين الناس والتي تحرك النعرات الطائفية بين السويداء ودرعا، وتشكك في الثورة وما يحصل في درعا.. ومع هذا فإن بذور حراك سلمي معارض بدأ بالتحرك . بالإضافة إلى شخوص المعارضة السياسية التقليدية المتمثلة في إعلان دمشق وحزب الشعب بالإضافة إلى لنشطاء والنخب..

بدأت بزيارة السويداء بشكل أسبوعي والتواصل مع كثير من النشطاء الذين بدأوا بإنشاء أول التنسيقيات في السويداء وشهبا..

علماً أن عدداً من نشطاء الحراك السلمي بالسويداء كثفوا عملهم في دمشق عبر تنسيقيات أحياء دمشق وكان من أبرزهم شادي أبو فخر وعاصم حمشو وعمر الأسعد..

في بداية الاسبوع الثاني من نيسان قمت مع صديقتي " م" من السويداء بتنظيم أول اعتصام نسائي في السويداء ..

كنا عشرات النساء، ارتدى البعض منا زي السويداء التقليدي .. لم يكن من الممكن الخروج في قلب المدينة بسبب الحصار الأمني الخانق فاتجهنا إلى منطقة مرتفعة قليلاً تسمى ظهر الجبل.. تظاهرنا وحملنا لافتات تضامن مع درعا وباقي المحافظات السورية ..

للنساء في السويداء تاريخ هام من العمل السياسي والمدني، وقد سبق واعتصمنا قبل ذلك بسنوات أمام المحافظة اعتراضاً على طريق السويداء دمشق الذي كانت الدولة تماطل في إصلاحه لسنوات.. هذا الطريق الذي أدى إلى موت المئات من أبناء السويداء. وبالرغم من كون النساء المعتصمات في ذلك اليوم حزينات على كل هذا الموت الذي يصيب شبابهن، لكن الرسالة المضمنة في ذلك الاعتصام كانت أقوى.. اعتصام اضطر النظام بعده لإكمال الطريق وأدى إلى متابعات أمنية لجميع من شاركن في الاعتصام أيضا ..

كان لنا كنساء في السويداء تجمع ضم العشرات، اجتمعنا بشكل أسبوعي على مدى أعوام لنناقش الشأن العام والشأن الاجتماعي والثقافي، دون هوية واضحة لتعدد الأمزجة التي خرجنا منها وكان اجتماعنا بحد ذاته تحدياً سافراً للأمن الذي يمنع التجمعات دون ترخيص...

وفي الحديث عن نساء السويداء لا يمكن إغفال ماقامت به السيدة منتهى الأطرش ابنة سلطان الاطرش قائد الثورة السورية الكبرى . والتي أعلنت موقفها بكل شجاعة وجالت بين المناطق والنواحي في دمشق وريفها، لتعلن موقفها إلى جانب الثورة. ولتشارك في عزاء الشهداء برفقة عدد من أبناء وبنات محافظة السويداء مما ترك آثراً كبيراً بين كل السوريين على اختلاف مشاربهم.. في شهر نيسان ذاته كان لي شرف مرافقتها وصديقتي "م " ذاتها إلى عزاء شهيد بمنطقة القدم.. السيدة منتهى والتي ألقت كلمة أعلنت من خلالها وقوفها إلى جانب الثوار على المنبر بين الأهالي المحتفين بها كانت فخراً لنا بحق ..

الشعب يريد اسقاط النظام

حين هممنا بالمغادرة بدأت الحشود بالهتاف فلم أقوَ أبداً على المغادرة فأصواتهم كانت تشدني لأتسمر في المكان.. كذلك صديقتي " م ".. تأخرنا قليلا عن مجموعتنا.. فتوسطنا مئات الشبان من أبناء منطقة القدم .. صرخنا بأعلى الصوت.. يا قدم سويدا معاكي للموت.. وكانوا يجيبون بصوت مجلجل.. يا سويدا القدم معاكي للموت..

كنت أرتعش.. ولم أعد اشعر بقدمي.. لا بد أنني حلقت إلى الأعلى وكأنني أطير بالسماء أو على الأقل هذا ما شعرت به .. إنه انعتاق الروح وسمو الجسد على ضعف الخوف وانكسار الذل.. كان شعوراً لا يوصف بالتوحد مع الجميع.. تحول الحشد الى مظاهرة .. وهتفت الحشود الشعب يريد اسقاط النظام..

فهتفت معها الشعب يريد اسقاط النظام.. لم أصدق نفسي كان صوتي يخرج من القلب وليس من الحنجرة ..

لم تخجل دموعي من الانهمار بكثافة فنشوة الانعتاق النهائي من الخوف وقرع الأجراس في مملكة الهمس الداخلي كان حدثاً غير عادي..

إنها المرة الأولى التي أعلن فيها وبكل ثقة أنني أريد إسقاط هذا النظام..

ليس حدثاً عادياً أن تسمع صوتك للمرة الاولى، ليس حدثاً عادياً أن تخترق خوفك الراقد داخل العظام لتطرده خارج جسدك وروحك ..

في السابع عشر من ذات الشهر صادف يوم الجلاء في سوريا، وكنت قد بُلِّغْتُ عن مظاهرة ستنطلق من أمام الجامع الأموي. وكان هذا حدثاً مغرياً بالنسبة لي للمشاركة...

تجمعنا في حي ساروجه.. جلسنا كأي زوار في المقاهي المنتشرة هناك منتظرين لحظة إبلاغنا بالانطلاق ..

قالت لي (ح) بتشارطي إنه كل القاعدين طالعين معنا..؟ ضحكت وبدأت بالتحديق بملامح الحاضرين .. في لحظة ما أعلمنا محمد بضرورة التحرك.. وقفنا فوقف الجميع فانفجرنا ضاحكين ..اتضح فيما بعد أن عشرات الجالسين في المكان مدعوون إلى نفس الحدث كنا نتبادل النظرات وننفجر ضاحكين مشينا معاً وبدأنا بالتحادث وكأننا نعرف بعضنا من سنوات .. بعد قليل فقط اتضح أن عشرات الأصدقاء حاضرون في المكان أو يجولون في الشارع المحاذي فالتقينا في زقاق ضيق وبدأنا برحلة البحث عن المظاهرة..

توجهنا نحو الجامع الأموي لم نجد أحداً ولم نتمكن يومها من اللحاق بمظاهرة أخرى أُعْلِمْنا عنها في حي الميدان.. لكننا سرنا رتلاً واحداً دون قصد في حواري دمشق القديمة هتفنا وغنينا ورافق المسير عناصر من الأمن المتخفي بغباء...

اتصل بي " أ " اثناء المسير.. وأعلمني بما حصل في ذات التوقيت بالسويداء مظاهرات في ساحة الشعلة والقريا إلى جانب ضريح قائد الثورة السورية سلطان الاطرش، في ذلك اليوم ضرب هاني حفيد سلطان الاطرش من قبل الأمن إلى جانب ضريح جده ، واعتقل عدد من المتظاهرين.. شعرت بالأسى لعدم تمكننا من التظاهر في دمشق وعدم تلبيتي لدعوة التظاهر في السويداء في ذات التوقيت وباتت التظاهرات تتحول لدي إلى ما يشبه الإدمان.

في الشهر الرابع والخامس كثف النظام حصاره لدرعا وبدأ بحصار غذائي خانق..

أدى ذلك الحصار لنقص في الخبز والمواد الاساسية للناس بما فيه حليب الاطفال..

بيان الحليب (نداء للحكومة السورية من أجل اطفال درعا)

قالت لي ماذا سنفعل ؟

كان سؤالاً صعباً فما يحصل في درعا كان عصياً على التخيل فالنظام اقتحم درعا وحاصرها .. شعور خانق وعجز قاتل...

بين السويداء ودرعا تداخل كبير في عدد من القرى ، وكان عدد من الاهالي في السويداء يقومون بتهريب الطعام إلى أهالي درعا سراً , وكان بعض التجار والأهالي من أبناء درعا في المناطق غير المحاصرة يتزودون بمؤنهم وبضائعهم من السويداء ويعودون بها الى قراهم ويقومون بتهريبها لاحقاً إلى أماكن درعا المحاصرة..

في مصادفة جمعت بين بعض الشخصيات من درعا وشخصيات من السويداء لاحقاً أخبرني أحدهم وهو من رجالات درعا عن حادثة حصلت معه في حينه.. كان يشعر بالخوف من اكتشاف ما يقوم به ومع هذا فقد اتجه إلى أحد المحال الصغيرة في إحدى قرى السويداء ليشتري الخبز وبعض المواد الضرورية بما يمتلك من نقود قليلة..بدأ صاحب المحل الشيخ الدرزي المتدين بتحميل ما يطلب من مواد.. توقف الرجل عن الطلب ، لكن الشيخ استمر في تحميل السيارة بمواد لم يطلبها .. نظر إليه الرجل باستغراب قال له: عمي أنا ما معي أدفع حق هذول .. ابتسم الشيخ له وأكمل ما يقوم به بصمت... وحين امتلأت السيارة مد الرجل يده إلى جيبه ليخرج النقود إلا أن الشيخ أمسك بيده وقال له: روح يا بيي... هذول هدية وفزعة....

حاول النظام دائماً إثارة النزاع الطائفي والمناطقي بين أهالي السويداء ودرعا .. لكن مثل تلك الحوادث كانت تعيد النظام إلى المربع الأول.. فبين السهل والجبل ماء وقمح وتراب! ...

لم أكن أستطيع أن أتخيل أن هناك طفل سوري جائع بسبب حصار يفرضه عليه سوري آخر ..

كنا نتحدث مع الأصدقاء عن خطوات يمكن القيام بها لكن دون جدوى..

في 2011/4/29 وفي الساعة الواحدة ليلاً وصلت إلى صندوق البريد لصفحتي على الفيس بوك صورة لطفل من درعا كتب على جبينه جوعان ..

كنت أحدق في الصورة ..كان الطفل يشبه إلى حد كبير ابني مازن حين كان صغيراً ..

نظرت إلى الصورة و إلى زجاجة الحليب الفارغة التي يحملها في يده..

سرى في جسدي شعور مفاجئ.. يشبه إلى حد كبير الشعور الذي كان ينتابني حين كان يبكي صغاري جوعاً. كانت نوبة من الأمومة لم أكن قادرة على مقاومتها..

تذكرت تماماً تلك الدقائق الثلاث التي كان يتطلبها تبريد زجاجة الحليب وتذكرت عدم قدرتي على تحمل بكاء ابني الجائع في تلك الدقائق الثلاث .. تذكرت أن هؤلاء الأطفال محرومون من الحليب لأيام.. خلال دقيقتين وجدت نفسي وقد كتبت على صفحتي على التو و دون أي تفكير:

نداء عاجل إلى الحكومة السورية من أجل أطفال درعا

"إنّ الحصار الغذائي المفروض على درعا أدى إلى نقص المواد التموينية والضرورية لاستمرار الحياة، وأثر سلباً على الأطفال الأبرياء الذين لا يمكن أن يكونوا مندسين في أي من العصابات أو المشاريع الفتنوية بكل أنواعها نحن نطالب بدخول إمدادت غذائية من مواد تموينية وأدوية وأغذية أطفال بإشراف وزارة الصحة السورية أو الهلال الأحمر, لا نريد لأطفال بلدنا أن يجوعوا أو يتعرضوا للأذى. نرجو الاستجابة بالسرعة الكلية، فأطفال درعا جائعون ويحتاجون للأغذية والأدوية بشكل عاجل وطارئ"

لم أتخيل ما حدث بعد ذلك لقد تم تداول البيان على كل الصفحات وبدأت تردني التواقيع بالعشرات فنانين وكتاب أصدقاء ومواطنين سوريين من كل مكان ..

خلال ساعتين كان هناك اكثر من 400 موقع..

كان الجميع بانتظار مبادرة ما تزيل شعور العجز المقرف الذي كنا نشعر به تجاه جوع أطفال من بلدنا ..

حين كتبت البيان لم أكتبه أبداً ككاتبة سيناريو.. لم أكتبه أبداً كناشطة .. ولا كمعارضة.. فموقفي السياسي كان أعمق بكثير من الصيغة البسيطة التي كتبت بها البيان.. لقد كتبته كأم .. كأم فقط .. أم تريد للاطفال ان يأكلوا وأن لا يكونوا وقوداً لأحد.. ولم أتخيل أبداً ما كان ينتظرني والموقعين بعد ذلك ..

عاصفة ما بعد البيان

كنت أقود سيارتي ظهراً عائدة من عملي وأستمع إلى المذياع وسمعت التالي:

الخائنة ريما فليحان.. الخائنة يارا صبري.. الخائنة كندة علوش ..

وكان المذيع يقرأ أسماءنا ويسبنا علناً على المذياع من إحدى قنوات الراديو الخاصة التي يملك جزء منها ماهر الأسد.. لقد كانت البداية فقط!!..

بعد يوم واحد من كتابة البيان و الذي أرسلته لاحقاً عبر الإيميل إلى وزارة الصحة ، تم تداول البيان على كل المحطات العربية ووكالات الأنباء وأصبح عدد الموقعين 1200 موقع في سابقة أولى من نوعها خلال الثورة .. ترجم إلى لغات عديدة ووقع عليه سوريون موالون ومعارضون على حد سواء .. سوريون اشتركوا في الرغبة بحماية الاطفال وتأمين مستلزماتهم ..

جن جنون النظام فالبيان جمع موالين ومعارضين على حد سواء. كما أنه خلق دليل مادي على وجود حصار غذائي في درعا وهو ما جعله يفقد صوابه وكل هذا لم يكن بحسباني حين صغت البيان ..

خرجت في الأيام التالية على محطات العربية والجزيرة والبيبي سي وفرانس 24 من وسط دمشق باسمي الصريح وتحدثت عن موقفي بكل صراحة وعن البيان دون أي خوف..

دخولنا كمثقفين وكوسط فني تحديداً كان أمراً لا يرغب به النظام أبداً، لأنه يدرك الشعبية والتأثير والمصداقية التي تمتلكها تلك الفئة بين السوريين. ولأن ذلك سيؤدي إلى تكذيب ما يشيع عن العصابات المسلحة التي يدعي وجودها في درعا.. وقع على البيان العشرات من الفنانين والكتاب وكان منهم الفنانة الكبيرة منى واصف والفنانات كندة علوش ويارا صبري وكاريس بشاروالشاعرة رشا

عمران والمخرجة رشا شربتجي والكاتبة يم مشهدي والمخرجة هالة العبدالله.. والكثير من الفنانين والفنانات والكتاب..

لقد كان مهينا وبشكل بالغ بالنسبة لي كابنة لضابط متوفى أن يكون الجيش العربي السوري الأداة التي يستخدمها النظام لقتل السوريين وتجويعهم بالإضافة إلى الأجهزة الأمنية طبعاً..

لم تكن صورة الجيش في رأسي كالحة دائماً فوالدي المتوفى في عام 1985 كان ضابطاً في الجيش ولطالما كان بطلي..

طوال صغري كنت أراقب كل ما يقوم به أبي في المنزل وكان كرهه لحافظ الأسد واضحاً لي ففي كل مرة ظهر فيها الأسد على التلفاز ونشرات الأخبار كان أبي يكيل له سيلاً من الشتائم على مدار الساعة ..

لم أكن أدرك تماما سبب هذا في صغري.. وكنت أقع في حيرة من أمري لأن الأغنية التي يعلموننا إياها في المدرسة كانت تبجل بهذا الرجل الذي يشتمه والدي (بطلي) دائما..

في وقت لاحق حين أصبحت أكبر قليلاً وبعد وفاة أبي علمت من أحاديث والدتي أن أبي سجن لأشهر في سجن المزة حين كنت أظنه مسافراً وأنا في الثامنة من عمري ..

في زيارة قمت بها لأحد الاقرباء والاصدقاء لوالدي في السويداء أثناء الثورة، قص لي شيئاً لم أكن أعرفه عنه ... عرفت يومها السبب فوالدي كان من أوائل المنشقين إن صح التعبير.. لأنه حين سمع عن أحداث حماة إستقال من الحزب وشتم رفعت الأسد شقيق حافظ الأسد المسؤول عن مجزرة حماه... فكانت النتيجة سجنه في سجن المزة.. أبي العقيد جدعان فليحان كان من المشاركين في ثورة 8 آذار التي أدت لوصول البعث إلى السلطة ، ولكنه حين حدثت هذه المأساة استقال من الحزب الذي انحرف عن حلمه وأخلاقياته التي آمن هو بها حين كان شاباً. ورأى فيه وطناً حراً قوياً يحلم به.. فسجن و جمد كرتبة في الجيش وتم نقله.. طوال حياتي كنت أكن له مشاعر محبة وتقدير وفخر في ذلك اليوم شعرت بفخر أكبر.. كنت أعلم أنه كان حراً ..

لقد كان استخدام النظام للجيش لقتل السوريين مهيناً بحق ..

بيان درعا كان صفعة موجعه للنظام فبشار الأسد بدى تماماً كشارون حين حاصر أطفال غزة.. لم أكن أعي أبداً مدى ما سببه البيان من ألم للنظام ، إلا حين رأيت ردة الفعل الفاجرة التي قام بها النظام ووسائل إعلامه وشبيحته ابتداء من اليوم الثالث بعد إعلان البيان...

توالت الأحداث وبدأت حملة أمنية كبيرة تضمنت اعتقالات لبعض الموقعين وطرد من الوظائف وحملة تخوين وتشهير لنا بالأسماء والصور. بالإضافة إلى قائمة كان يسير بها بعض المحامون التابعون

للنظام الذين طالبوا بها بمحاكمتنا بتهمة الخيانة العظمى.. وأُنشِئَت صفحات على الفيس بوك بعناوين مختلفة منها صفحة "مليون بصقه على الفنانين الخونة الموقعين على بيان الحليب"..

مواقع الأخبار التابعة للنظام بدأت بحملة من المقالات التخوينية التي فتح المجال في أدناها بالتعليق بما يحمل السب والشتم واتهامنا بشرفنا وأخلاقنا ووطنيتنا..

وتم بعدها فبركة صور مشينة لعدد من الموقعات نشرت على صفحات الانترنت..

موقع شام برس التابع للنظام بإدارة أمنية نشر أن هذا البيان كتبته بإيعازات إسرائيلية..

ولأول مرة تتشكل أمام مدخل البناء الذي أقطن فيه في منطقة برزة مجموعة من الشبيحة تقضي طوال اليوم أمام البناء وتسمعني الكلام القذر كلما كنت أعبر من أمامهم...

تعرض البعض ممن وقعوا للضرب والإهانات كما قامت نقابة الفنانين بإصدار بيان تخوين طالبت فيه بمحاكمتنا بتهمة الخيانة العظمى..

شركات الإنتاج أيضاً قامت وعبر حملة مسعورة قام بها المخرج نجدت أنزور بإعلان مقاطعتنا وعدم شراء أعمالنا ككتاب وعدم تشغيل أي من الفنانين الذين وقعوا على البيان..

ندوات على المحطات السورية تصف عمق الخيانة التي قمنا بها شارك فيها فنانون موالون "شبيحة" مثل زهير عبد الكريم والمخرج هشام شربتجي الذي خون ابنته على التلفاز المخرجة رشا شربتجي!!..

هشام شربتجي قال من كتب البيان كتبه بإيعازات إسرائيلية!!! ..

الفنانون الكبار أمثال منى واصف والآخرين تم سبهم وشتمهم علناً.. وتعرض بعض الموقعين للضرب في أحيان أخرى في الشارع والمقاهي وأمام بيوتهم... تهديدات بالقتل وصلتني ووصلت غيري من أعلى المستويات في النظام وكان التحريض عيلنا بالقتل علناً وفي كل مكان ..

وبدأت سلسلة من أساليب الضغط على الموقعين للتراجع عن البيان..

كانت سياسة النظام قائمة في تلك الفترة على إجبار أي من الشخصيات التي تتخذ موقفاً يخالف موقفه بالخروج على التلفزيون والتراجع عن موقفها.

قام النظام بهذا عبر إعلامه حيث أجبر مثلا الشيخ أحمد الصياصنة شيخ الجامع العمري في درعا على الظهور عبر التلفزيون السوري وتأكيد رواية النظام والتراجع عن تصريحاته السابقة.. وبهذا يتملص النظام من أي دليل قانوني على الإجرام الذي كان يقوم به..

1200سوري وقعوا على البيان ... " 1200 مشنقة رح تتعلق إلهم بساحة الأمويين" وكان هذا ما قاله مكتب ماهر الأسد في اتصال بعد الحلقة مع مدير إذاعة شام ضمن توبيخ شديد اللهجة بالسماح "لهال..****.." بالخروج على الهواء بعد استضافتنا لتوضيح الموقف على هواء الاذاعة!!..

ازداد السعار يوماً بعد يوم ومع هذا فقد وقفت بعض الأقلام إلى جانبنا.. اتصل بي الصحفي رأفت الرفاعي.. وخالطت دموعي الكلام.. اختنقت مراراً أثناء الكلام.. لكنني أجبت على كل أسئلته.. في اليوم التالي نشر رأفت مقالاً يدافع فيه عني على موقع "شو الاخبار" الذي أغلقته السلطات السورية لاحقاً:

"ربما بات القرف هو الشعور الوحيد الذي يعتري كل سوري لا يريد أن يتطرف تجاه الأحداث, يصر أن يرى بكلتا عينيه , ويتمكن لديه نداء القلب من التوغل في سلطان العقل و التعقل.

و شعور القرف يتحول إلى خيبة كبيرة ينكسر صاحبها بكاءً أو صمتاً ليُطحن في ماكينة التجييش الإعلامي و الإعلاني البغيض الذي حذرنا في أكثر من مناسبة من كارثية النتائج التي بدت ملامحها تظهر.

أن تكون "سورياً وطنياً " اليوم يعني أن تضرب وتقمع و تشتم و تلعن و تدعس كل شاب لا فقط ينزل إلى الشارع بل لمجرد أنه يفكر بالنزول و يعبر عنه بمقال أو حتى تعليق في مكان ما , ليتحول إلى متآمر وخائن و بَنْدَري وحريري و ذيل من ذيول الفتنة الجزيرية و العربية و البي بي سية.

قلنا سابقاً إن "الذهنية الأمنية "معششة في عقولنا و أذهاننا و تفاصيل حياتنا اليومية , حاورنا لنعي وجوب التحرر منها قبل المطالبة بكف يد الأجهزة الأمنية , و اليوم بات السوري " اللي بدو السلة بلا عنب بس السلة " بين فكي الجهاز الأمني و المواطن الأمني.

بدأت بكتابة هذا المقال بعد أن انتهى اتصالي بالكاتبة "ريما فليحان" و التي ارتكبت جريمة بحق الوطن و التاريخ و الجغرافية و التربية القومية منفذة خلالها أجندة الفكر الفوضوي الاندساسي السلفي الفتنوي البلطجي المتلجي حين أطلقت نداءها الإنساني لأجل أطفال درعا.

واتصلت بـ" فليحان " بعد إطلاعي على توضيح لها على اتهامها بالخيانة والتآمر والاندساس لصالح جماعة مريخية ترسل صحون طائرة إلى لبنان والسعودية وكل دول العالم التي تتآمر على سورية منذ جريمة مقتل هابيل على سفح قاسيون المقابل لـ التلة الكائن عليها سجن المزة العسكري.

سألتها هل ثمة زيادة لديك رغبة في أن تضاف , فبكت وثوان قليلة استرجعت شريط الأحداث مشهداً مشهداً.

بكاء الكاتبة "ريما فليحان" أعاد إلي اللاتوازن حين رأيت " سلفيين " أطلق عليهم الرصاص أمام مدخل درعا , فجرح أربعة بينهم سلفي كبير واستشهد ابنه السلفي الصغير, ومازالت ملاحقة هؤلاء الآثمين جارية منذ أكثر من تسعة أيام لم يتم خلالها تمشيط متر واحد من محافظة درعا.

بكاء ريما هو سقوط لكل التحليلات والنظريات وأصوات العقل وانتصار لصوت " الدنيا " , تماماً حين كنت لا أرى كاميرات "الدنيا" في دنيا درعا المعتمة لتعود تحت جناح المدرعات تصور فرح المواطنين باستتباب الأمن وخصوصاً في الحشد الذي شهده الملعب البلدي بدرعا لمئات الشباب الذي ربما لا يعرف " رش الرز. "

بكاء " ريما " كان كهدير البولمان الذي خرجت به من دمشق يوم الجمعة الماضي مررت به في سوريتي وصولاً إلى حلب وكان البولمان الوحيد الذي انطلق من دمشق تلك الساعة و" امتط " الطريق حينها بسبب أحداث الرستن وتلبيسة فمررت بالسلمية الحبيبة , وسمعت في البولمان نغمات موبايل بدءً من " حماك الله يا أسد " .. وانتهاء بـ" يارب العالمين ..الله الله " ليختصر البولمان ببساطة وعفوية كل التذاكي الفج لإعلامنا الذي يتحفنا بدروس الوحدة الوطنية الشبيهة بدروس برنامج "أبناءنا في الجولان"وأيضا درساً لم يتعلمه من طلب مني الانتظار في كراج هنانو بحلب فقط لأن القيد في الهوية " درعا. "

وعذراً من فضائيتنا الموقرة ومن الدنيا قدس الله سرها ومن إذاعاتنا الأثيرة ولوحات إعلاناتنا الوطنية المثيرة والجزيرة الشهيرة والعربية " الخنزيرة " وموقع شو الأخبار المتعثر وأمريكا وأوروبا وجزر الهندوراس , عذراً لأنه لا بد أن يخرس كل دعاة الفتنة مروجو الفكر الوهابي السوري الجديد القائم على التطرف بكل أشكاله حباً أو كرهاً أو صمتاً , ولا تعذروا تطرفي هنا وتشددي هنا الذي يتجسد صراخاً عاتباً حزيناً خائباً سيعود حكماً بصدى " مصدي. "

سورية لن تعود إلى الوراء شاء وأبى من أبى , سقط النظام أم لم يسقط ولن يسقط لأن النظام ليس بشار الأسد وبشار الأسد باقٍ لأنه خيار الأغلبية وخيارنا في هذا الموقع.

واليوم المسؤول الفاسد لا يخشى فقط الرقابة و التفتيش و الأمن و الدرك , بل يخشى " بو عزيزي " آخر , يخشى تجاوباً على مستوى رئيس مع شكوى مواطن , فالوزير مثلا دام عزه ولن يدوم بقاؤه ستقص يده إن سرق , و سيقال خلال ثلاثة أشهر لا فقط إذا أخطأ بل إذا لم يعمل , بحسب ما أوضح لي أحد المصادروعلى ذمته وهي ليست واسعة.

كلمة واحدة فقط تطفو اليوم في بحر الدم هي أن حاجز الخوف " انخلع " لا فقط " انكسر " وهذا هو رهان التطور و الإبداع و ملح الحرية القادمة وعنوان سورية.

و تقييم الواقع الحالي بسيط جداً و الحل أبسط , سورية لن تكون تونس و مصر و ليبيا و اليمن وهذا حديث سابق ولاحق من يمل فلا يسمع , ولكن سورية لن تبقى كما كانت.

و اليوم من "يتظاهر" بشكل منظم أو أهوج , من" يسير"مقتنعاً أو متحرزاً من خراب سورية هؤلاء هم الشعب و الشعب كله لاحقاً سيكون " شريكاً. "

أوقفوا آلة التجييش " القذر" و المقرف في التكسي و الشارع و الدوائر و المؤسسات الإعلامية و منها موقعي هذا , جميعنا الآن مضطر لأن يكون صاحب رد فعل , مفعول به , منفعل , هي دعوة أن نتكاتف لنكون قبل وقوع المحظور الأكبر هي دعوة لنكون " فاعلين. "

إخراس من يطالب بالحرية و" المسخرة " على مطالبته بالحرية وربطها بالخراب واتهامه بالتآمر..هذا رد فعل , ومن جهة أخرى يقول الداعون إلى الحرية اتركونا في غينا و ظلاميتنا و احمونا بدل قمعنا ..وهذا أيضاً رد فعل , و..و...و...و..و أختم , أنا لم أنسَ " نظرية المؤامرة " , و" واقع العصابات المسلحة " , ولكنها تضمحل أمام أشياء أخرى لا تنسى ومنها على سبيل الحصر" تعليقاتكم"

تنويه:

و حياة الله ..وحياة محمد ..وحياة يسوع ...وحياة بوذا .. وحياة ماركس ..وحياة هناء الصالح ..وحياة جريدة البعث..

أنا وطني بس " قرفان"

المصدر: موقع شو الأخبار.

الكاتب : رأفت الرفاعي

ولم أكن أعلم ما سيحصل لرأفت بعد هذا .. فما حصل له عرفته بعد أشهر من تلك الحادثة سأذكره لاحقاً..

إياد شربجي وعلا ملص طلبا مني أن أحضر مسرحية للأخوين محمد وأحمد ملص.. لم أكن أقوى على ذلك لأنني كنت في انهيار لكنهما أصرا .. بيان الحليب كان الحادثة التي عرفتني على عدد من الاصدقاء الجديد منهم إياد وعلا وآخرون والذين ستجمعني بهم مفاصل مشتركه فيما بعد...

في غرفة صغيرة ضمت العشرات من الاصدقاء والشبان عرض الشابان عرضهما الخاص ..

وفي أحد الفصول ذكر البيان وتم تكريمي منهما عبر العبارات التي قالاها وعبر تصفيق الحاضرين.. كان هذا لطيفاً للغاية.. كان هذا قادراً على تخفيف العناء الذي كنت أشعر به.. كان هذا كافياً لتنهمر دموعي لساعات ..

اجتمعت نقابة الفنانين وطالبت بمحاكمتنا.. واتصل بنا بعض الفنانين من أجل اجتماع بفندق الشام لبحث حل للأزمة..

حضر عدد كبير من الفنانين وكان الجميع في حال من الذهول لما يحدث ، وكان الرعب يسيطر على العديد منهم.. فأن يضعك ماهر الاسد والمخابرات على قائمة التنكيل فهذا يعني أن كل الاحتمالات باتت مفتوحة لتلاقي مصيراً سيئاً لا يمكن لك أن تتوقع كيف ومتى...

كان الحديث يدور عن الخروج بحل قد يؤدي إلى تخفيف هذا السعار.. نظرات البعض حملتني المسؤولية .. نظرات عاتبة .. وحزن عميق كان يلم بنا جميعا.. شعوري بالذنب مزق أوصالي.. لم أحتمل رؤية هذه الأسماء وهؤلاء الأصدقاء في مثل هذه الحالة المهينة والمؤلمة ..

كنت أشعر أن وجودي قد يسبب حرجاً لهم في النقاش براحة لسبل الخروج من هذا المأزق .. قلت لهم أنا سأغادر ولن أعتب أبداً على أحد مهما كانت الصيغة التي ستخرجون بها.. غادرت في التاسعة ليلاً إلى بيتي..

بدأت بالانهيار.. كتبت على صفحتي أنا المسؤولة وحدي عن بيان الحليب.. أنا وقعته.. ووقعت باسم الجميع ... رن هاتفي وكانت لينا.. قالت لي احذفي ما كتبتِه الآن.. ماذا تفعلين؟

خلال عشرة دقائق كانت في منزلي .. بكيت بمرارة وكانت تحاول تقويتي والتخفيف عني وتشاركني البكاء بين الحين والاخر..

في الساعة الثانية ليلاً.. حضر إلى بيتي أربعة من الأصدقاء الذين كانوا حاضرين هناك في فندق الشام.. كان لونهم شاحباً إلى حد لا يوصف.. أخذوا أجهزة الموبايل ووضعوها في غرفة ثانية خوفاً من التنصت وقالو لي: تخيلي ماهر الأسد كان يستمع لكل ما يجري في الاجتماع وفي آخر الاجتماع اتصل وشتم الجميع.

تم الوصول إلى صيغة اعتذار مرضية ، وكان يجب نشرها على صفحاتنا جميعاً من أجل إيقاف ما يحصل، وإلا فإننا سنحاكم وسيكون المجال مفتوحاً للقتل والاعتقال وكل شيء..

طلب منهم الخروج على شاشة التلفاز السوري للاعتذار.. والتوضيح ..

تم الوصول إلى صيغة اعتذار مرضية ، وكان يجب نشرها على صفحاتنا جميعاً من أجل إيقاف ما يحصل، وإلا فإننا سنحاكم وسيكون المجال مفتوحاً للقتل والاعتقال وكل شيء..

طلب منهم الخروج على شاشة التلفاز السوري للاعتذار.. والتوضيح..

رفضت الخروج معهم في البداية ولم أقبل بأن انشر بيان الاعتذار وسلمت إلى انني مستعدة لتلقي أي مصير ينتظرني ..

في اليوم التالي كنت أشاهد اللقاء الذي أجر معهم على شاشة التلفزيون . كانوا شاحبين كالموتى ومع هذا فقد كان في كلماتهم محاولة للحفاظ على عزة النفس الموجودة في وجدانهم..

فجأة تم قطع الحلقة.. خلال نصف ساعة اتصلت بي احداهن وهي تبكي.. قالت لي لم يرضِ ما قلنا أحداً وهجم عناصر الأمن على الاستديو لضربنا .. قالت لي لن يتوقف ذلك حتى تخرجي على تلفزيون الدنيا وتعتذري.. دون ذلك لن تتوقف هذه الهجمة..

بدأت بالنحيب... لم يكن بمقدوري القيام بهذه المهمة كان الشعور مقرفاً ومهيناً .. خلال لحظات اتصلت بي محطة تلفزيون الدنيا ..قال لي المتحدث إلى متى ستتسببين بهذا القدر من المشاكل لأصدقائك؟ يجب عليك الخروج على الهواء الآن والاعتذار والتراجع عن ما قلته على العلن وإلا فالقادم أسوأ..

انهرت بالبكاء وكان المتصل يسخر من بكائي ويقول : حين أحولك على الهواء يجب أن لا يظهر بكاؤك.. هل فهمتِ ؟ ... لحظات بالفعل وتم تحويلي على الهواء . ذكرت إنني من يتحمل المسؤولية وحدي عن كل ما حصل وإنني من كتبت هذا البيان.. ولكنهم لم يكتفوا بذلك لأنهم أعطوني صيغة كان يجب أن أقولها ، وهي إيماني بعطف القائد وحكمته والاعتذار.. كنت على وشك التقيؤ ..كنت أشعر تماماً بأنني اغتصب.. أغلقت الهاتف .. وانهرت .. لم أحتمل وزر الفعل الذي قمت به مرغمة . ليس سهلاً أن

تُمْتَهَنَ كرامتك إلى هذا الحد ، ليس سهلا أن تقتلع منك كلماتك اقتلاعا وتنتظر أن تذهب إلى ما بعد هذا وكأن شيئاً لم يحصل....

حين يكون قد وقَّعَ على ما كتبت ما يزيد عن ألف شخص يصبح التراجع وكأنه صفعةٌ للجميع..

أدركتُ تماماً أن شعور المغتصبات لا بد أنه يشبه تماماً ما شعرت به في تلك اللحظة.. تقطعت أوصالي .. هزيمة وانكسار.. بل إنها نكسة لروحي وكينونتي بكاملها ..

نظرت إلى طفلي النائمين كيف يمكن أن أقول لهما يجب أن تكونا شجاعين وتواجها الحياة بعد هذا... كيف يمكن أن أقول لهما شيئاً أي شيء .. أي قيمة..

قررت في لحظة انكساري تلك أن لا أرى أي صباح جديد.. قررت أن انتهي تماما كما انتهت كرامتي في لحظة الاجبار تلك ذلاً لا يوصف وشعوراً بالعار..

انهيار أدى لتصرف لم يكن حكيماً لكنه كان انفعالياً يعبر عن حالة الأسى والذل التي كانت تنتهك كرامتي..

شربت علبة دواء للقلب كانت تتناوله والدتي بشكل متقطع.

محاولة الانتحار هي حدث يشعرني بالحرج والألم فما تعرضت له خلال شهر من تشهير وانتهاك سبب لي اكتئاباً حاداً وما حصل في ذلك اليوم من انتزاع لما لم أرد قوله دمرني.. لم أكن بكامل وعيي تماماً كنت منهارة وأشعر بقرف لا يوصف ..

استلقيت في سريري بانتظار الموت.. دقائق لم أعد أشعر بشيء ...

لكن صباح يوم جديد أطل علي رغماً عني.. العناية الإلهية أرادت لي أن أستمر..استمراري بالحياة عنى لي أمراً واحداً وهو أن لا أسمح لأحد بكسري مرة أخرى... وأنني يجب أن أكون أقوى ..

لقد كسرت هذه التجربة آخر جدران الخوف.. وخلقت لدي تحدياً لا يوصف..

استمرت الحملة التي شنها النظام على الموقعين على البيان شهراً كاملاً.. شهراً كاملاً بكل دقيقة فيه حتى استطاعوا إجبارنا على أن نقول ما لا نريد قوله..

في نهاية شهر أيار ذاته سلم النظام جسد الطفل حمزة الخطيب الذي أعدم في الاعتقال في درعا بعد التمثيل به ..

خرجت إلى الشرفة مع صديقتي و خالط صراخنا العويل ..

ثم نزلت إلى الشارع .

عندما خرج في ذلك اليوم

"إهداء الى روح حمزة الخطيب"

عندما خرج في ذلك اليوم كان يعتقد أنه سيعود ربما ليلهو بتلك اللعبة التي أحضرها له قريبه سليم في دمشق قبل أن تشتعل الثورة في مدينته الطيبة بشهر..

حمزة يتذكر جيداً زيارته مع أبيه ليسلموا على سليم بعد أن خرج من سجن استمر 27 عاما بتهمة الانتماء إلى حزب ينسى اسمه باستمرار..

وكان أجمل ما في ذلك اليوم تلك اللعبة وشوارع العاصمة التي أحبها... كان يرى أنه قد يعود في هذا اليوم ليلهو مع صديقه ناجي بتلك اللعبة.. لا لن يتمكن من اللهو مع ناجي مجدداً فأم ناجي هربت به إلى دار أختها في بلدة بعيدة فناجي مطلوب بتهمة الخربشة على الجدران وهي كما يعلم جيداً تهمة خطيرة قد تصل عقوبتها إلى قلع الاظافر.. ومع هذا فهو قد يعود.. يعود ليشم رائحة الخبر.. الخبز الذي تلتصق بعض حوافه بصاج التنور فتخرج رائحة لذيذة تداعب معدتَهُ ...

لا لن يتمكن من أن يشم رائحة الخبز فالقمح لم يعد متوفراً كالسابق في بلدته التي اعتادت على إنجاب السنابل.. فرائحة الخبز لم تعد تعبق من تنور الداريومياً .. لكنه سيعود حتماً .. يكفي أن يأكل وجبة من البيض المقلي "بعيون " بالسمن البلدي كما اعتاد أن تعده له أمه عند العشاء مع صحن من البندورة المقطعه وبعض الزيت.. دائما كان يجلس إلى جانب والده وينظر إليه بإعجاب ويحاول أن يقلده بطريقة الجلسة وربما التهام الطعام... لا حتى هذا لم ينفع فوالده أصبح يعود متأخراً إلى المنزل فواجب العزاء أصبح يأخذ حيزاً كبيراً من سهرة الوالد فلم يعد يراه.. حسنٌ حسنٌ سيعود ليغفو على سطح الدار حيث تطرب أذنيه أصوات الطبيعة التي يحبها.. لا .. حتى هذا لم يعد ممكناً .. فصوت الرصاص والمدافع يمنعانه من النوم أيضاً رغم أنه يحاول أن يخفي دائماً بعض الرعشة التي تسري في أوصاله مع أصوات الانفجارات . إلا أنه فعلاً لا يتمكن من النوم.. حتى أمه الحبيبة لم تعد تبتسم فدموعها على أبناء البلدة باتت تسقي طوال اليوم خدودها ، وأصابعه التي تمسحانها عبثاً بمحاولة يائسة على إيقافها... ... ليس مهماً كل هذا فقد قرر حمزة الخطيب أن يخرج لينادي للحرية.. الحرية

التي ستعيد له كل أحلامه وحياته التي يحبها.. لكن حمزة بعد كل هذا لم يعد في ذلك اليوم. قتلوا الطفل حمزة الخطيب ولكنهم خرجوا على التلفاز السوري ليقولوا إن حمزة قتل في رحلة توجه بها لسبي نساء ضباط الجيش تلك كانت الحكاية التي تم تلفيقها عبر التلفاز ....

أما جسد حمزة فقد قال الحقيقة ... لقد أطلقوا عليه النار وعذبوه ثم قطعوا عضوه الذكري ..

"حماة ... و الصدى"...

لقد كانت أواخر شهر أيار وبدايات حزيران زاخرة بالمظاهرات .. تلونت كل سوريا بهتافات الحناجر واقتلعت صور الأسدين من كل مكان...

خرجت حماة أيضاً ولخروج حماة لون آخر..

فالجرح القديم مازال مفتوحاً والسوريون ينتظرون ماذا ستقول حماة..

و قالت حماة ... قالت بحنجرة القاشوش يلا إرحل يا بشار.. ورد عليها السوريون في كل مكان..

يا بشار ومانّك منّا.. خود ماهر وارحل عنّا..هي شرعيتك سقطت عنا ويلا إرحل يا بشار

يا بشار ويا كذاب.. تضرب أنت وهالخطاب.. الحريّة صارت عالباب.. ويلا إرحل يا بشار

يالله إرحل يا بشار

يا بشار و يا خاسيس و دم الشهداء مانو رخيص و ضبلي غراضك بالكيس و يلا إرحل يا بشار..

بدنا نشيلو لبشار بهمتنا القوية .... سوريا بدها .. حرية..

أذهلت حماة العالم بشارعها الكبير وأعلامها الممتدة مئات الأمتار وخلقت نموذجاً مهراً لتنظيم المظاهرات.

فخرجت كل المحافظات السورية لتناجي حماة..

في الثالث من حزيران وفي جمعة أطفال الحرية ، ارتكب النظام مجزرة بحق المتظاهرين في حماة . حيث فتحت قوات الأمن النار على المتظاهرين وأدى ذلك إلى مقتل العشرات في رد وحشي على تحدي الحمويين لحظر التجول وتظاهرهم ومناداتهم بإسقاط النظام..

لربما ظن النظام أن المجزرة القديمة التي ارتكبها في الثمانينات قد زرعت الصمت الأبدي في قلوب الحمويين , لربما لم يحتمل فكرة النهوض مجدداً.. وهذا بالتأكيد ما دفعه لارتكاب هذه المجزرة في ذلك اليوم..

شهر حزيران وما تلاه كان زاخراً باسم حماة في كل مكان .. فالسوريون لطالما شعروا بالذنب اتجاه أهالي حماة .. فالمجزرة التي ارتكبت في الثمانينات في صمت مطبق كانت عاراً يسكن صدورنا جميعاً بصمت موجع .. بحيث يكفي أن تسمع أن هذا الشخص من حماة في موقف عابر لتعتريك غصة وألم عابر يذكرك حتماً بأنك كنت شاهداً صامتاً على مجزرة تقشعر لها الأبدان...

الثورة كانت المرة الأولى التي صرخ فيها السوريون نصرة لحماة ..

كانت المرة الأولى التي قالوا فيها للعالم في حماة ارتكبت مجزرة...

لم يكن حدثاً عابراً في مظاهرة ساحة الفخار بالسويداء والتي كنا بها بالمئات أن نصرخ بأعلى صوتنا يا حماة السويداء معاكي للموت..

صراخنا لم يكن فقط رداً على مجزرة أطفال الحرية بل كان أيضا رداً على شرخ لطالما حاول النظام إرساءه بين الدروز و السنة عبر اسطوانة مخابراته المشروخة (إذا حكموا السنة بيقتلوكم) ما بتتذكروا شو عمل الشيشكلي فيكم ..؟؟ في إثارة خبيثة لحدث تاريخي يرتبط بالرئيس السابق لسوريا أديب الشيشكلي وجبل الدروز.. حيث يروي التاريخ أن حملة عسكرية توجهت إلى الجبل بسبب اضطرابات تمخض عنها صدامات أدت إلى مقتل العشرات من أبناء الجبل.. وكان هذا حدثاً جللاً أدى فيما بعد إلى استقالة الشيشكلي درءً للفتنة وغادر الشيشكلي إلى البرازيل ثم قام شخص ينحدر من جبل الدروز بعد سنوات باغتياله بالبرازيل.

الشيشكلي الذي التقيت بحفيده أديب (يحمل نفس الاسم) فيما بعد .. وتحدثنا بتفاصيل هذه الحادثة من مختلف وجهات النظر واكتشفنا أن ما يجمعنا كسوريين ضمن أتون الثورة أكبر بكثير مما يفرقنا... خاصة وأن الشيشكلي فضل أن يستقيل على أن يتعنت و يغرق البلاد بالدماء والفتنة..

لعب النظام كثيراً على هذا الحدث وحاولت أجهزة المخابرات إثارته دائماً وربط كل ما يحصل به من أجل تكريس عبارة مفادها (حين يحكم السنة سيقتلونكم) والهدف التمسك بنظام الأسد كـ (حامٍ للأقليات).

مظاهره ساحة الفخار بالسويداء كانت نصرة لحماة وبهذا كسرت كل تلك الوساوس وتعالت الروح الوطنية وسمت فوق كل الضغائن والمشاعر التي أججها النظام بين أبناء البلد الواحد.

عمد النظام تاريخياً إلى إخافة السوريين من بعضهم البعض كما عمد أيضا إلى زرع الخوف بين كل مكونات الشعب السوري عبر ترويج مجموعة من الصفات والتهم لكل مكون سوري سواء كان أقلية أم أكثرية.. وكان أهم ما أنتجته الثورة في بدايتها أي فترة السلمية أن السوريون أعادوا تعارفهم مجدداً وحطموا الكثير من الحواجز المصطنعة فيما بينهم..

في كل سوريا رددت حناجر الثائرين أغنية القاشوش : يلا إرحل يا بشار.. متجاوزة بذلك كل الحواجز...

"مظاهرة المثقفين"

وبفعل تحطم كل الحواجز تمت دعوتي إلى عدد كبير من الاجتماعات في دمشق ..في بيوت عامرة بالإرادة والتصميم .. كان أغربها بالنسبة لي شريحة كنت بعيدة عنها كل البعد وهي بيوت سيدات متدينات في دمشق من دعاة اللاعنف.. اكتشفت من تلك الاجتماعات أن عدداً كبيراً من الافكار المركبة في ذهني كرصيد لعمل إشاعات النظام كانت وهماً..

وكنت أفكر طوال الوقت في حدث استثنائي يعيد مشاركة المثقفين بالثورة بشكل أكبر خاصة بعد انتكاسة بيان درعا..

وبدأت بالتفكير بمظاهرة المثقفين .. مظاهرة يتم الاعلان عنها وبأسمائنا الصريحة لنقول إننا سننزل إلى الشارع فنانين وكتاب ومثقفين ، لنقول إننا جزء من هذا الشعب ولا ننفصل عنه..

تحدث إلي شخص على الفيس بوك مراراً قال لي في كل مرة .. " أنتم المثقفين مطالبون بموقف أكبر وبجدية أكبر يجب أن تكونوا في الشارع ببصمتكم الخاصة وسيكون الجميع معكم"..

من هذا الكلام استوحيت الفكرة .. فتحدثت بها إلى فايز سارة المعارض السوري الذي عبر عن موافقته ومن ثم توجهت إلى صديقي اياد شربجي ..

التقينا في أحد المقاهي وطرحت عليه الفكرة . قلت له يجب أن نكون في الشارع بأسمائنا وبعنوان مظاهرة المثقفين لنقول للنظام الذي كان يروج أن هذه الثورة كذب وأنها مليئة بالمندسين والسلفيين : (أنت كاذب ونحن جزء من هذه الثورة..)

إياد تحمس للفكرة بعد حديث مطول وبدأت بطرح الفكرة على التنسيقيات..

اجتمعت مع مجموعة من تنسيقيات أحياء دمشق، قلت لهم نريد التظاهر ونريد أن تكونوا معنا في مظاهرة سنسميها مظاهرة المثقفين .. سنخرج من أمام جامع الحسن في الميدان وسنعلن عن

المظاهرة على الفيس بوك قبل أيام من اطلاقها و بأسمائنا الصريحة من أجل إحراج النظام وإظهار وجهنا الحقيقي .. فعلى الرغم من مشاركتنا الدائمة بمعظم مظاهرات دمشق ، إلا أننا لم نعلن عن ذلك بأسمائنا واكتفينا بالتنسيق والمشاركة ، هذه المرة كان الأمر مختلفا...

اجتمعنا في أحد بيوت جرمانا.. وناقشنا الأمر مطولاً .. اقتنع الجميع وقرروا دعم الفكرة ..

أنشأت صفحة بعنوان مثقفون من أجل سوريا . وبدأ إياد بتنزيل الإعلان وبدأت بالدعوة للمظاهرة لكل من أعرفهم ..

أعلنا بأسمائنا أننا سنشارك .. كان من الأسماء التي أعلنت بالإضافة لي ولإياد مي اسكاف ويم مشهدي وعديدون وآثر البعض عدم الإعلان عن مشاركتهم .. تم تحديد الموعد ب 13 /7 الساعة السادسة مساء ، وأعلنا أننا سننزل للتظاهر مطالبة بالإفراج عن المعتقلين ووقف القتل وعودة الجيش إلى الثكنات وإلغاء المادة الثامنة من الدستور والتي كانت تنص على أن حزب البعث هو الحزب القائد للدولة وللمجتمع..

في 12/ 7 صديقتي زينة وشقيقتها الصديقة ساندرا بيطار قررتا أن تستضيفاني في بيتهما خوفاً من اعتقالي ، وكنت قد أرسلت طفلي قبل ايام إلى السويداء بسبب تعرضهما لمحاولة أذى من الشبيحة المتمركزين أمام بيتي..

وبمناسبة الحديث عن ذلك فهي تجربة تستحق الذكر.. أمام البناء الذي كنت أقطن فيه في منطقة - برزة حاميش - تمركزت مجموعة من الشبيحة مكونة من 6 شبان خصيصاً من أجلي. كانت مهمتهم إلقاء الكلام البذيء والإساءة لي عند كل مرور للدخول إلى البناء أو الخروج منه..

و قد وضعت رسائل تهديد لي بالقتل على الزجاج الأمامي للسيارة أكثر من مرة ..

في أحد الأيام علمت أن أحد الشبيحة يقطن في نفس الحي مع والدته..

فقررت أن أتوجه إلى أمه بصفتي أم أيضاً .. فتحت الباب ففوجئت لرؤيتي وارتبكت.. قلت لها أرغب باحتساء فنجان من القهوة معك..

دعتني للدخول فدخلت.. قلت لها في ذلك اليوم بغض النظر عن بقاء هذا النظام أو زواله فنحن ولاد بلد والبلد أبقى لنا من كل شيء.. أنا أم وأنت أيضاً ولا أظن أنك راضية عما يقوم به ابنك ورفاقه معي كما أنني أخشى على أولادي منهم..

كان حديثاً طويلاً ومؤثراً انتهى بوعد منها بأن ابنها لن يزعجني بل سيعتذر مني..

في نفس اليوم مساءً رن جرس الباب فتحت الباب فوجدته يقف أمامي خجلاً.. دعوته للدخول واحتسينا العصير، اعتذر مني ووعدني أنه سيحمي ابنائي ولن يزعجني بعد ذلك، ولكنه يخشى من البوح بذلك لبقية المجموعه لذلك هو مضطر للوقوف معهم ...

بعد أسبوع تماما رن جرس الباب بطريقه مرعبة هرعت إلى الباب ، كان هو أيضا قال لي ..سامر (ويقصد احد الشبيحة الاخرين) مختبئ بالقبو وينتظر صعود ابنتك التي تقف مع صديقتها أمام البناء ويريد ايذائها..

ارتجفت وربما لم يأخذ مني الوصول إلى الطابق الارضي أكثر من دقيقة كنت أصرخ كالمجنونة .. كانت ابنتي الطفلة ماتزال تقف مع صديقتها وخرج سامر من القبو أثر صراخي..

أمسكت به وصرت أصرخ به كالمجنونة تجمع البقية حولي بذهول.. صعدت منى ابنتي إلى المنزل بعد أن طلبت منها ذلك وصرخت بهم "يلي بيقرب على ولادي يا ويلو مني فهمتوا.. "

كنت أصرخ وأمسك بسامر وأهزه بجنون .. كان ذلك لدقيقتين وسط جمود الجميع.. انفجرت بالبكاء ... وصعدت إلى البيت. أخذت أبنائي مازن ومنى ونزلنا إلى السيارة وأخذتهم في نفس اللحظة إلى السويداء ليقيموا هناك مع خالتهم... منذ تلك الحادثة وأبنائي في مكان وأنا في مكان فمصدر دخلي الوحيد في دمشق من خلال عملي ، كما أن كل نشاطاتي الثورية التي أقوم بها في دمشق...

وأعود الآن إلى مظاهرة المثقفين .. قضيت يومي ذلك في بيت "ساندرا" و"زينة" .. وتوجهنا في المساء إلى بيت "إياد" و"علا" وكنا نتأكد من أن كل شيء على أتم استعداد..

في بيت إياد التقينا أمجد سيوفي أحد الشباب الذين صوروا كل المظاهرات و"الشهيد لاحقاً" .. جلست معه على الشرفة وحدنا كما طلب وقال لي إن هناك بعض المسؤولين عن التنسيقيات في ريف دمشق يرغبون باللقاء بي قبل المظاهرة ..

خرجنا وتوجهنا معا إلى ريف دمشق والتقيت بالبعض منهم وقالوا لي إنهم سيشاركون بالمظاهرة أيضاً ..

عدنا إلى بيت إياد وكان هناك نقاش جدي حول احتمال اعتقالنا من عدمه.. إياد كان مصراً أنهم لن يقوموا بهذا بينما كنت على قناعة أنهم حتماً سيعتقلوننا..

فخروجنا دون اعتقال سيشجع كل الشرائح الشبيهة بنا بالإعلان عن النزول والخروج إلى الشارع ، واعتقالنا بحد ذاته سيكون أزمة للنظام لأنه سيعري كذبه حول ماهية المتظاهرين وسبب اعتقالهم..

7/13 الساعة الخامسة اتصل بي إياد قال لي إن قوات الأمن تقوم بإغلاق منطقة الميدان عند جامع الحسن لمنع المظاهرة.. قررنا أن نتوجه إلى هناك مبكراً لنكون في استقبال الناس وخشية منا في حال تأخرنا بعدم القدرة على الوصول إلى المنطقة وبالتالي توريط من وصل دون مشاركتنا..

توجهنا إلى هناك أنا ومي ويم وصلنا في الساعة السادسة إلا ثلث.. بدأ البعض بالوصول تباعاً كنا بالعشرات.. لحظات وأحاطت بنا قوات مدججة بالسلاح من الأمن والشرطة والشبيحة بينما كنا عزلاً ..

اقترب منا العقيد الذي يقود المجموعة ووقف أمامنا بدأنا بنقاشه ، طلب منا المغادرة. أذكر أنني قلت له هذا حقنا الدستوري ونريد أن نتظاهر نحن لسنا مسلحين رفعت يدي إلى الأعلى وهتفت سلمية سلمية .. هتف الجيمع رافعين أيديهم معبرين عن سلميتهم ..سلمية سلمية.. بدأ الشبيحة بالصراخ وتوجهوا إلينا بالكلام البذيء فقررنا الهتاف..

صرخنا معا الله سوريا حرية وبس... لحظات وانقضوا علينا وبدأوا باعتقالنا وجرنا إلى الباصات الواقفة تحت الجسر والمعدة لاعتقالنا ...

في نفس اللحظة أرسلت رسالة لأصدقاء قبل أن يتمكن العنصر الذي يمسك بذراعي من سحب الجهاز مني .. رسالة تحمل كلمة واحدة (اعتقلونا) وكانت تلك الكلمة تعني نشر الخبر على وسائل الإعلام..

في الباص كان بعض الشباب ينزفون وقد تلقوا ضربات على رؤسهم بالهراوات..

في الباص كنت أنا ويم مشهدي ومي اسكاف وإياد شريجي وباسل شحاذه (الشهيد لاحقاً) والمبتسم دائماً حتى في أصعب الظروف وفادي زيدان ودانا بقدونس ومحمد وأحمد ملص ونضال حسن والمحامية مجدولين حسن وساشا أيوب وغيفارا نمر وآخرون .. كنا ننظر إلى وجوه بعض لنشجع بعضنا بعضاً ونستمد القوة لمواجهة المجهول القادم من ألق العيون و النفس..

في قلبي لم يكن هناك أدنى شعور بالخوف وبالرغم من كابوس الاعتقال الذي لطالما رافقني لسنوات خوفاً منذ بدأت بنشاطي بحقوق الإنسان والمجتمع . إلا أن لحظة الاعتقال قتلت شعوري بالخوف في معادلة غريبة لم أفهمها حتى الآن.... فبعد صعودي إلى الباص ويقيني أنني اعتقلت اعتراني شعور بالطمأنينة والشجاعة لا يوصف ولم أفهم سبب ذلك بالرغم من أننا لم نكن نعلم إلى أي فرع نتجه تحديداً ولا المصير الذي سنلاقيه ...

وصلنا إلى فرع الأمن الجنائي في منطقة باب مصلى ، أنزلونا إلى القبو وكانوا يصرخون بنا:

على الأرض على الارض ..

جثونا على الأرض وبدؤوا بأخذ أغراضنا الشخصية وتسجيل أسمائنا ..

لم أكن أعلم ما الذي يحصل في الخارج .. هل خرج بقية من وعدوا بالخروج... ؟ هل خرجت المظاهرة .. ؟ ماذا سيحصل لنا.. ؟ كان لدي قلق مضاعف فسجلي الأمني بات حافلاً ولم أكن أعلم فعلاً ما الذي ينتظرنا..

كنا نتبادل النظرات بانتظار القادم...

أربعة أيام في سجن فرع الأمن الجنائي باب مصلى

جثونا على الارض متجاورين ..... ثم بدؤوا بتسجيل أسمائنا واستلام أغراضنا والتحقيق معنا ..

ثم نقلنا إلى أماكن الحجز متجاوريين..بعد لحظات أحضِرَت دفعة أخرى من المعتقلين وبتنا في ثلاث زنزانات..

كل غرفه بمساحة أربعة أمتاروفيها ما يزيد عن عشرة محتجزين ولا يوجد فيها أي شيء إلا البلاط البارد... ودون أن يكون فيها أي غطاء أو أي شيء للجلوس عليه ولا حتى قطعة من القماش..

كان الإرتباك واضحاً على الضباط الذين يسيطرون على المكان ، وهذا عكس ارتباكاً على مستوى أكبر في قيادات المكان والمسؤولين لدى النظام .. لأن اعتقال شريحة من المثقفين والفنانين كانت ستعريهم تماماً ، كما أن الإعلام سينشر باستفاضة عن المظاهرة والاعتقال...

نُفِّذَتْ إجراءات التفتيش والتعرية للشبان بشكل مهين..

كما تم تفتيش السيدات من قبل سجانة تم احضارها لهذه الغاية في غرفة خاصة مغلقة في نفس المكان..

لم نكن نعرف ماذا يحصل بالخارج ، وكان لدينا أسئلة كثيرة عما إذا كان هناك مظاهرات قد خرجت في ذلك اليوم والتزام بالدعوة التي كنا قد دعونا إليها كما كان متوقعاً ، أم أن اعتقالنا أنهى المظاهرة وأدى إلى اعتقالنا فقط..

كان واضحا أن هناك أوامر بعدم تعذيبنا كما يحصل عادة للمعتقلين .. بسبب تلك العوامل وكنا نتساءل فيما إذا كانوا سيطلقون سراحنا فوراً أم سيستمر اعتقالنا .. بعد ساعات اتضح أنهم بدؤوا بالإجراءات القانونية ، حيث تم اقتيادنا إلى غرف أخرى وتم تصويرنا فيما يسمى فيش وتشبيه وأخذ البصمات..

شعور بالقرف هو ما انتابني حين حملت الرقم وأخذت لي الصورة بوضع جانبي ومواجهة ، حيث تم تحويلي في لحظة كما كل الآخرين من كاتبة سيناريو إلى مجرمة ، كل من يقول لا لهذا النظام هو مجرم هكذا جرت العادة في بلاد الخوف ..

كانت المرة الأولى التي أتعرض فيها للاعتقال والحجز في حياتي. فأنا لم أخالف يوماً حتى إشارات المرور .. كان شعوراً غريباً لكن ما أذكره تماماً أن الأكبر سناً بيننا وهم مجدولين وأنا ويم ومي كان يجب أن يطمئنوا الأصغر سناً من الشابات المعتقلات معنا، ويبدو أن الجميع كان يفكر بنفس تلك الطريقة حتى هنَّ مما جعلنا نتحدى حالة الحزن والانكسار عبر الهتاف من داخل السجن و إنشاد الأغاني الوطنية مثل موطني والنشيد الوطني السوري وهو ما كان يستفز سجانينا ويؤدي إلى صراخهم علينا في محاولة لإسكاتنا..

في لحظة غضب عارمة في اليوم التالي قرر المحقق عقابنا.. فقام بنقلنا إلى زنزانة أخرى أكثر سوءاً كان يحتجز فيها مجموعة من بائعات الهوى من المتهمات بالدعارة وجرائم جنائية و الموقوفات في نفس المكان من أجل إهانتنا وإشعارنا بالذل..

أدخلونا إلى النظارة وأغلقوا الباب.. كان المكان معتماً للغاية ولا يوجد فيه أية إضاءة إلا قليلاً من الضوء كان يدخل عبر فتحة الباب المعدنية..

لم أتمكن من الجلوس.. لم أحتمل فكرة وجودي في هذا المكان بقيت واقفة بالقرب من الباب وبدأت دموعي بالانهمار.. لم أعرف مقدار الوقت الذي قضيناه في المكان ..

كان الضابط المسؤول يمر مراراً ويحدق بي مستغرباً عدم جلوسي ..

لم أحتمل فكرة وجودي في هذا المكان كما لم أحتمل رؤية صديقاتي في هذا المكان ولا نظرات السجينات الأخريات اللواتي كنَّ ينظرن الينا شزراً!!!

فُتح باب الزنزانة وطلب الضابط إحضاري إلى غرفة التحقيق..

أُدخلت ووقفت أمام المحقق.. قال لي : ليش بعدك واقفة وما عم تقعدي ؟

قلت له : هذا ليس مكاننا.. وأنتم تزيدون الشرخ بيننا..

نظر حوله بضيق وقال لي : سنعيدكم إلى غرف حجزكم الأولى لكن إن سمعت أي هتاف أو صراخ ستتحملين أنت المسؤولية..

بعد لحظات أعادونا إلى غرف الحجز الأولى وأخبرتهم بما قال لي الضابط..

كانت تلك الليلة صعبة لم نتكلم حتى الصباح ونمنا جميعا وفي داخلنا شعور كبير بالقهر..

تم التحقيق معنا مراراً وتكراراً بشكل فردي وكنا نردد جميعا نفس المفردات..

دون أن نعطيهم أي إجابة كانوا يريدون سماعها أو أية معلومات...

لم نكن نشعر بالوقت فقد تمت مصادرة ساعاتنا وبما أن السجن تحت الارض وليس هناك نافذة ، فلم نكن نعرف تماماً ما هو الوقت وكنا ننام ونستيقظ متلاصقين حيث لا مساحة لنا فالمكان ضيق والجو خانق.. وكنت أحصل على بعض الهواء البارد حين أقف تحت فتحة التهوية في الممر حين يتاح لنا هذا أو حين يسمح لنا بالدخول إلى التواليت..

كانت مجدولين تجلس على العتبة وكأنها تريد حماية البقية من أي متلصص للنظر أو أي دخيل..

مجدولين المحامية والتي تتمتع بقوة الشخصية والمرح خلقت جواً رائعاً بيننا.. وكانت تحاول طمأنتنا دائماً عبر رواية قصص من اعتقالها السابق وكان هذا يجلب الكثير من الطمأنينة للجميع..

كنت أفكر في أولادي طوال الوقت ، كذلك يَم التي كانت تفكر في ابنها الوحيد أيضا.. ولم نكن نجرؤ أبداً على الإفصاح عن حنيننا واشتياقنا لأولادنا كي لا نضعف الآخرين ..

لحظات قليلة بعد أن يغفو الجميع كانت تكفي ليكون البوح ولإفساح المجال لبعض الدموع بالانهمار .

كنا نحدق في وجوه بعضنا .. ونتحدث لساعات قبل أن نغفو ودموعنا تحرق وجناتنا بخفية عن البقية ...

في اليوم التالي حضر مدير السجن ووقف عند الباب وقال : (مين يم وريما ومي) وقفنا نحن الثلاث فنظر إلينا وقال : كركبتوا الناس وازعجتوا أهل الميدان ..

ليش هيك عملتوا.. ؟

قلت له : نحن ما عملنا شي غلط تسجنونا منشانه.. نحن عم نعبر عن رأينا..

قال لنا : أهالي الميدان انزعجوا منكم وها أنتم تسببتم بمشكلة لأبناء الحي

صرخت به مجدولين ومي مكذبين.. وأكمل قال : نحن لن نؤذيكم ولكن لا نعلم متى سيطلق سراحكم..

صرخت به : لا يهم بعد ثلاثة أيام أو ثلاثة أشهر أو ثلاث سنوات لا يهم سنكون أحراراً وسيأتي اليوم الذي ستحاسبون فيه..

كظم غيظه وغادر. وفي هذه اللحظة قررنا أن نعلن إضراباً عن الطعام ..

وكنا مدركين أن ما يدعيه الضابط يعني أن العكس صحيح وأن هناك ضغطاً إعلامياً باتجاه إطلاق سراحنا..

أعلنَا إضرابنا عن الطعام لإدارة السجن واستطعنا إيصال ورقة للشباب فانضموا إلينا بالإضراب في نفس الزمان... جن جنون إدارة السجن ..

حضر مدير السجن مرة بعد مرة ، كما حضر كل الضباط في محاولة لمنع ذلك دون جدوى ، وقلنا لهم بشكل حازم ، إننا لن نوقف إضرابنا حتى يتم إطلاق سراحنا... في ذات اليوم تم تسريب خبر إضرابنا إلى الخارج ولم نكن نعلم ذلك .. وهذا سبب جنوناً إضافياً لإدارة السجن..

في لحظات من النهار كان يسمح لنا بالوقوف في الممر بين الغرف وكنا نلتقي مع الشباب المعتقلين معنا في نفس الممر بالاضافة للآخرين..

كان المركز يحتجز بعضاً من الشبيحة الموقوفين بسبب ضربهم الحجارة على السفارات الأجنبية في دمشق في إجراء شكلي على ما يبدو حيث كان لديهم حرية الحركة والتنعم بكل ما يريدون بعكسنا تماماً.. وكانت مجموعتانا تتبادل النظرات شزراً بين الحين والآخر ..

فكلمة الشبيحة بالنسبة إلينا تعني أدوات النظام لضرب واعتقال المتظاهرين و المتظاهرات .. وكانوا يستخدمون عمال البلديات وبعض من يطلق سراحهم من جنح وجرائم بالإضافة إلى بعض العاطلين عن العمل وبالتأكيد هناك شريحة من طلاب الجامعات وخاصة إتحاد الطلبة..

استخدَم الشبيحة في تفريق المظاهرات بضوء أخضر من النظام السلاح الابيض والهراوات والكابلات وعصي الكهرباء وكانوا يقومون بمثل تلك المهمات بمقابل مادي يدفع لهم من أجهزة المخابرات..

في الممر الكائن بين الزنازين وقفنا مجموعة من المعتقلات والمعتقلين كنا أنا ويم ومي واحمد ومحمد ملص.. وقف مقابلنا أحد الشبيحة المعتقلين . وكان من مدينة درعا وكان شاباً في الثلاثينات وقد ارتدى تي شيرت مرسوماً عليه صورة بشار الأسد ومكتوب عليه منحبك.. ووقف إلى جانبه رجل ملتحٍ من الشبيحة في منتصف الأربعينات هزيل الجسد ويبدو على ملابسه الرثة فقر الحال.. وكان يرتدي أيضاً نفس التي شيرت..

كسر الحاجز بيننا وبدأنا بشجار بارد قال لنا : أنتم خونة.. تتآمرون على سوريا وكان هذا الاول..

كان الثاني يرمقنا ببلاهة لا توصف ..

سألته مي ويم : أنت من وين.. فأجاب : أنا من جبلة.. فقالتا له : وشو جابك على الشام تشبح علينا ..

قال لها : كنت بياع عرانيس وعندي خمس ولاد ومو ماشي الحال جابوني لهون وعم يعطوني راتب ..

ثم صمت ...

نظرت إلى الأول.. قلت له : لماذا تضربنا حين نتظاهر ؟ ومن قال لك إننا متآمرون.. ؟ شو فيها كلمة حرية.. ليش بتزعجك.. ؟

قال : هني قالولنا إنكم متآمرون..

قلنا له : لما منقول حرية منطلبها إلنا لحالنا ولا لكل السوريين؟؟

صمت.. فكر لبرهة.. قال لكل السوريين...

قلنا له إذاً هل نستحق أن تضربنا وتقول عنا خونة؟ صمت أيضاً ولم يجب...

قلت له : لو ارتديت قميصاً وكتبت عليه حرية وطلعت على الشارع شو بيصير؟

قال : بيعتقلوكي ..

قلت له : أنت لابس صورة بشاروكاتب منحبك حدا تعرضلك شي.. ؟ أنت سوري وأنا سورية ليش بيحقلك تعبر عن رأيك ونحن لأ.. ؟

صمت الاثنان وصمتنا جميعاً..

بعد لحظات سألَنا أحدهم : هل مازلتم مضربين عن الطعام؟

أجبنا : نعم .. نظروا إلينا وقالوا : سنضرب عن الطعام معكم حتى يطلق سراحنا أيضاً

كان اليوم الثاني للإضراب وبدأنا نشعر بالإرهاق والجوع.. ومع هذا فقد تابعنا حالة الإضراب..

عاد إلينا مدير السجن محاولاً إقناعنا بالعدول عن الإضراب وكان يوم الخميس..

ورفضنا ذلك ..

في اليوم الثالث كان يوم الجمعة ، وهذا يعني يوم التظاهرات . لم نكن نعلم أن هذه الجمعة سميت بجمعة "أسرى الحرية" وأن مظاهرات انطلقت في كل مكان من سوريا ورفعت أسماءنا و طالب المتظاهرون بإطلاق سراحنا..

لم نكن نعرف أن الشيخ سارية الرفاعي و خلال خطبة الجمعة ذكر أسماءنا وطالب بإطلاق سراحنا .. وهذا يتجاوز ما جرت عليه العادة وما كان مألوفاً في ثقافتنا الموروثة خاصة وأن معظم المعتقلين كانوا من أبناء وبنات الأقليات ومن العلمانيين..

بدأت أشعر بألم في المفاصل من النوم على البلاط مباشرة وبدأت عظامي تؤلمني.. خاصة وأن لدي حالة قديمة من التهاب المفاصل.. ثم أصبح جلوسي وقيامي صعباً جداً بسبب الألم ، ومع هذا فجو الود الذي كان بيننا جميعاً كان يخفف كل الضغط النفسي الذي كنا نشعر به..

لاحظنا في ذلك اليوم اختفاء عدد كبير من عناصر الأمن العاملة في فرع باب مصلى وقدرنا أن ذلك بسبب مشاركتهم في قمع المظاهرات كما يحصل في كل جمعة..

في مساء ذلك اليوم تم جمعنا في بهو الفرع جميعاً..

وقفنا مقابل بعضنا البعض وطلبوا منا الوقوف باستعداد فهناك زائر يريد أن يتحدث معنا جميعاً..

دخل قائد شرطة مدينة دمشق برفقة مدير السجن.. ووقف بيننا وبدأ يحدثنا عن ضرورة فك الإضراب وعن تقديرهم لنا كمثقفين وعن حرص إدارة السجن على معاملتنا الجيدة..

قلنا له : لن نفك الإضراب حتى يطلق سراحنا.. وتؤمن طلباتنا..

حينها أعلن لنا أن اليوم التالي أي السبت ستتم إحالتنا إلى المحكمة ، وغالباً هناك سيطلق سراحنا تحت قيد المحاكمة وبدأ يرجونا أن نفك الإضراب..

شعرنا بالسعادة فغداً سيكون يوم إطلاق سراحنا ..

أصرت إدارة السجن على فك إضرابنا وتحقيق طلباتنا.

فتم تزويد السجن وكل الزنازين بفرش وأغطية وإحضار الادوية التي نحتاجها.. "أذكر أنني طلبت مسكن لآلام المفاصل وحصلت عليه "

وبقي قرار فك الإضراب..

حضر مدير السجن ووجد أننا لم نفك الإضراب بعد فقلنا له : يجب أن نصوت على الموضوع جميعاً الشباب والفتيات..

استجاب في مفارقة غريبة وكان هدفهم فك إضرابنا قبل التحويل إلى المحكمة للخلاص من منظر الإرهاق الذي ظهر على وجوهنا..

تم جمعنا جميعاً وقالت مجدولين لمدير السجن : الان ستشاهدون أول تجربة بالديموقراطية..

لم يرد وكان يكظم غيظه من استفزازنا الدائم..

تم التصويت وكان هناك فرق أربعة أصوات بين فك الإضراب إو الاستمرار فيه لصالح فك الإضراب.. وأذكر أنني صوتت لصالح الاستمرار في الإضراب كما كان هذا موقف معظم الفتيات..

أحضر لنا العشاء المؤلف من فريكة وحلاوة وزيتون..

وكانت المرة الاولى التي نتذوق بها حلاوة السجن ..

ضحكنا كثيراً واتفقنا أن "حلاوة" هي كلمة السر بيننا حين نخرج...

في تلك الليلة عرض محمد وأحمد ملص أمام السجانين والسجناء مسرحيتهم الثورية التي كنت قد شاهدتها في السابق.. في مفارقة غريبة كانت تعني أن غالبية عناصر السجن في قرارة أنفسهم متعاطفون معنا ..

كانوا يصفقون ويضحكون حتى حين يسخر محمد من رجل الأمن في عرضه المسرحي..

في الصباح..

تم تقييدنا بالجنازير بالأيدي جميعاً وبسلسلة واحدة متصلة بقيود وضعت في أيدي كل منا.. مقابلنا تماماً كان الشبيحة الموقوفون مقيدين أيضاً..

في مفارقة عميقة رأيتها بعيني تلك اللحظة:

النظام يؤذي الجميع ويهين الجميع..

كنت أنظر إلى القيود في يدي وأيدي المجموعة والسلاسل التي تجمعنا بقصد إذلالنا والتي لم تخلق في داخلنا إلا تحدياً إضافياً لهم.. أُخرجنا.. بدأنا بانشاد النشيد الوطني السوري وسط صراخ الشرطة المرافقة التي كانت تأمرنا بالصمت دون جدوى وتحرك بنا الباص إلى المحكمة.

"في المحكمة"

أربعة أيام من الاعتقال كانت كافية للتوق إلى الحرية مرة أخرى ، وكنا نحترق لإزالة القيود والخروج من المحكمة أحراراً.. لا بد أن تجربتنا الصغيرة تلك لا تضاهي أبداً السنوات والأشهر التي يقضيها معتقلو الرأي تحت ستار العتمة في سجون النظام.. ولا شك أبداً أنني أنحني احتراماً لكل الهامات الكبيرة التي قضت ربيع شبابها وعمرها تحت سياط جلادي الأسد..

كنت أفكر في مكالمة أولادي وشقيقتي وأتوق لسماع صوتهم ورؤيتهم فأنا لم أعرف عنهم شيئا طوال الأيام الأربعة في الاعتقال ...

كنت أتوق أيضاً لحمَّام دافئ ووجبة ساخنة من الطعام ..

وصلنا إلى المحكمة حيث تجمع أمامها عشرات المنتظرين لاستقبالنا من الأصدقاء والناشطين.. وحين نزلنا من الباص بدؤوا بالتصفيق وتشجيعنا.. رؤية هذا الكم من الأصدقاء كان كافياً ليُدْفِئَ قلبي ويُطَمْئِنَ روحي..

دخلنا إلى المحكمة وتم اقتيادنا إلى نظارة المحكمة بعد فك القيود..

كانت النظارة ممتلئة بالموقوفات والسجينات المحالات إلى المحكمة ..

وقد تعرضت إحداهن إلينا بالصراخ والشتم مراراً دون سبب وحاولت إيذاء مي أكثر من مرة ..

امرأة في العشرينات وتبدو حاملاً في أشهرها الأخيرة.. كالت لنا العديد من الشتائم القذرة .. وحاولت التهجم علينا مراراُ.. مما أوضح أنها مدفوعة لذلك..

كنت ألمح في عينيها عدم توازن وغضب مجهول.. لم تكن تلك المرأة إلا ضحية اغتصاب واستغلال في الدعارة بعد ذلك.. لقد قصت علي قصتها حين اقتربت منها أثناء صراخها.. وضعت يدي على كتفها وابتسمت بوجهها.. لربما كانت تلك هي البسمة الأولى التي رأتها منذ زمن.. قلت لها بيكفي صراخ.. ليش متضايقة و بأي شهر أنت.. احْكيلي قصتك..

جلست إلى جانبها وروت لي مأساتها وتوقفت عن التعرض إلينا نهائيا بعد أن انهارت بالبكاء..

بعد ساعات تم اقتيادنا إلى غرفة القاضي.. دخلنا فرداً فرداً.. وتم سؤالنا عن المظاهرة وتلقينا محاضرة عن ضرر التظاهر بدون ترخيص والخطأ الذي قمنا به..

في الردهة وبينما كنا ننتظر لمحت علا.. وكان هناك الكثير من ذوي المعتقلين والمعتقلات .. لم أجد أحداً من أقاربي.. فوالدي متوفى ووالدتي أيضاً..

وأولادي وشقيقتي في السويداء.. تحولت في لحظة إلى طفلة وبدأت بالبكاء .. في تلك اللحظة كنت بحاجة كتف والدي لأبكي عليه أو عناق أمي.. كنت أريد عناق أولادي وتقبيل وجناتهم .. كنت بحاجة الجميع..

أحاطتني الصديقات في تلك اللحظة وبدؤوا بالتخفيف عني.. اكتشفت في تلك اللحظة أن عائلتي أكبر بكثير مما كنت أظن.. إنها كل من انتظرنا في ذلك اليوم وكل من خفف عني..

الكثير من المحاميات والمحامين كانوا هناك متطوعين للدفاع عنا .. وجوههم مليئة بالطمأنينة والشجاعة وابتساماتهم أحاطت بردنا بالدفء والأمان..

لحظات وتم ختم يدنا بكلمة إفراج.. نعم في سوريا وفي تعبير أخير عن الإذلال تختم كف اليد مباشرة بكلمة إفراج...

نظرت إلى كفي ملياً وإلى أثر الحبر عليها وقرأت الكلمة بتمعن مرة بعد مرة بينما كنت أعبر الممر نحو الخارج ليزيد إدراكي أن الحرية نأخذها بأيدينا فقط ..

هكذا قرأت تلك العبارة المرسومة بحبر أزرق من ختم السجان على باطن كف يدي اليمنى وأنا أرفعها للشمس مع بقية الأصدقاء حين التقينا بمن ينتظرنا خارج المحكمة من الأصدقاء والناشطين...

اعترفت مجدولين للجميع أنها المرة الأولى لها بالاعتقال وأنها كانت تحاول طمأنتنا فقط وهذا يعني أننا كنا مضطرين لاحتمال كل محاضراتها دون وجه حق ضحكنا كثيراً في ممر المحكمة المؤدي للخارج!! ..

بدأنا بالخروج واحداً تلو الآخر وسط من ينتظرنا بالخارج.. استقبال دافئ من كل الاصدقاء.. وقررنا انتظار الجميع في قهوة قريبة من المحكمة..

رافقنا العشرات من المستقبلين.. لحظات حتى هوجمت القهوة من قبل الشبيحة..

صاحب المقهى أغلق بابها المعدني في محاولة لحمايتنا .. اتصلنا بالنائب العام والشرطة دون رد.. وتم نقل الخبر إلى الجزيرة حيث ذكر أننا محاصرون في قهوة من قبل الشبيحة..

مما اضطر بعض أفراد الشرطة للتدخل دون جدوى... كان باب المقهى على وشك التحطم.. مما دفعنا لقرار الخروج من المقهى ومواجهة المصير حرصاً على المكان..

أذكر تلك اللحظة وأذكر دموع صاحب المقهى الرجل السبعيني الذي نظر إلينا وقال : سامحونا يا عمو ما قدرنا نحميكم ..

في تجاعيد وجه ذلك الرجل تكمن الشهامة وكبرياء الرجل الدمشقي .. كم أتمنى أن تتاح لي الفرصة لشكره مرة أخرى ..

خرجنا إلى الشارع وبدأت الحجارة والعصي بالانهمار علينا من قبل الشبيحة .. جرينا في الشوارع كالمجانين وبدأنا بإيقاف سيارات الأجرة ..

ركبت سيارة أنا ودانا وإحدى المحاميات المدافعات عنا ومحامي شاب آخر..

نظرات السائق كانت مخيفة وكأنه تعرف علينا وانتوى القيام بأمر ما.. لحظات وانعطف بنا إلى اتجاه آخر، طلبنا منه التوقف إلا أنه توقف أمام فرع للأمن..

وبينما ترجل من السيارة ليخبرهم بالصيد الثمين الذي أحضره ، هربنا منها كالمجانين.. فاعتقالنا الآن سيكون كارثة ولن يعرف به أحد ولن يتوقعه أحد وهذا يعني إمكانية تصفيتنا بعيداً عن وجود أي دليل على وقوعنا بيد النظام..

اختبأنا في داخل إحدى الأبنية لما يزيد عن الساعة وكنا نراقب تجوال الأمن الباحثين عنا..

وبعد توقفه خرجنا إلى الشارع مجدداً واستقلينا سيارة أجرة أخرى لنتجه إلى بيوتنا ونصلها بأمان..

"عزاء الشهيد في برزة في ليلة الافراج"

أولادي كانوا في السويداء تكلمت معهم عبر الهاتف وكان يجب أن أنتظر اليوم التالي من أجل السفر إليهم..

وصلت المنزل حوالي الساعة السادسة مساءً.. بعد ساعتين اتصل بي صديقي الكاتب عبد المجيد وقال لي هناك عزاء شهيد في برزة البلد ويرغبون بحضورك..

خلال ساعتين كنت هناك دخلت إلى المكان وكان هناك آلاف من الناس في مكان مفتوح في الشارع للعزاء.. استقبلت استقبالاً حاراً لا يمكن أن أنساه ما حييت ...

هتفوا لي يا هلا بريما فليحان .. الشعب السوري مابينهان...

وطلبوا مني التكلم.. تكلمت على المكرفون ونقلت مشاعري لأهالي برزة الأبطال وهتفوا لي مراراً وهتفنا معا للثورة وللشعب السوري..

واحد واحد واحد الشعب السوري واحد

هذا الهتاف تحديداً كان يحرك في أعماقي ثورة أخرى .. ثورة على الطائفية ..ثورة على المناطقية .. ثورة على كل الحواجز والأسوار العالية التي طالما بناها النظام بين أبناء الشعب الواحد..

عدت إلى المنزل.. لم أعلم أن مقطع الفيديو لي بالعزاء قد رفع على اليوتيوب اتصلت بي البيبي سي لأعلق على مشاركتي بالعزاء في نفس يوم إطلاق سراحي..

جن جنون الشبيحة وكانوا أمام البناء وعلى الدرج..

كنت وحدي ليلاً.. كانوا ستة.. الجيران لم يجرؤوا على التدخل فتدخلهم يعني ايذاءهم أيضاً.

دخول هؤلاء إلى المنزل كان يفتح كل الاحتمالات بما فيها قتلي..

اتصلت بأهالي برزة الذين سارعوا إلى القدوم خلال دقائق كوني أقيم في برزة. نخوتهم لا يمكن أن أجزيها حقها من الوصف واستجابتهم السريعة كانت كافية لهرب الشبيحة.. لقد تم إنقاذ حياتي..

لكن هذا كان يعني أنه لم يعد بإمكاني المكوث في نفس المكان ..

هربت إلى منزل إحدى صديقاتي التي استأجرت لي منزلاً باسمها وبدأت بتقليل الحركة وعدم الذهاب إلى مكان سكني القديم..

ذهبت إلى السويداء فجراليوم التالي ورأيت أطفالي، كنت أختنق من أجل ضمهم والحديث معهم وكانوا يتحرقون أيضا لرؤيتي ..

بعد يومين من هذا صدرت مذكرة اعتقال من الأمن السياسي بالسويداء وهذا كان يعني أنني لن أتمكن من الذهاب إلى السويداء مرة أخرى..

خلال أسبوعين صدرت مذكرة أخرى من فرع المنطقة بدمشق باعتقالي..

وبدأ أصدقائي يقنعونني بالهرب دون أن يتمكنوا من ذلك في البداية..

تم نقل تهديد جديد غيرمباشرلي بالتصفية .. وبدأت تصل إلى موبايلي رسائل تحديد موقع .. وبت أشعربالملاحقة أكثرفأكثريوماً بعد يوم...

"رأفت الرفاعي مرة أخرى"

"ألومرحبا... إلي عندك شي مية كف وعشرات ضربات الكهربا وجولات تعذيب"

هكذا بدأ الشخص المتكلم مكالمته على الهاتف قبل أن أدرك أن المتكلم هو الصحفي رأفت الرفاعي معبراً عما حصل معه مباشرة بعد كتابته لتلك المقالة التي دافع فيها عني فيما يتعلق ببيان أطفال درعا...

رأفت والذي اتصل بي بعد خروجه من السجن ليعملني أنه كان يخشى عدم استمراري ، وأن لا أستحق ما تعرض له من أجل دفاعه عني . تعرض للاعتقال من المخابرات الجوية في حلب بسبب تلك

المقالة ولكنه شعر بالارتياح ونسي كل ما تعرض له حين خرج وعلم أنني تابعت واعتقلت وأكملت الطريق..

في سوريا ليس سهلاً أن تقول كلمة حق وأن تكون صحفياً قادراً على التعبير دون حساب للنتائج ، وهذا يعني أن الكلمة وحدها في بلاد الطغاة ثورة..

تحية لك رأفت ولكل الأقلام الحرة..

"رمضان 2011"

كان رمضاننا الأول في الثورة وكان لدى الجميع شعور كبير بأن النصر سيكون حليفنا في رمضان بسبب الزخم اليومي والروح المعنوية العالية.

كان الهم والهاجس تحقيق الوصول إلى الساحات .. وكيفية الاستفادة من زخم رمضان لصناعة الانتصار..

في رمضان أصبح التظاهر يومياً ..

توجهنا إلى الجوامع في الميدان وأحياء دمشق القديمة، وخرجنا مراراً مع الخارجين نحو الحرية من الجوامع بعد صلاة التراويح..

في منتصف ذلك الشهر توجهت مع زينة وأحمد ونور إلى حي الميدان حيث أعلمنا بتظاهرة ستخرج من أمام جامع الدقاق.

بالفعل وصلنا وبدأت المظاهرة كان هناك تواجد أمني كثيف وإطلاق للرصاص الحي..

أطلقت علينا قنابل الغاز وتلقى نور قنبلة غاز في وجهه سقط على إثرها أرضاً .. صادفت هناك أمجد السيوفي خارجاً من الجامع يحمل قماش مبلول بالخل أعطاني قطعة منها ولزينة أيضاً لنتجنب الاختناق ، وجرى مسرعاً ليساعد من تعرض للغاز أيضاً ..لحظات و تم سحبنا إلى داخل الجامع من أجل تخبئتنا..

صعدنا إلى مصلى النساء في الطابق الأعلى للجامع لنلتقي ب " م " المتوارية أيضا في نفس المكان.. و"م" كانت من الناشطات اللواتي تم اعتقالهن مرات عديدة وساهمت بشكل كبير في الحراك الثوري السلمي..

ساعات والأمن يحاول اقتحام الجامع ويطلق القنابل المسيلة للدموع، وكنا نسمع صوت إطلاق للرصاص طوال الوقت..

استطعنا التواصل مع قناتي الجزيرة والعربية وتكلمنا أنا و"م" دون أن نصرح عن اسمنا ونقلنا ما يجري. حضر شاب إلينا في داخل الجامع وطلب منا اللحاق به من أجل تخبئتنا..

وحين أذكر اتصالي بالإعلام يجدر بي توضيح أن خروجي على وسائل الإعلام في تلك الفترة كان عبر شكلين الأول باسمي الصريح في بعض المظاهرات والمواقف التي أعلنت عن مشاركتي بها كعزاء برزة وبيان الحليب ومظاهرة المثقفين ومظاهرة حمص بالإضافة لبعض اللقاءات السياسية مثل مؤتمر سميراميس الأول والذي عقد في دمشق.

والآخر بأسماء وهمية كنت قد استخدمتها وهي الناشطة حنان وهند الجبل وكنت أستخدم هذين الاسمين غالباً للحديث عن نشاطات السويداء والمظاهرات وبعض المواقف المرتبطة عضوياً بالثورة للإعلام المرئي كأقنية الجزيرة والعربية . والمقروءة ومنها بعض الصحف الاجنبية والامريكية دون أن أصرح باسمي. وهذا تطلب وجود شريحة هاتف غير معروفة بحوزتي لتجنب معرفة الشخصية الحقيقة والرقابة الأمنية , وبالفعل فقد حصلت على شريحة هاتف من أحد الأصدقاء في إحدى الدول العربية و قد عمم رقمها للإعلام من قبل لجان التنسيق المحلية للاتصال مع هند الجبل و الناشطة حنان ، وهما الاسمين الوهمين اللذين استخدمتهما على وسائل الاعلام لتغطية المظاهرات وبعض النشاطات..

وأعود معكم الآن إلى حي الميدان الدمشقي وحصارنا في جامع الدقاق حيث تم تهريبنا من الجامع وجرينا في الأزقة الضيقة بين البيوت كالمجانين ، بينما كان يصل إلى مسامعنا صوت إطلاق الرصاص والقنابل المسيلة للدموع.. وصلنا إلى منزل ذلك الشاب المجهول ، التقطنا أنفاسنا بينما كان يطرق الباب بسرعة .. استقبلتنا والدته العجوز التي استيقظت للتو على طرق الباب ، وخبأت زائرتها المجهولتين قبيل الفجر في أحد غرف المنزل وأحضرت لنا الماء البارد ..

لم أفكر للحظة أنا أوزينة او"م " من يكون هذا الشاب.. لم تخطر في بالنا على الاطلاق أية هواجس قد ترد بين شخوص لا يعرفون بعضهم . ما أدركناه حتماً في تلك المرحلة أن مثل تلك الهواجس لن ترد بين من يتشاركون لحظات الخوف والثورة ومواجهة كل الاحتمالات معاً بما فيها الموت وهذا ما يمكن أن أسميه بلحظات الحقيقة التي لا تحتمل الخداع ولا الكذب..

مكثنا هناك بضع ساعات نُقلنا بعدها إلى منزل آخر حيث كانت مجموعة من النشطاء الذين علموا بوجودنا في التظاهرة ورفضوا المغادرة قبل الاطمئنان علينا..

فجراً تمكنّا من الهرب من حي الميدان بعد أن وصلت ساندرا بسيارتها وهربتنا..

حي الميدان الدمشقي الذي كان حنوناً على جميع المتظاهرين حيث خبأت بيوته كل الفارين من أيدي الأمن دون أن يسألوهم عن اسمهم أو انتمائهم الطائفي ودون أن يكترثوا بلباسنا كفتيات غير محجبات و بالرغم من ارتدائنا لقمصان " بربع كم " خبأنا جامع الدقاق لساعات...

كانت تلك هي روح الثورة السورية في تلك الفترة قبل أن تلتف عليها الأيادي الغادرة وتطمس طابعها بأقنعة لا تشبهها..

كانت تلك الروح محركي وحافزي وبذرة إيماني في اتجاه ما أقوم به ، و من أجل تلك الروح كنت مستعدة للتضحية بكل ما املك حتى نحقق تطلعاتنا المشروعة نحو الحرية والكرامة والدولة المدنية..

من عاش تلك الفترات تعرف عن كثب على الثورة السورية قبل أن تتم سرقتها وتشويه ثوبها الأبيض الناصع ، تلك كانت الثورة التي عرفتها وآمنت بها تلك كانت ثورة السوريين بكل انتماءاتهم حالمين سائرين نحو المستقبل دون أن ندري كيف سيتم خنق براءة ثورتنا المولودة واغتصابها فيما بعد..

يقول لي الكثيرون الآن بعد ثلاث سنوات من بدايات الثورة : كنت رومانسية في النظر إلى كل ما حصل وهذا ما تلامين عليه وحدك... وأقول لهم : لم تكن تلك رومانسية بل كانت قصة حقيقة للحب والحياة والوطن كانت قصة عشق لوطن حالم بعيون أبنائه وبناته .. رومانسية تم خنقها فيما بعد عن سبق الإصرار والترصد بأيدي الكثيرين ..

"بداية التنسيق والعمل مع اللجان"

لم يكن حدثاً عادياً بل كل حدثاً استثنائياً بحجم حالة الخصوصية المرتبطة بشخص رزان زيتونة..

اجتمعنا في منزل أحد الأصدقاء خارج دمشق وحضرت رزان للقائنا كنا مجموعة من الناشطين وبعض المشاركين في مظاهرة المثقفين..

رزان لم تتكلم كثيراً وحافظت على ابتسامة كبيرة طوال الجلسة.. كانت تلك المرة الأولى التي تبعتها مرات عديدة وبدأنا بالتواصل اليومي على الشات والسكايب ومن ثم إضافتي إلى الغرفة العامة للسكايب للجان التنسيق المحلية تحت اسم هند الجبل حيث لم يكن يعرف شخصيتي الحقيقة إلا رزان وشخص آخر في اللجنة. وكنت أيضاً قد انضممت الى تنسيقية شهبا العضو في لجان التنسيق . وبدأ عملي مع اللجان يتطور شيئاً فشيئاً حتى خروجي من سوريا حيث أصبحت مع آخرين ناطقين رسميين باسم لجان التنسيق المحلية على الإعلام..

لجان التنسيق المحلية الحراك المدني السلمي الثوري والمصدر الأهم للأخبار حول الأحداث في سوريا خلال الثورة كانت الجهة التي شعرت أنها تمثلني بحق ، والجهة التي أحببتها بحق بالرغم من وجودي في كيانات أخرى لفترة قصيرة كانت كافية لاشعر بالفرق بينها وبين اللجان وخاصة فيما يتعلق بالتوجه والأسلوب والمنهجية والفكر..

منذ تلك الفترة وأنا على تواصل يومي مع رزان.. تواصل كان كافياً لخلق صداقة نمت يوماً بعد يوم خلال الثورة. وكان آخر لقاء بها في دمشق قبل خروجي بيوم حيث التقيت معها في أحد البيوت وقدمت لها باقة من الورود البيضاء كبياض عطائها وطهارة إخلاصها لإنسانيتها وللحق والحرية.. لأعبر لها عن محبتي لتلك الأيقونة السلمية المنكفئة على العمل طوال اليوم..

لم يكن قرار خروجي من البلد سهلاً ولم أكن لأقتنع لولا محاولات رزان وفادي وزينة اليومية ، خاصة بعد تأكدهم وتأكدي من أن مذكرات الاعتقال باتت ثلاثة آخرها من المخابرات الجوية وأن هناك نية تصفية مبيتة لي..

أسبوع واحد فقط فصل بين معرفتي بمذكرة المخابرات الجوية وخروجي من سوريا عبر تسهيل وتيسير من رزان وفادي الذي خرج قبلي بيومين إلى الأردن بعد أن أصبح مطلوباً أيضاً لأكثر من فرع مخابرات وبات وضعه خطيراً .

يبدو أن زيارتنا الأخيرة إلى حمص أدت إلى استفزاز النظام كثيراً ، بالاضافة إلى النشاط الإغاثي الذي كنا نقوم به كل منا على حدة، حيث كنت أتوجه بالمساعدات إلى برزة بالتنسيق مع بعض المجموعات الدمشقية والأصدقاء ، شهر أيلول كان مفصلياً في عام الثورة لأن النظام مارس الحصار والتضييق وكان لا بد من القيام بالأعمال الإغاثية والطبية من الجميع...

في ذلك الشهر قررنا وببساطة التوجه إلى حمص للتظاهر.. كان الحصار قد بدأ بالتضييق على تلك المدينة وكانت الدبابات والآليات الثقيلة قد دخلت المدينة . ومع هذا فالمظاهرات السلمية التي كانت تحصل في حمص كانت مشهداً خيالياً يمكن اعتباره سريالياً ضمن تلك الظروف.. فادي وزينة وأنا قطعنا الطريق إلى حمص نصدح بأغاني سميح شقير ومرسيل خليفة.. كنا مجانين لعدم تفكيرنا في احتمال اعتقالنا بالتوجه إلى مثل هذا المكان في تلك الفترة..

" طبيعي " إن لم نكن مجانين لم نكن لنخرج إلى الشوارع لمواجهة أعتى و أخبث نظام في المنطقة!!...

"حمص والتجربة"

وبالرغم من أنني توجهت إلى الصالون الذي تجتمع فيه النساء وقمت بواجب العزاء، إلا أنني أردت تعزية الرجال أيضاً ..

شاهدت دبابات النظام المطلية بالازرق للتمويه تكتسح الشوارع وتختبئ خلف أكياس الرمل وتتوسط الساحات بسبطاناتها الموجهة إلى المباني والبيوت.. شاهدت النوافذ المكسورة والجدران المثقوبة بفعل القذائف، وزرت أسرة استشهد أحد أبنائها أو بناتها نتيجة لذلك..

كنت أود المشاركة في عزاء الشهيد كما كنت أفعل في دمشق وريفها.. في حمص كان هذا صعباً ، لأن عزاء الرجال لم يكن في خيم تعزية كما كان يحصل في دمشق. وكان دخولي إلى عزاء يتسم أصحابه بالمحافظة والتدين مخالفاً للتقاليد ومع هذا فقد طلبت من فادي زيدان أن يستأذن لي بالدخول ، غاب لدقائق وعاد مع أقرباء الشهيد دخلت ولم يصافحني أحد بعرف العادة والتدين..

دخلت إلى المكان وتحدث قلبي .. تحدث وجداني بما شعرت به من ألم وبما شعرت به من تعاضد باسمي وباسم من يشبهني حين انتهيت كان بعضهم يبكي مثلي تماماً.. وقفت فوقف الجميع وبدؤوا بمصافحتي بمفارقة غريبة ..

خرجوا فتبعوني مودعين وطلبوا مني أن أتجه لصالون الجامع لتقديم التعزيه بشهيد آخر ..

في مساء ذلك اليوم اتجهنا إلى الخالدية حيث المظاهرة بالآلاف.. أعطوني الميكرفون وهتفت ورددوا معي.. صرخت بالتحية للشهيد وهتفت باسم الشعب السوري.. وكانت الجموع ترد بتناغم رائع .. نقلت إليهم تحية محافظة السويداء كنت أريد أن أقول لهم نحن كلنا شعب واحد.. نحن معا ويد واحدة وقلب واحد ..

تظاهرنا لساعات ملأتنا بالحماس والعنفوان ثم عدنا إلى دمشق كما حضرنا... كان يوماً لايوصف يمكن أن يختزل بإعادة الشحن ... الروح والطاقة والحلم...

زيارة لا بد أنها كانت أحد الأسباب لمذكرة الاعتقال الثلاثة ...

"غياث مطرجرح الحراك السلمي"

ليس سهلاً أن أنسى ذلك الشاب الذي كان يوزع الورود والماء على الجيش في بلدته السِّلْمِيَّة "داريا.."

لقد ارتعد النظام من تلك الظاهرة التي كان من الممكن أن تسبب عشرات الانشقاقات داخل الجيش. إذ كيف سيقنع عناصر الجيش والأمن باطلاق النارعلى من يستقبل بنادقهم بالورود ويوزع على

العطشى منهم زجاجات الماء، وهو من ضمن المتظاهرين الذين طالما حاول النظام إقناع عناصره بأنهم مجموعة من المندسين والخونة..

غياث مطر كان من المعنين بتنظيم المظاهرات المطالبة بالحرية في مدينة داريا .

اعتقل غياث في 6 سبتمبر2011 خلال كمين نصبته قوات الأمن السورية حيث قامت قوات الأمن باعتقال معن شربجي شقيق الناشط السياسي يحيى شربجي. ثم أجبرت معن على الاتصال بأخيه يحيى على أنه مصاب فتوجه يحيى برفقة غياث مطر إلى المكان ليجدوا قوات الأمن بانتظارهما ليقوموا باعتقالهما " لم يخرج يحيى حتى الآن من المعتقل"..

في يوم السبت 10 سبتمبر تم تسليم جثمان غياث لذويه إثروفاته جراء التعذيب الذي تعرض له أثناء الاعتقال. وتم تشييع جثمانه في نفس اليوم .وقتل فتى في السابعة عشر من عمره خلال تشييع جثمان غياث في داريا. أقيم لغياث عزاء حضره سفراء كل من الولايات المتحدة وفرنسا واليابان وألمانيا والدنمارك. وبعد مغادرتهم قامت قوات الأمن باقتحام مجلس العزاء حيث أطلقت العيارات النارية والقنابل المسيلة للدموع لفض المجلس..

بعد أيام من من وفاة غياث قررنا التوجه لعزاء والدة غياث . فكنا مجموعة من النشطاء والفنانين كان بينهم لويز عبد الكريم وليلى عوض والصحفية سلمى كركتلي وآخرون ورافقنا إياد شربجي ابن داريا ليدلنا على الطريق. كنت أختبئ في المقعد الخلفي بسيارة لويز عند كل حاجز، فاسمي كان قد بدأ تعميمه من قبل فرع المنطقة..

في منزل غياث جلست أم غياث على يساري.. كانت متصبرة ووجهها يملؤه الألم..

مقابلي تماما جلست زوجة غياث والتي كانت حاملاً في أشهر حملها الأخيرة وقد أنجبت فيما بعد غياث مطر الإبن .. الإبن الذي لم يرَ والده..

أم غياث كانت تضمنا تواسينا... فمصابها ومصابنا واحد.. غياث لم يكن ابنها فقط.. غياث ابن الثورة المدنية السلمية ورمز المدنية اغتالته أيدي النظام بوحشية لا توصف.. ولد غياث الصغير بعد أن أصبحت خارج سوريا فأرسلت له السلام والقبلات مع الصديقة علا ملص فأوصلت الأمانة..غياث الصغير سيكبر، وسيفخر بأبيه وباسمه تماماً كما سيفخر به أبناء سوريا..

"اليوم الأول خارج الوطن"

بعد الانتهاء من التحقيقات والإجراءات الروتينية يوم وصولي إلى الأردن ، تم نقلي إلى مركز للاجئين يسمى بمسكن البشابشة. وهو عبارة عن مباني سكنية مخصصة لمن يصل بطريقة غير قانونية ويمنع من مغادرتها دون كفيل..

في تلك الفترة لم يكن قد ولد بعد مخيم الزعتري ، وكان هذا المكان هو المكان المخصص لمن هم في مثل حالتي..

بالرغم من أن وصولي ظُهْراً إلى الأردن، إلا أن التحقيقات أخذت وقتاً طويلاً وقد وصلت مكان التحقيق ليلاً..

دخلت والتعب يأكلني وأنا أعرج على قدمي المصابة .. التف حولي الكثير من الاشخاص الذين لا أعرفهم مرحبين ..

أولادي كانوا قد اصبحوا في عمان في منزل خالتي وأنا حبيسة هذا المكان البارد الغريب..

مؤلم جداً كصفعة مفاجئة في غرفة مظلمة .. هكذا كان شعوري حين دخلت إلى هذا المكان ، ولم أكن أستوعب أو أتقبل قضاء ليلتي فيه ، بالرغم من ترحاب صاحب المكان والمشرفين عليه بشكل مبالغ فيه خاصة وأنهم يعرفونني عبر التلفاز وقد سمعوا باسمي كثيراً قبل وصولي..

أدخلت إلى الغرفة المخصصة ، ولحظة انفرادي بذاتي بدأت بالبكاء . فالشعور كان غريباً كلمتني عبر الهاتف الصديقة سيلفا عشرات المرات وكنت أبكي دون توقف ...

خاصة وأنني كنت قد أُعلمْتُ أن نظام التكفيل متوقف منذ 15 يوماً ولا يسمح للقادمين بطريقة غير قانونية بمغادرة المكان..

اتصالات عديدة وردت للمعنين في المكان من وزارة الثقافة الاردنية والإعلام والداخلية من أجل الاهتمام بي. وهذا يعني أن عدداً من الأصدقاء اهتموا بإيصال الخبر إلى تلك الجهات ومنهم صحفيين وكتاب وأصدقاء..

رن هاتفي وكانت سيدة كنت قد سمعت عنها من أصدقاء مقربين لي من دمشق ريم وابراهيم.. أنها بسمة النسور ، وهي كاتبة أردنية اتصلت وطمأنتي وأعلمتني أنها ستساعدني في الخروج في الصباح من المكان (وقد أصبحت من أقرب الصديقات لي فيما بعد) ..

اتصل بي الصحفي أحمد الذي أخبر عدداً من أصدقائه في الأردن للاهتمام أيضاً ، وبالفعل اتصل بي الصحفي خالد عويس من رويترز الأردن للاطمئنان..

كانت ليلة قاسية وباردة وكنت أفكر في أولادي طوال الوقت ولم أكن أعلم إن كانت ستتلو هذا الصباح صباحات أخرى في نفس المكان..

لم يدم هاجسي طويلاً فقد جاءت سيارة الشرطة بعد ساعتين واصطحبتني إلى مبنى المحافظة ، حيث تمت كفالتي من قبل الصحفي خالد عويس وكانت تلك المرة الأولى التي أراه فيها وقد قام بكفالتي وأوصلني إلى عمان حيث منزل خالتي...

ضمة كبيرة لطفلي دامت لدقائق تبعها حمام ساخن ثم نوم عميق لساعات.

مكوثي في الأردن كتجربة لجوء صعب للغاية ففكرة الابتعاد القسري عن الوطن تكفي لتسبيب الألم المستمر. أما الاعتياد على المكان فقد كان بالنسبة إلى عقلي وضميري خيانة نكراء لأنني لا بد عائدة خلال شهر أو شهرين لا أكثر..

استيقاظ يومي وفقدان مؤقت للذاكرة كان يدوم دقيقتين أو ثلاث لمحاولة تحديد الزمان أو المكان..

دقيقتان كانتا تجتاحاني بهلع مرعب ..يبدو أن عقلي لم يتقبل المغادرة فصرح اللاوعي بتلك الدقائق من الهلع اليومي معبراً عن ذلك الرفض المبين في كل ليلة..

فقدت القدرة على حفظ العناوين وأرقام الموبايل الجديد حتى اللحظة، وبقي رقم الخليوي السوري حاضراً دون شعور حين أسأل عن رقم الهاتف في كل زمان ومكان..

"نحن كمان كنا نقول متلكم " .. وكانت تلك الجملة الصفعة التي تلقيتها من إحدى السيدات السوريات المقيمات في الأردن منذ الثمانينات والتي هربت مع عائلتها من حماة أثناء الأحداث .. تعليقاً على جملتي القائلة : بكره منرجع شهرين زمان...

"اقتحامات الحنين في ليل المنفى"

لن أبكي كالأطفال ... وسأغلق الباب بعنف في وجه كل مشاعري المتدافعة الهائمة في لحظات الشوق والحنين... وسأعمل على مسح ذاكرتي وصور أصدقائي وملامح البيت الذي لم يبق لي في وطني الذي لا أحبه والذي لا أشتاق إليه.. وسأمسح وجوهكم المبتسمة وأصوات قهقهاتنا في لحظات الدفء والمرح

المفقودة في الشام القديمة أو في منازل الأقرباء والأصدقاء .. حيث ذبلت التواريخ تحت برد الأنقاض والرحيل القسري...

لا تظنوا أنني أكذب.. بالإضافة إلى أني لا أمسح أياً من دموعي الثائرة على الكذب في لحظة من الكبرياء الأحمق...

حين يصمت الرصاص دعونا لا ننسى لماذا خرجنا..

وبعد أن ندفن موتانا دعونا نتذكر لماذا رحلوا...

وخلال لحظات الصمت السوداء والتي تحملنا إلى عوالمنا الداخلية تعالوا نتذكر أجمل اللحظات الملونة التي جمعتنا في رحلة شروق الشمس...

حين تستيقظ الشمس وتتجه إلى قبتها الزرقاء سيكون يوماً آخر يشبه الحياة.. وسيحمل معه نوراً جديداً وأملاً قادماً رغم الموت والليل والرماد...

"ظل في المنفى"

كان من الصعب أن أستسلم لأي صباح جديد لو لم تزين يومياتي أصوات مازن ومنى ولديَّ الرائعين اللذين طالما استوعبا ألمي وقلقي عبر استقرار سلوكهما ودفء عاطفتهما بالرغم من مرورهما بسن المراهقة. و ما صاحب رحيلنا من تغيير مفاجئ وعدم استقرار وابتعاد عن الأصدقاء والأقارب..

أقارب عوضت عن وجودهم شقيقتي و خالتي وأسرتها الدافئة التي خلقت لي جو العائلة الذي كنت أفتقده كل يوم..

لم يكن من السهل تقبل مرارة التأقلم لو لم يقف إلى جانبي أصدقاء حقيقيين كانت من بينهم صديقتي بسمة النسور، التي تشاركت معها الهم والسر وتفاصيل حياتية رافقت وجودي في الأردن فخففت عني حرقة البعاد عن وطن سليب وأصدقاء كثر أبعدتهم عني تلك التجربة والحدث.

ولدت في الأردن عشرات الأسر الجديدة من الأصدقاء السوريين الذين تشاركت وإياهم لحظات العمل و التعب والفرح والحزن والغضب..

كما تعرفت على بعض النماذج من السوريين التي لا تشبه أبداً تلك التي عرفتها وعملت معها في الداخل كانت تسبب لي الخيبة والضعف والقلق لأنها كانت تحمل أفكاراً غريبة لم أعتد على سماعها في وطني . نماذج ارتفع لديها حس الكراهية والانتقام والمناطقية والطائفية والطمع ..

"ملاحظات ومتابعات شخصية 2011 وما بعده:"

في البدايات النظام بدأ اللعبة بادعائه وجود السلفيين بالشارع ولم يكونوا حينها ...

أي حين نزلنا إلى الشوارع وكان شارعنا ملوناً بكل ألوان الطيف السوري ويعرف هذا تماماً من شهد ولادة الثورة مثلي وكان في الشارع وهي الوقائع التي أعرفها حتى خروجي ب 2011/9/25

ثم أكمل النظام روايته ومزاعمه ليبرر القتل الذي كان موجهاً ضد المتظاهرين السلميين بوجود العصابات المسلحة حين لم يكونوا موجودين وحين كنا سلميين بالكامل باعترافه وعلى لسان رأس النظام شخصياً...

تكلم أيضا عن وجود القاعدة ولم تكن موجودة "حينها أي قبل خروجي من سوريا وأصف ما قبل شهر أيلول 2011 "

كنا نضحك من مجرد الفكرة ... وكانت الأعلام المرفوعة بالمظاهرات هي أعلام الوطن فقط دون أن يدخل بينها أعلام بيضاء وسوداء...

تكلم النظام أيضاً في تلك الفترة واصفاً الثورة بأنها حراك سني متطرف ضد الأقليات وكنا نهتف في تلك الأيام واحد واحد واحد .. الشعب السوري واحد

تمت منهجة القتل بحق الاكثرية في سوريا وحدهم ليؤجج الصراع المذهبي... ولم يكن لدى ثوار الاقليات بالتأكيد اعتراض على أن يكونوا شهداء . ولكن النظام تقصد عدم استهدافهم بالقتل إلا ما حصل أحياناً في بعض مناطق الاقليات ومنها السويداء والتي استشهد عدد من أبنائها تحت التعذيب.. كما أن هناك من استشهد تحت التعذيب من مدينة سَلَمِيَّة وقتل أيضاً برصاصهم ومن مات تحت القصف لتواجده في المناطق الساخنة كباسل شحادة في حمص مثالاً (وهو من كان من اليوم الاول في شوارع الثورة ككثرين وكثيرات من معظم الطوائف)

تكلم أيضاً عن وجود مقاتلين من دول عربية وتمويل من دول الخليج.. ولم يكونوا موجودين "أيضا حينها..."

كان عدد الضحايا "حينها" 20 إلى 30 في الأيام السوداء والاكثرسوءاً . ولم نكن قادرين على استيعاب ما يحصل أو تقبله، واليوم يصل العدد الى 200 شهيد في أحسن الاحوال ونحن نشاهد التلفازونتابع ارتفاع الخط البياني لعدد الضحايا...

النظام لم يكن قادراً حينها إلا على استخدام الرشاشات والقنابل والاعتقالات وكان هذا انتهاك صارخ لم نتمكن من تقبله يوماً.. واليوم يستخدم الدبابات والطائرات والمدافع وراجمات الصورايخ ويعدم بمحاكم ميدانية بل استخدم الكيماوي أمام صمت دولي قاتل.

النظام تحدث عن تشرذم المعارضة وعدم قدرتها على تشكيل بديل وسفهها وربطها بأجندات خارجية . كما أنه صنع معارضات وهمية لتخدم وجوده ونحن سخرنا من أفكاره حينها ، وقلنا إننا سنتمكن من تشكيل قيادة سياسية تصفع النظام وتوجه له الضربه القاضية "حينها"

النظام قاد اللعبة إلى حيث يريد الآن، وعلى ما يبدو نحن لم نكن موجودين وكنا غارقين في رومانسية الحلم و قدسية فكرة الحرية..

هل يعلم أحدكم كيف وصلنا إلى هنا... نعم هكذا وصلنا إلى هنا!

جُرَّت البلاد الى العسكرة فالنظام الذي بالغ باستخدام العنف وأجرم بحق شعبه من أجل هذا أطلق أيضاً سراح الكثيرمن سجناء القاعدة والقوى الاسلامية السلفية المتطرفة في شهر حزيران ن عام 2011 و مع بدايات عام 2012 بدأت بعض الدول الاقليمية والجارة بالتدخل بشكل واضح وبدأت تتعالى الدعوات للجهاد من القوى الاسلامية السياسية السورية التي تغير خطابها فجأه من خطاب وطني جامع مؤمن بالسلمية كوسيلة للتغير تبنته في بداية الثورة ، إلى خطاب يرى في العسكرة الوسيلة الوحيدة لتغيير النظام بقالب ديني وبدأت عمليات تحويل الثورة بالإعلام الثوري وبعض الإعلام العربي الرديف بشكل مباشر أو غير مباشر من ثورة شعبية الى ثورة دينية، وتم إهمال الحراك السلمي والتركيزعلى العسكرة بشكل مقصود.

قوى الإسلام السياسي كانت قد ادعت أن خطابها تغيروأنها تعلمت من تجاربها السابقة لكنها في الواقع أرادت أن تدخل الشارع وتستحوذ عليه من جديد من خلال ثلاث أدوات وهي الإغاثة والإعلام والسلاح ومنذ تلك اللحظة بدأت سرقة الحلم وبدأ ركوب الثورة من قوى يحركها الحقد والشهوة للسلطة ودول إقليمية أرادت أن تجهض الربيع العربي بوجهه المدني والديموقراطي الذي قد يغري شعوبها وتنتج حرباً أهلية تتعلم منها شعوب المنطقة بعدم تكرار التجربة ، أما على الجانب الآخر فقد بدأ النظام باستجلاب قوى طائفية من طائفة محددة بذاتها من دول مجاورة وبدأ بإذكاء الحقد الطائفي وتأجيجه مرتكباً أبشع المجازر ومستخدماً كل أنواع الأسلحة وبهذا التقت مصالح الأعداء على الطرفين وخسر السوريون وبدأت الأحلام تتلاشى أمام اتساع لهيب الحرب والمقتلة !

كنا نحاول الحفاظ على الأصوات المدنية والديموقراطية والإصلاح من داخل القوى السياسية وأقصد الوجوه الشابه والأصوات العلمانية أو المدنية التي دخلت العمل السياسي مع قوى المعارضة

في الخارج لكن تلك المحاولات كانت تبوء بالفشل بسبب التجاذب والأنانية لبعض القوى السياسية والسلوك الذي قامت به قوى بذاتها لإقصاء وتشويه كل من يقف في طريق مشروعها وسعيها للوصول إلى السلطة بالإضافه إلى التدخلات الإقليمة والتنازعات فيما بين تلك الدول وبعض الكتل التي تتحكم بها والتي أدت إلى إافشال المجلس الوطني ومن ثم الائتلاف.

كما أن فشل المجتمع الدولي في إيقاف المجازر بحق الشعب السوري وإطالة عمر الصراع أضعف الحالة السياسية السورية المعارضة وفتح الباب أكثر للفوضى التي فتحت الباب بدورها لدخول طرف ثالث خطير قدم من دول مجاورة ومنها العراق وهي تنظيم داعش والقاعدة بما كان يسمى حينه جبهة النصرة، وبهذا وصلت الحالة إلى أوج التعقيد وإلى حالة من خلط الأوراق خدمت كثيراً "بروبوغندا" النظام مع تلاشي الحراك السلمي وتعالي صوت السلاح ذي الأيدولوجيا ودخول طرف ثالث بأجندة متطرفة قذرة على الساحة السورية وعدم وجود آلية دولية في مجلس الأمن لاتخاذ قرار دولي لوقف المقتلة بسبب الفيتو الروسي.

أخطأت بعض شخصيات المعارضة والقوى السياسية التي حاولت أن تفرق بين تنظيم قاعدي وآخر وكل تنظيم إسلامي يحمل فكر قاعدي رجعي ظلامي وبالتالي لم تأخذ موقفاً حاسماً عدائياً من تلك القوى المتطرفة التي قضمت البلاد وخنقت الأصوات المدنية أينما حلت ونكلت وقتلت كما النظام تماماً.

ومع هذا كان موقف الكثيرين من شخصيات المعارضة معادياً لتلك القوى الظلامية و واضحاً وكنت بين تلك الأصوات التي أعلنت موقفاً واضحاً بوضوح موقفي المعادي للنظام وحلفائه الطائفيين، موقفاً ضد عسكرة الثورة بالدرجة الأولى وضد أسلمة الثورة ثانياً ومعادياً وضد كل القوى المتطرفة التي بدأت بتدنيس التراب السوري في كل وسائل الإعلام منذ اللحظة الأولى لدخولها الأراضي السورية ولكن بعض وسائل الإعلام الثوري تعاملت بسذاجة و من منطلق ديني مع بعض تلك القوى فساهمت دون أن تقصد بتكريس "بربوغندا" النظام واخافة المجتمع الدولي من الثورة وكل حواملها.

كانت تلك هواجسي التي باتت تسيطر على واقع تفكيري منذ خرجت من سوريا. فالواقع على الأرض بدأ يتغير حيث بدأ صوت السلاح يرتفع كما ارتفع معه النفس الطائفي، وشَكَّلا معاً تحدياً وخوفاً كبيرين قد يؤديان فيما بعد إلى إجهاض الثورة والحلم أيضاً.

"السلمية والعسكرة... صراع بين رأيين"

حتى اللحظة ما زلت مؤمنة بشكل كامل بالسلمية كمنهج للتغيير، لكن ما حصل على الأرض في سوريا ومن الخارج من تدخلات لحرف المسار كان كافياً لخلق مسار جديد، النقاش الذي بدأ منذ شهر آب

بشكل كبير في كل جلساتنا هو عن جدوى الحراك السلمي أمام تزايد عنف النظام المتمثل باستخدام الرصاص الحي والاعتقالات والتعذيب داخل المعتقلات واستخدام الشبيحة كأدوات في قمع التظاهرات ، من الأشهر الاولى للثورة كان هناك محاولات حثيثة لدفع الناس لرفع السلاح، تركت صناديق من الأسلحة قصداً في أماكن ريفية أو محافِظة ولم تكترث الناس لها وحافظت على سلميتها، التحول في حمص كان بُعَيْد مجزرة الساعة حين وصل المتظاهرون لساحة الساعة وأقاموا أول اعتصام وأطلقت عليهم النيران وسقط العشرات منهم، ثم بدأت الانشقاقات داخل الجيش لتدخل على الثورة شريحة جديدة وهي المنشقين من العسكريين الذين كانوا يتجهون إلى تركيا أو الأردن حسب مكان انشقاقهم من الشمال أو الجنوب..

في شهر حزيران من عام 2011 صدر عن النظام السوري عفو عن السجناء فأخرج من سجن صيدنايا وغيره العشرات من السلفيين ومن كان لديهم ارتباطات بالقاعدة وبتنظيمات أخرى كحزب التحرير الاسلامي وبالأخوان المسلمين ، بالإضافة إلى بعض السياسين أيضاً .

لم يكن إخراج تلك الشريحة من السجناء بريئاً كما أعتقد، لأن تلك الشريحة عملت فيما بعد على الدخول إلى الثورة بوجه آخر وهو وجه العسكرة .

كما نشأت نوى لكتائب مسلحة ذات عقيدة ولون إسلامي ، لديه تطلعات لدولة إسلامية ، لا تريد أبداً الوصول إلى دولة مدنية أو علمانية . بل إن هذه المجموعات حاربت التوجه العلماني أو المدني واعتبرت الديموقراطية كفراً وخيانة وبدأت تغذي الفكر الداعي للتسلح من داخل شباب الثورة.

من خارج سوريا بدأت بعض الأحزاب والفئات تحاول خلق شارع لها بداخل سوريا وخاصة الأخوان المسلمون الذين أخرجوا من سوريا منذ الثمانينات وأذاقهم النظام السوري الويلات من مجازر وإعدامات وسجن الآلاف منهم ومن أُسَرهم ومن معارفهم، ورسم قوانين تحكم بالإعدام على مجرد من يتوافق معهم فكرياً. وقد دفعهم هذا إلى الدخول من ثلاثة أبواب الإغاثة والإعلام والسلاح .

تلك القوى لم تكن لتتمكن وحدها من إدارة خلق واقع جديد واستمثار بعض الأماكن التي تحمل بذور بيئة خصبة لفكرها وتوجهها . لذلك نشأت بينها و بين بعض الدول في المنطقة تحالفات مثل تركيا وقطر والسعودية وهذا انعكس مباشرة على ظهور كتائب تحمل أسماء دينية انضوى تحت لوائها بعض العسكريين والكثير من المدنيين.

أنشئ المجلس الوطني السوري والذي كان يتضمن قوى مثل إعلان دمشق والأخوان المسلمون وتيار عماد الدين الرشيد وبعض المستقلين وقوى من الحراك الثوري ومنها لجان التنسيق المحلية والهيئة العامة للثورة والمجلس الأعلى لقيادة الثورة .

في تلك الفترة كان لدي قناعة أن الثورة بحاجة إلى واجهة سياسية تمثلها في الخارج وتتحدث باسمها . كون الداخل السياسي كان عاجزاً عن رفع وتيرة الحراك فيما يتناغم مع رؤية الثوار في إسقاط النظام والانتقال نحو دولة ديموقراطية.

كنت قد أصبحت خارج سوريا هرباً من الاعتقال وكان المجلس الأعلى لقيادة الثورة قد تواصل معي قبل الخروج . وطلب مني في حال خروجي أن أكون الناطق الرسمي باسمه ، لم أتمكن من الانسجام فكرياً مع هذا الحراك واستقلت منه بعد أشهر قليلة بسبب ميله إلى الرؤية الاسلامية وتبني السلاح على عكس الوثائق الأولى والرؤية الأولى التي طرحها في بادية التواصل معي ، فاستقلت منه ومن المجلس الوطني في نفس اليوم وحافظت على عملي مع لجان التنسيق المحلية بشكل كامل و هي الهيئة التي حافظت على سلمتيها ومدنيتها حتى اللحظة..

تواصلت معي قوى داخل المجلس الوطني وأعلموني أنهم وضعوا اسمي في قوائم المجلس قبل أن أخرج من سوريا، ويريدون أن اكون عضواً في المجلس . وكان هذا يعني أن أكون جزءاً من الحراك السياسي الذي يجري خارج سوريا، تواصلت مع القوى الثورية التي كنت أنسق معها في الداخل والخارج وقررت وفق ذلك أن أكون عضواً في المجلس أمثل الشريحة المستقلة من الثوار وأصبحت عضواً في الامانة العامة للمجلس..

قبيل خروجي كنت أتابع بلهفة الحضور الإعلامي لبعض الشخصيات السياسية لأسمع ما لم نعتد سماعه من قبل من تشريح دقيق للنظام وإدارته لما يحصل وتاريخه وفلسفته السياسية والتعبير عن الثورة وحلم الشعب السوري بالتغيير..

تلك الشخصيات كانت براقة بالنسبة لي ولكثير من السوريين وفق ما تركه الإعلام لدي من أثر.

كنت أظن أن اجتماعات المجلس ستكون زاخرة بوجع الناس وآلامهم ووضع رؤى للخروج بانتصار نحو واقع جديد، المجلس الذي لم يكن قد طرح رؤيته السياسية بعد ولم تخرج عنه أية وثيقة تعبر عن رؤيته لسوريا المستقبل التي يطمح للوصول إليها كان الواجهة السياسية الأكبر حضوراً في الخارج..

"ما كل ما يتمنى المرء يدركه .. تأتي الرياح بما لا تشته السفن"

كان هذا بيت الشعر الذي خطر ببالي مباشرة أثناء حضوري لاجتماعي الأول مع الأمانه العامة للمجلس الوطني السوري في القاهرة، كان النقاش الدائر عبارة عن سجال بين أعضاء الأمانة العامة

حول الوضع التنظيمي للمجلس استمر لساعات ، لم أسمع كلمة واحدة عن الداخل طوال وجودي في ذلك الاجتماع تحديداً. وبالتأكيد لم تكن تلك حال كل الاجتماعات لكن اجتماعي الأول ترك لدي أثراً سلبياً.

لقد بدا من خلال تلك الاجتماعات أن هناك حالات من التنافر بين بعض الأعضاء كانت تنعكس في سجال لا ينتهي حيث يحترق الوقت دون جدوى في كثير من الأحيان ...

لم يكن ذلك هو الاجتماع الوحيد الذي حضرته للسياسين المعارضين السوريين فقد سبق ذلك حضوري عدة اجتماعات في الداخل قبل الثورة وبعدها ، كان منها اجتماعات مع قوى إعلان دمشق في السويداء ومع بعض شخصياته بشكل دائم دون أن أنتسب فعليا لها بل بصفتي معارضة مستقلة وناشطة في حقوق الانسان وحقوق المرأة.

وتلا ذلك اجتماعات في دمشق بعد الثورة وأهمها مؤتمر سميراميس الأول..

"اول اجتماع علني تاريخي للمعارضة السورية في دمشق بعنوان مؤتمر تكوين المستقبل السوري في فندق سميراميس"

في 27 حزيران 2011 عقد مؤتمر تكوين المستقبل السوري وشاركت فيه بعد تردد معلن حيث أعلنت رفضي للمشاركة في بداية الأمر. حيث رافق التحضير للمؤتمر كم كبير من الإشاعات كان منها أن للنظام أصابع خفيه لعقد هذا المؤتمر برعاية النظام وبتأثير من بعض القوى الثورية . إلا أنني وبعيد ذلك وإثر لقاء مع بعض الشخصيات الشبابية من الحراك المدني كان في أحد مقاهي دمشق قررت الحضور.

القوى الشبابية في الثورة كانت خائفة من المعارضة التقليدية والمعارضة التقليدية كانت تريد تسخير الحراك الشعبي من أجل تصدير نفسها كواجهة سياسية له أولاً ، ومن أجل استثمار حراكها ليصب في المسار السياسي الصحيح وفق رؤيتهم كون هذه الثورة لم يكن لها رأس وكانت تواجه أخبث نظام في المنطقة..

كنت أقف بين تلك الفئتين تماماً وأنتمي للحراك الثوري المدني ولطالما حملت وجهة نظرهم وصوتهم إلى كل المنابر و أينما كنت..

في منزل المعارض رياض سيف التقيت شخصيات عديده من إعلان دمشق كان منهم هيثم المالح وموفق نيربية وجبر الشوفي وآخرين. كما التقينا معاً في نفس الاجتماع بسفراء لدول أوربية مقيمين في

دمشق .. في كل مرة كنت أحمل أصوات الشبان والشابات ممن أعمل معهم أو ألتقيهم من تنسيقيات الحراك المدني لأطرح صداه على الجميع ، صداه المتطلع للديموقراطية ببعدها الوطني والرافض للقمع والديكتاتورية والقائم على احترام السيادة الوطنية .

ولم يكن مؤتمر سميراميس إلا واحداً من تلك المحطات التي عبرت منها المعارضة السورية في محاولات متكررة لإعطاء الثورة خطابها السياسي أو خلق واجهة لها..

في ذلك اللقاء التقيت للمرة الأولى بمعارضين كبار أمثال ميشيل كيلو وفايز سارة وسلامة كيلة وآخرين.

وشارك في اللقاء أيضاً عدد من الأصدقاء أمثال إياد شربجي وكوليت بهنا ولويز عبد الكريم والكاتب فؤاد حميرة والصديقة زينة بيطار والداعية حنان اللحام..

سبق المؤتمر الكثير من الإشاعات والأقاويل لكنه عقد أخيراً.

تمّ افتتاح اللقاء بالنشيد الوطني العربي السوري، كان موقفاً مؤثراً انهمرت دموعي على إثره..

لم يكن حدثاً عادياً أن يقام مثل هذا المؤتمر تحت سماء الوطن بعيداً عن التفكير بطريقة السماح لعقده التي لم تكن معروفة أو واضحة لي في حينه .. وإن جاز اعتباره انجازاً للمعارضة السورية ، فيجب التنويه أنه لم يكن ليحصل لولا تضحيات كل من صرخوا للحرية وكسروا حاجز الخوف ودفعوا الدماء من أجل أن نقول لا للنظام في عقر داره..

وقف المشاركون دقيقة صمتٍ حداداً على أرواح شهداء الحريّة من المدنيين والعسكريين.

وبحضورٍ إعلاميٍ كثيف خاصةً من التلفزيون السوري وقناة الدنيا البغيضة . وكان البث مباشراً وعلمنا أثناء المؤتمر أن التلفزيون السوري وقناة الدنيا كانا يبثان المشاهد مباشرة بطريقة تصوير مشوهة ليبدو منظر الحاضرين بشعاً وبخبث بالغ من أجل تنفير الرأي العام السوري..

أمام المبنى حضر بعض الشبيحة أيضاً..

كلمة الافتتاح ثمّ ناقش المؤتمر أوراق العمل حول الواقع الراهن والدولة الديمقراطية المدنيّة، ودور المثقفين والناشطين في المرحلة الراهنة. وأصدر المجتمعون وثيقة عهد بعنوان من أجل بلادنا التي نحب.

وناقش المؤتمر أيضاً موضوعات طرحها المشاركون تتصّل بالأزمة العميقة التي تعيشها بلادنا اليوم، وانتهى إلى إقرار ما يلي:

1.دعم الانتفاضة الشعبية السلمية من أجل تحقيق أهدافها في الانتقال إلى دولة ديمقراطية مدنيّة تعدديّة، تضمن حقوق وحريات جميع المواطنين السوريين السياسية والثقافية والاجتماعية. كما تضمن العدالة والمساواة بين جميع المواطنين والمواطنات بغض النظر عن العرق والدين والجنس.

2. إنهاء الخيار الأمني، وسحب القوى الأمنيّة من المدن والبلدات والقرى. وتشكيل لجنة تحقيق مستقلة ذات مصداقية للتحقيق في جرائم القتل التي تعرّض لها المتظاهرون وعناصر الجيش السوري.

3. ضمان حريّة التظاهر السلمي بدون إذن مُسبق، وضمان سلامة المتظاهرين.

4. إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، ومعتقلي الرأي، والمعتقلين على خلفيّة الأحداث الأخيرة دون استثناء.

5.رفض التجييش الإعلامي من أيّ جهة. كما نطالب الإعلام المحلي الرسمي وشبه الرسمي بعدم التمييز بين المواطنين والانفتاح على الموالين والمعارضين للتعبير عن آراءهم ومواقفهم بحريّة.

6. إدانة جميع أنواع التحريض الطائفي والجهوي والتأكيد على وحدة الشعب السوري.

7. إعادة اللاجئين والمهجرين إلى منازلهم، وحفظ أمنهم، وكرامتهم وحقوقهم، والتعويض عليهم.

8. إدانة أي سياسات أو ممارسات أو دعوات من أية جهة صدرت تشجع على التدخل الأجنبي أو تمهد له أو تطالب به بأي شكل من الأشكال ونرى أن العملية الأمنية الجارية هي التي تستدعي فعل هذه التدخلات.

9. ندعو إلى السماح للإعلام العربي والدولي لتغطية ما يجري في سورية بكل حرية

10.عقد لقاءات مماثلة في مختلف محافظات سورية تنظمها وتدعو إليها هيئة تنسيق دائمة تنبثق عن هذا اللقاء.

في الختام نؤكد على أن المشاركين في هذا اللقاء من المستقلين والمعارضين غير الحزبيين ليسوا بديلاً لأي طيف أو أي تنظيم معارض وهم لا يضعون أنفسهم في مواجهة قوى المعارضة الديمقراطية ويدعو اللقاء إلى أن تنسق المعارضة مع الحراك الشعبي في الشارع للتغيير الوطني الديمقراطي السلمي في سورية.

عهد من أجل بلادنا التي نحب

من أجل بلادنا التي نحب، نتعاهد. نحن المواطنين والمثقفين والمفكرين والشخصيات الوطنية المجتمعين بتاريخ 27 حزيران 2011 في فندق سميراميس دمشق بأن نبقى جزءاً من انتفاضة شعبنا السوري السلمية في سبيل الحرية والديمقراطية التعددية، يؤسس لدولة ديمقراطية مدنية بصورة سلمية وآمنة، ولذلك نعلن رفضنا اللجوء إلى الخيار الأمني لحل الأزمة السياسية البنيوية العميقة التي تعاني منها سورية، كما أننا نرفض وندين أي خطاب وسلوك يفرق بين السوريين على أساس طائفي أو مذهبي أو عرقي، ونتعاهد بألا ننجر مع أي جهة تحاول إثارة هذه النعرات فيما بيننا، وأن نواجهها بثقافة التسامح والعدالة بأسلوب حضاري وسلمي، ونرفض أيضاً أي دعوة للتدويل أو التدخل الخارجي في شؤون سورية وأن نغلب مصلحة الوطن وحرية المواطن على كل مصلحة أخرى كي نتركه لنا وللأجيال القادمة وطناً حراً وديمقراطياً وآمناً وموحداً شعباً وأرضاً.

عاشت سورية حرة وديمقراطية

المشاركون في اللقاء التشاوري

دمشق في 27 حزيران 2011

اقتحم الشبيحة مقر المؤتمر أثناء تلاوة البيان و عقد المؤتمر الصحفي..

وقام أحد الشبان الصحفيين بتهريبي وتأميني بسيارة أجرة خوفاً من اعتقالي أو إصابتي بأذى..

فيما بعد تشكلت لجنة متابعة كنت عضواً فيها إلا أن خلافاً بالرأي أدى إلى انسحابي. خاصة بعد تأكيد معلومة حصول المؤتمر على موافقة أمنية وهذا سبب لي عدم ارتياح بالرغم من النتائج الهامة التي خرج بها المؤتمر.

"اجتماعات المجلس الوطني ملاحظات وانطباعات"

لم تكن تجربة ناجحة.. هكذا وباختصار يمكنني أن أصف تجربتي في المجلس الوطني السوري.. فمشاكل المجلس بدأت باستحواذ بعض الأطراف على القرار والعمل وعبثية محاولة الإصلاح و تضخم العدد يوماً بعد يوم دون تنوع يمثل فعلياً التنوع السوري.

قد تكون الحالة النفسية المرافقة لألم الخروج أحد أسباب هذا الانطباع الذي يقول الناس الذين تركتهم بالداخل لا يشبهون الكثيرين ممن التقيت بهم في الخارج من السياسين . ومع هذا فقد أتاحت لي تلك التجربة التعرف على شخصيات فذة ومعارضين كبار وأصدقاء رائعين حافظت على العلاقة الجيدة معهم حتى اللحظة..

يقول المثل السوري "البعد جفا" كنت ألمح بعضاً منه في ملامح بعض الشخصيات المشاركة في العمل السياسي.. لربما كان هذا يعود لطبيعتي الأقرب للشباب الثائر من السياسيين في تلك الفترة، لكنني حتماً لم أحب الكثير من النقاشات الدائرة في اجتماعات المجلس الوطني أو في كواليسه أو على مجموعة الفيس بوك الخاصة به. خاصة تلك التي تتعلق بالهيكلية وتجاذب القوى والمواقع و عدد مقاعد كل فئة ولم تفلح إعادة الهيكلة في إصلاح المجلس أو خلق تغيير جذري في أدائه. وبالتأكيد كانت هناك شخصيات إيجابية وقوى وطنية تحمل رؤية وتطلعات مشرقة لم تتمكن من تحقيقها بسبب ظرف المجلس وطبيعته وطبيعة الملف السوري..

كانت المرة الأولى التي أرى فيها هذا الكم من العداء والتنافس بين المكونات والشخوص .. عداء طالني في بعض الأحيان من بعض الشخصيات . كنت أجهل سببه إلى أن أدركت أن منبتي ومنهجي الفكري سبب كافٍ لدى بعض الفئات المتطرفة والمؤدلجة للعداء..

على الأرض في سوريا ولد الواقع العسكري وبالرغم من رفضي لعسكرة الثورة إلا أنه كان من الضروري التعامل مع الواقع الراهن الموجود شئنا أم أبينا، على الأقل من أجل تخفيف الآثار الجانبية المرافقة للعسكرة . وكان هذا يستدعي طرح أفكار يمكن البناء عليها في المجلس الوطني وبحث إقامة قيادة عسكرية واحدة وتبديل الخطاب الديني بخطاب وطني..

5 ساعات في مطار أتاتورك بانتظار موافقة إدخالي إلى تركيا بوثيقة سفر كانت كافية لي وللدكتورة بسمة قضماني لإعداد ورقة كنا قد تحدثنا فيها كثيراً فيما سبق عن هذا الموضوع . وتضمنت ضرورة لقاء المجلس الوطني بقيادات الجيش الحر وتحديد نقاط أساسية أهمها إعادة تسميه الكتائب بأسماء وطنية بدلاً من الأسماء الاسلامية وتوحيد السلاح تحت قيادة عسكرية واحدة تنسق مع قيادة سياسية والحفاظ على دور الجيش الحر في الدفاع عن النفس فقط وحماية المظاهرات والمدنيين دون القيام بعمليات هجومية..

لم تكن الصورة واضحة كما يجب بالنسبة لي.. ولم أكن أعلم أن هذه الطلبات لا يمكن تحقيقها بسبب ارتباط بعض تلك القوى بأجندات التمويل وعدم ارتباطها حتى بالشخصيات العسكرية المنشقة والموجودة في دول الجوار وأقول هنا البعض وليس الجميع فالكثير ممن حملوا السلاح أجبروا على ذلك لضرورة الدفاع عن النفس مع أنني أصلاً وحتى اللحظة أؤكد على خطأ تلك الخطوة استراتيجياً..

ولم أكن أعلم أن انفراد بعض المكونات داخل المجلس الوطني وخارجه ، بخلق ترابط عضوي مع بعض الكتائب على الأرض بعيداً عن مؤسسة المجلس وباسمها الحزبي سيكون عائقاً لمثل هذا التصور..

حال الإغاثة لم يكن أفضل فبينما كان المجلس وصندوقه المالي يشكو من ضعف التمويل كانت بعض القوى الموجودة داخل المجلس تعمل باسمها الخاص على الأرض على مستوى الإغاثة من أجل خلق شارع لم تكن تملكه في تلك الفترة..

كما بدأ الاعلام يذهب باتجاه الخطاب الديني ولم يكن الواقع الإعلامي في المجلس الوطني مرضياً وهذا لايتعلق بردود الفعل الطبيعيه لمن يواجهون الموت اليوميه بل يتعلق بنهج المؤسسات الإعلاميه والثورية التي بدأت بتضييق الخطاب وأسلمته..

بالتأكيد كانت هناك بعض الشخصيات الهامة ذات الأفق والمستوى الفكري الرفيع والتي تحمل الهم الوطني بين ضلوعها الا أن حجم التجاذبات والصراعات الخارجية والداخلية كان أكبر من القدرة على التغيير بجهود فردية وهذا ما دفعني للاستقالة من المجلس..

ومع هذا فقد استطاع المجلس أن يتحرك سياسيا ويخلق علاقات دولية واسعة. واجهتها دائماً حالة تجاذب المصالح الدولية. بالإضافة إلى الحرب الباردة بين المعارضة الداخلية الممثلة بهيئة التنسيق وتيار بناء الدولة والخارجية الممثلة بالمجلس الوطني. والتي تسابقت على اللقاءات بالدبلوماسية العالمية ونقل صورة وطلبات متناقضة في تنازع غير مبرر على تمثيل الثورة وعلى شرعية كل طرف. وهذا انعكس أيضاً على الإعلام وعلى القوى الثورية وسبب خلافات بالداخل والخارج وانطلقت حرب الإشاعات والتأويل بين الجميع ضد الجميع وبدأ النظام باستغلال تلك الحروب والمساهمة عبر أدواته بإذكاء تلك الإشاعات وإفساد الأرض وإظهار المعارضة بصورة متشظية بحيث لا تستطيع أن تشكل البديل الناضج له عبر إبراز تلك الخلافات وتضخيمها وإطلاق حملات تخوين من النظام وشبيحة الثورة ومتطرفيها لعدد من شخصيات المعارضة كنت من بينهم لسوء الحظ..

في تلك الفتره حاولت بعض القوى الديمواقراطية داخل المجلس الوطني كسر حاجز الخلاف مع هيئة التنسيق عبر توقيع مسودة اتفاق في القاهرة عبر بعض الشخصيات ومنها د . برهان غليون رئيس المجلس. إلا أن تلك المحاولة تمت مواجهتها بحرب لاذعة من القوى الأخرى داخل المجلس وبالتشكيك من قوى الحراك الثوري مما أدى إلى إجهاضها..

كان هذا الواقع يتطلب خطوة من أجل توحيد المعارضة إن لم يكن بكيان سياسي واحد على الأقل فبالرؤى...

"مؤتمر القاهرة لتوحيد المعارضة"

كان الواقع المزري الذي وصلت إليه المعارضة من تشظٍّ واقتتال سبباً أساسياً لمؤتمر القاهرة ، حيث تمت دعوة 40 شخصية من مختلف قوى المعارضة لمؤتمر تحضيري في اسطنبول كنت من بينهم وكان الهدف الحديث عن حلول وعن مؤتمر للخروج بوثائق ترسم ملامح المرحلة الانتقالية وتضع عهداً وطنياً متوافقاً عليه من الجميع..

خرج الاجتماع بتسمية لجنة تحضيرية من خمس عشرة شخصية انتخبها الحاضرون وكنت من بينهم من أجل الإعداد للمؤتمر ووضع المسودات للوثائق المطلوبة.

وكان من المفترض الانتقال إلى القاهرة بعد أسبوع لبدء العمل حيث كان لدينا أسبوعين فقط قبل موعد انعقاد المؤتمر وكنت السيدة الوحيدة في اللجنة التحضيرية للمؤتمر..

انتقلنا إلى القاهرة وتمت تسميتي المنسقة العامة لأعمال الجنة التحضيرية وكان من بين أعضائها:

أيهم حداد، حسين السيد، خالد ناصر، سالم عبد العزيز المسلط، سمير العيطة، شادي الخش، معتصم السيوفي، عبد الأحد أسطيفو، عبد الكريم عيد أغا، عقاب يحى، كاميران حاجو، نذير الحكيم، وليد البنى، وليد الزعبي. ثم التحق بهم فيما بعد محمود مرعي ومنصور الأتاسي من هيئة التنسيق الوطنية..

كانت تلك اللجنة تمثل معظم قوى المعارضة وكياناتها وهذا يعني أن رؤى مختلفة ستظهر على السطح ومن شبه المستحيل الخروج بأوراق تمثل وجهة نظر كل هؤلاء..

انقسمنا إلى مجموعتي عمل إحداها لدراسة المدعويين ووضع قائمة بأسمائهم بحيث تضم كل القوى السياسية والثورية الحقيقة . والثانية لوضع مسودتي العمل الاساسيتين وهما وثيقة العهد الوطني وملامح المرحلة الانتقالية وكنت من ضمن المجموعه الثانية..

كان العمل مضنياً وكان يستغرق يومياً ما يقارب العشرين ساعة ، وبالرغم من الاصطدام المتكرر والخلافات السطحية والعميقة طوال اليوم لكن الإصرار العجيب على النجاح وتجاوز كل الخلافات كان القاسم المشترك بين كل أعضاء اللجنة ..

بدأت الخلافات بالرؤى حول وسائل الخلاص من النظام والتحول الديموقراطي ولم تنته بالحديث عن حقوق الكرد مثلاً كما لم تغفل مسائل السلمية والعسكرة و شكل الدولة المنشود والدستور

والعدالة الانتقالية والاقتصاد وطريقة الصياغة والحل السياسي ومنظومة المرحلة الانتقالية وكل التفاصيل الأخرى..

طال النقاش الحاد أيضاً قوائم المدعويين وتحديد المعاييروالصفات والأسماء خاصة مع حالة سياسية أنتجت يومياً عشرات الحركات السياسية والثورية والعسكرية وطال أيضاً الصياغة وأسلوب التعبير..

كان يجب أيضا التواصل مع كل القوى واستمزاج آرائها لتخفيف حدة الخلافات حين نخرج بأوراقنا كما كانت اللجنة تنشر يومياً خلاصات عملها على صفحة قمنا بإعدادها على الفيس بوك..

في اليوم قبل الأخيروصلنا إلى طريق مسدود ارتفعت حدة النقاش وبدأ الجميع بالصراخ كنت أراقبهم وأختنق.. لم أعد أحتمل المزيد .. فجأة صرخت بالجميع قلت لهم كونوا بمستوى ما يحصل في بلدنا يكفي شجاراً على الحرف والكلمة والفاصلة هناك ما هو أهم.. سأنسحب من المكان.

تكلم معتصم السيوفي بنفس الحرقة وشادي الخش أيضاً.. وكنا أصغرأعضاء اللجنة سناً.. قلنا لهم سننسحب الآن..

خرجنا نحن الثلاثة وتوجهنا إلى غرفة معتصم كنا نفكربالخطوة التالية وكان التعب والخيبة يخيمان على الجميع.. أسبوعان متواصلان من العمل المضني تخللتها لقاءات بالجامعة العربية ونقاش لكل المستجدات ورافق عملها حملات تخوين واتهامات لنا بالعمالة والإساءة لسمعتنا من جهات مجهولة وأخرى معلومة وحملة إعلامية مسعورة لم نكن نعرف مصدرها تناولت شخصياتنا بينما كنا نقضي اليوم بكامله نبحث عن التوافق إنقاذاً لبلدنا وتغييراً لصورة المعارضة..

بعد نصف ساعة رن موبايل معتصم وكان المتصل أحد اعضاء اللجنة يطلب منا الصعود إلى القاعة فقد حل الاشكال وتم توقيع الوثائق.. غمرنا الفرح وصعدنا إلى القاعة فوجدنا قالباً من الحلوى بانتظارنا والجميع يوقع مسودة المشاريع والوثائق وقد تجاوزوا الخلاف.. صادف في ذلك اليوم عيد ميلادي 6/29

شعرت براحة لا توصف فقد بات لدينا مسودة لأهم وثائق تجمع عليها القوى السياسية الممثلة في اللجنة التحضيرية..

اليوم الأول للمؤتمركان كارثياً فقد خرج في ذلك اليوم بيان مقاطعه من الجيش الحر، حملات كاذبة من الإعلام وتخوين لنا وللمؤتمر" اكتشفت لاحقاً أن هذا سيصبح تقليداً متبعاً يسبق أي مؤتمر أياً كان هدفه.".

حاولت التوضيح على بعض وسائل الإعلام إلا أن حملة ممنهجة كانت تدار من خيوط غريبة لإفشال المؤتمر. ليس فقط من أجل الوثائق والرؤية الجامعة بل من أجل عدم تمخض المؤتمر عن لجنة تنسيق ومتابعة تمثل كل قوى المعارضة وبالتالي تسحب الشرعية السياسية من الآخرين..

دخلنا المؤتمر وكان يوماً شديد الصعوبة وكان النقاش حاداً فقد اعتبرت بعض القوى الإسلامية وثائق اللجنة التحضيرية علمانية ويجب حذف بعض العبارات لتكون مقبولة فصوت الحاضرين لحذف جملة عبارات مثل : "الدين لله والوطن للجميع" كما أضافت على جملة المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة "فيما يتناسب مع الثقافة الاجتماعية"..

حضر المؤتمر عدد كبير من سفراء الدول من مجموعة أصدقاء الشعب السوري والجامعة العربية وكاد المؤتمر ينفجر ثلاث مرات على الاقل بفعل صراعات وخلافات بين هيئة التنسيق والمجلس الوطني والأكراد والعشائر..

في إحدى لحظات الصراع جلست جانباً وتحول المشهد في رأسي الى صامت كنت أشاهد ما يحصل وأبكي بحرقة ..

ازدادت الخلافات في لجنة الصياغة وحضرت جزءاً من النقاش إلا أننا خرجنا بتعديلات أرضت معظم المكونات المشاركة في المؤتمر باستثناء المكون الكردي الذي كان يريد إضافة كلمة الشعب الكردي على الوثائق، بينما رفضت العشائر وبعض القوى القومية في لجنة الصياغة تلك الاضافة كما طرح عمار قربي وحازم نهار وناصر القدوة وسمير عيطة ومعتصم السيوفي وآخرون إضافة بيان جنيف واحد للبيان الختامي . وقوبل هذا برفض القوى الثورية والمجلس الوطني وكاد يؤدي إلى انسحاب بعض القوى لولا تأكيدنا عدم إدراجها في البيان لأن الحضور لم يكونوا محضَّرين لمثل تلك الإضافة التي رافقت خروج بيان جنيف 1 قبل يوم واحد من المؤتمر حيث لم يكن لدينا فهم كافٍ للوثيقة وآثارها وكان هناك ذعر من مجرد ذكر كلمة الحوار..

وهو الأمر الذي استطعنا إيجاد صيغة توافقية له من خلال الحلول السياسية التي أرقت في وثائق القاهرة وكان أي تغيير قد يؤدي لنسف كل العمل..

أخيراً وفي جلسة أخيرة أدارها كمال اللبواني وشاركت في إدارتها تم إقرار الوثيقتين بالإجماع ووضع البيان الختامي للمؤتمر.. كان إنجازاً تاريخياً وكدت أسقط من التعب في نهاية اليوم ..

وثيقة العهد الوطني

التي أقرها مؤتمر المعارضة السورية

المنعقد تحت رعاية جامعة الدول العربية

في القاهرة بتاريخ 2012/7/3

تعاهد المؤتمرون على أن يقرّ دستور جديد للبلاد مضامين هذا العهد :

*الشعب السوري شعب واحد، تأسّست لحمته عبر التاريخ على المساواة التامّة في المواطنة بمعزل عن الأصل أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الإثنيّة أو الرأي السياسي أو الدين أو المذهب، على أساس وفاق وطنيّ شامل، لا يجوز لأحد فرض دينٍ أو اعتقادٍ على أحد، أو أن يمنع أحداً من حريّة اختيار عقيدته وممارستها. النساء متساوون مع الرجال، ولا يجوز التراجع عن أيّ مكتسبات لحقوقهنّ. كما يحقّ لأيّ مواطن أن يشغل جميع المناصب في الدولة، بما فيها منصب رئيس الجمهوريّة، بغض النظر عن دينه أو قوميّته، رجلاً كان أم إمرأة. هكذا يفخر الشعب السوري بعمقه الحضاريّ والثقافي والدينيّ الثري والمتنوّع، ممّا يشكّل جزءاً صميماً من ثقافته ومجتمعه، ويبني دولته على قاعدة الوحدة في التنوع، بمشاركة مختلف مكوّناته دون أيّ تمييزْ أو إقصاء .

*الإنسان هو غايّة العلاقة بين أبناء الوطن الواحد، التي تتأسّس على الالتزام بالمواثيق والعهود الدوليّة لحقوق الإنسان والحقوق الاجتماعية والاقتصادية، اللتان كرستهما البشريّة، وضمان التمتّع بهذه الحقوق للمواطنين والمقيمين على السواء .

*الشعب السوري حرّ وسيّد على أرضه ودولته وهما وحدة سياسية لا تتجزّأ ولا يجوز التخلّي عن أيّ شبرٍ فيها، بما في ذلك الجولان المحتلّ. وللشعب السوري الحقّ في النضال من أجل استعادة أراضيه المحتلّة بكلّ الوسائل الممكنة .

*تشكّل الحريّات الفرديّة والعامّة والجماعيّة أساساً للعلاقة بين أبناء الوطن الواحد، وتكفل الدولة الحريات العامّة، بما فيها حرية الحصول على المعلومة والإعلام، وتشكيل الجمعيات الأهلية والنقابات والأحزاب السياسية، وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، وحرية التظاهر والإضراب السلميين. وتضع قواعداً لصون هذه الحريّات من هيمنة عالم المال أو السلطة السياسية. كما تكفل الدولة السورية احترام التنوّع المجتمعي ومعتقدات ومصالح وخصوصيّات كل أطياف الشعب السوري، وتقرّ بالحقوق الثقافية والسياسية لكلّ مكوّناته وتطلّعها للتطور والرعاية .

*يضمن الدستور إزالة كافّة أشكال التمييز ضد المرأة، ويسعى لخلق المناخ التشريعي والقانوني الذي يؤمّن تمكينها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً فيما يتفق مع كلّ المواثيق الدوليّة ذات الصلة بما يتناغم مع الثقافة المجتمعية .

*تقرّ الدولة السوريّة بوجود قومية كرديّة ضمن أبنائها، وبهويّتها وبحقوقها القوميّة المشروعة وفق العهود والمواثيق الدوليّة ضمن إطار وحدة الوطن السوري. وتعتبر القومية الكردية في سورية جزءاً أصيلاً من الشعب السوري. كما تقرّ الدولة بوجود وهويّة وحقوق قوميّة مماثلة للقوميتين السريانية الأشورية والتركمانية السوريتين وتعتبران جزءاً أصيلاً من المجتمع السوري .

*سورية هي جزء من الوطن العربي، ترتبط شعوبه بوشائج الثقافة والتاريخ والمصالح والأهداف الكبرى والمصير المشترك. وسوريا عضو مؤسّس في جامعة الدول العربيّة، تتطلّع إلى توثيق مختلف أشكال التعاون والترابط بين البلدان العربيّة .

*يلتزم الشعب السوري دعم الشعب الفلسطيني وحقّه في إنشاء دولته الحرّة السيّدة المستقلّة وعاصمتها القدس .

*تربط الشعب السوري بجميع الشعوب الإسلامية الأخرى جذور تاريخية مشتركة وقيم إنسانيّة مبنية على الرسالات السماوية .

*سورية جزء من المنظومة العالمية وهي عضو مؤسّس في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات المتفرّعة عنها، ولذا فهي ملتزمة بمواثيقها، وتسعى مع غيرها من دول العالم لإقامة نظام دولي بعيد عن جميع النزاعات المركزية والهيمنة والاحتلال، نظام قائم على التوازن في العلاقات وتبادل المصالح والمسؤولية المشتركة في مواجهة التحديات والأخطار العامة التي تهدّد أمن وسلام العالم .

*الشعب هو مصدر الشرعية والسيادة التي تتحقّق من خلال نظامٍ جمهوري ديموقراطي مدنيّ تعدّدي، يسود فيه القانون ويقوم على المؤسسات. ولا يجوز فيه الاستئثار بالسلطة أو توريثها بأيّ شكلٍ كان .

*تقوم مؤسّسات الحكم في الدولة السورية على أساس الانتخابات الدوريّة والفصل التام بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وعلى مبدأ التداول على السلطة عبر الانتخاب السرّي والحرّ، واحترام نتائج الانتخابات التي يقررها صندوق الاقتراع مهما كانت .

*يقرّ دستور جديد أسس النظام الديموقراطي التعدّدي المدني ونظام انتخابي عصريّ وعادل يضمن حق مشاركة كافّة التيارات الفكرية والسياسية، ضمن قواعد تؤمّن أوسع تمثيل للشعب استقرار النظام البرلماني، وتضبط بشكلٍ دقيق الموارد المالية وإنفاق الأحزاب والجماعات السياسية .

*الجيش السوري هو المؤسسة الوطنية التي تحمي البلاد وتصون استقلالها وسيادتها على أراضيها، تحرص على الأمن القومي ولا تتدخّل في الحياة السياسية .

*تعتمد الدولة مبدأ اللامركزية الإدارية، بحيث تقوم الإدارة المحلية على مؤسسات تنفيذية تمثيليّة تدير شؤون المواطنين والتنمية في المحافظات والمناطق، بهدف الوصول إلى تنمية مستدامة ومتوازنة .

*تصون الدولة الملكية الخاصة، التي لا يجوز الاستيلاء عليها إلاّ للمنفعة العامة ضمن القانون ومقابل تعويض عادل، دون أن يعاد تجييرها لمصالح خاصّة .

*تصون الدولة المال العام والملكيّة العامّة لمنفعة الشعب، وتقوم سياستها على العدالة الاجتماعية والتنمية المتوازنة المستدامة وإعادة توزيع الدخل والثروة عبر النظام الضريبي بين الفئات الاجتماعية وبين المناطق، وكذلك على ضمان حريّة الاستثمار والمبادرة الاقتصادية وتكافؤ الفرص والأسواق ضمن ضوابط تكافح الاحتكار والمضاربات وتحمي حقوق العاملين والمستهلكين .

*تلتزم الدولة السورية إزالة كافّة أشكال الفقر والتمييز ومكافحة البطالة بهدف التشغيل الكامل الكريم اللائق والإنصاف في الأجور، وتحقيق العدالة في توزيع الثروة الوطنيّة، وتحقيق التنمية المتوازنة وحماية البيئة، وتأمين الخدمات الأساسيّة لكلّ مواطن: السكن والتنظيم العمراني، ومياه الشرب النظيفة، والصرف الصحي، والكهرباء، والهاتف والانترنيت، والطرق والنقل العام، والتعليم والتأهيل النوعيين، والتأمين الصحيّ الشامل ومعاشات التقاعد وتعويضات البطالة، بأسعارٍ تتناسب مع مستويات المعيشة .

تم إعداد الصياغة الأولى لهذه الوثيقة واعتمادها من قبل اللجنة التحضيرية للعرض على مؤتمر المعارضة السورية، وجرت مناقشتها في الجلسة الأولى من جلسات عمل المؤتمر، وتم إقرار بعض التعديلات عليها واعتمادها من قبل المشاركين في المؤتمر في جلسة العمل الختامية مساء يوم 2012/7/3 .

====================

مؤتمر المعارضة السورية

الرؤية السياسية المشتركة

لملامح المرحلة الانتقاليّة كما أقرها مؤتمر المعارضة السورية

المنعقد تحت رعاية جامعة الدول العربية بالقاهرة بتاريخ 2012/7/3

إسقاط السلطة الحاكمة والمرحلة الانتقاليّة

تعريفات: مرحلة إسقاط السلطة الحاكمة هي مرحلة النضال والإصرار حتّى إسقاط بشار الأسد ورموز السلطة ، والمرحلة الانتقاليّة هي المرحلة الفاصلة بين هذا الاسقاط وبين انتخاب رئيس وبرلمان على أساس دستور جديد للدولة السورية ، وانبثاق حكومة تمثّل البرلمان المنتخب. كلا المرحلتين تتطلّبان لإتمامهما إجراءات توافقيّة بين قوى المعارضة على الصعد السياسيّة والقانونيّة والأمنيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وكذلك على صعيد العدالة الانتقاليّة .

1- مرحلة إسقاط السلطة الحاكمة :

لن يتمّ الوفاء لتضحيّات ومعاناة الشعب السوري من أجل الحريّة والكرامة إلاّ عبر إسقاط رموز السلطة الأساسيين، لأنّ وجودهم يشكّل عائقاً في سبيل تشييد الدولة المدنيّة الديموقراطيّة التعدديّة، دولة المساواة في المواطنة والحريّات، التي سيصنعها السوريون جميعهم. وسيستمرّ النضال من أجل هذا الهدف على الأسس التالية :

***يبدأ الحلّ السياسي في سورية بإسقاط بشار الأسد ورموز السلطة، ومحاسبة المتورّطين منهم في قتل السوريين .**

***سيستمرّ الإصرار الثوري والإرادة الشعبية والثورة حتّى سقوط السلطة الحاكمة .**

***لن يتم التغيير المنشود إلا بإرادة الشعب السوري وتضحياته مع حشد الدعم العربي والدولي الفعال لحماية وحدة وسيادة واستقرار سورية، ووضع آلية إلزامية لحماية المدنيين السوريين، وجدول زمني للتنفيذ الفوري والكامل لقرارات مجلس الأمن وجامعة الدول العربية ذات الصلة. ومطالبة مجلس الأمن باتخاذ التدابير اللازمة لفرض التنفيذ الفوري لتلك القرارات .**

***ضرورة توحيد جهود المعارضة على كافّة الأصعدة من أجل تحقيق إسقاط النظام بأسرع وقتٍ ممكن .**

*دعم الحراك الثوري والجيش السوري الحر، والعمل على توحيد قواه وقياداته خدمة لأهداف ثورة الشعب السوري .

*دعوة كافّة الأطراف للعمل بأشدّ الحرص على حماية السلم الأهلي والوطني .

2- المرحلة الانتقاليّة

تبدأ هذه المرحلة عند لحظة سقوط بشار الأسد ورموز السلطة الأساسيين وتنتهي عند انتخاب مجلس تشريعي حرّ على أساس دستور دائم جديد .

*المرجعيّة السياسيّة والقانونيّة

o فور سقوط بشار الأسد ورموز السلطة، تتمّ إقالة الحكومة وحلّ مجلس الشعب الحالي وتشكيل حكومة تسيير أعمال، بالتوافق بين قوى المعارضة السياسيّة والثوريّة، وسلطة الأمر الواقع الوطنيّة ومن لم تتلطّخ أيديه بدماء السوريين أو بنهب المال العام، على أسس تتوافق مع وثائق ومقرّرات مؤتمر القاهرة، لحين تشكيل حكومة انتقالية .

o فور استلام حكومة تسيير الأعمال يتمّ حلّ حزب البعث الحاكم والمؤسسات التابعة له، والتحفّظ على أملاكه وإعادتها للدولة، على أن يسمح لأعضائه بممارسة العمل السياسي وفق القوانين الجديدة .

o تتمّ الدعوة إلى مؤتمر وطني واسع في دمشق يشمل كلّ القوى السياسيّة ومكوّنات المجتمع بدون استثناء، بهدف إقرار تشكيل جسم تشريعي مؤقت (هيئة عامّة للدفاع عن أهداف الثورة والانتقال الديموقراطي) وحكومة انتقالية من شخصيات مشهود لها بالكفاءة والنزاهة .

o يعمل الجسم التشريعي المؤقت على إصدار إعلان دستوري يستند إلى وثيقة العهد الوطني المقرّة في مؤتمر القاهرة، يتضمّن وضعية الرئاسة في المرحلة الانتقالية، وكذلك مجلس القضاء الأعلى، ومجلس الأمن الوطني، والهيئة العليا للمحاسبة والمصالحة، والهيئة العامّة للتعويضات الاجتماعيّة وإعادة الإعمار. يتولّى هذا الجسم الرقابة على السلطة التنفيذيّة، ويصدر قوانين مؤقتّة تنظّم الحياة العامّة في المرحلة الانتقاليّة، تشمل حريّات الإعلام والتظاهر وتشكيل الأحزاب والنقابات والجمعيّات وإلغاء جميع المراسيم والقوانين والمحاكم الاستثنائية، كما يلغي المراسيم والقوانين

التمييزيّة بحق القوميات الكردية والتركمانية والآثورية وأيّ طيفٍ آخر من أطياف الشعب السوري. كما يضع قانوناً انتخابياً لمجلس تأسيسي ومسودّة لدستور دائم للبلاد على أسس العهد الوطني .

o تتولّى الحكومة الانتقالية إدارة شؤون البلاد تحت رقابة الجسم التشريعي الناتج عن المؤتمر الوطني، وتعالج أولويّات إزالة الآثار الاجتماعيّة والعمرانيّة للمرحلة السابقة والنهوض بالاقتصاد الوطني .

o خلال مدّة أقصاها سنة عن تشكيله، يقوم الجسم التشريعي المؤقّت والحكومة الانتقالية بالعمل على إجراء انتخاب برلمان تأسيسي يقرّ مشروع الدستور ويطرحه على الاستفتاء العام في مدّة أقصاها ستّة أشهر .

o فور انتخاب البرلمان التأسيسي، يتمّ حلّ الجسم التشريعي المؤقّت وتشكيل حكومة جديدة على أساس الأغلبيّة التي نتجت عن الانتخابات .

*المؤسّسة العسكريّة والأمن

- عند سقوط بشار الأسد ورموز السلطة، يتمّ التوقيع بين العناصر الشريفة من الجيش النظامي ممن لم تتلطخ أيديهم بدماء السوريين، وبين الجيش السوري الحر والمقاومة المسلحة على وثيقة تفاهم تنظّم عمليّات وقف إطلاق النار وسحب الجيش إلى ثكناته وضبط الأمن وحفظ السلم الأهلي والوطني ويتم ذلك برعاية وإشراف مجلس الأمن إذا اقتضى الأمر .

- تشكل الحكومة الانتقالية مجلساً للأمن الوطني بقيادة رئيس السلطة التنفيذية، يضم في عضويته قادة عسكريين شرفاء لم تتلطخ أيديهم بدماء السوريين ومن الجيش الحر والمقاومة المسلحة وشخصيات مدنية ذات صلة، ويخضع للقواعد التي يضعها الجسم التشريعي المؤقت .

- يتولّى مجلس الأمن الوطني عمليّات إعادة هيكلة القوّات المسلّحة والأجهزة الأمنيّة بعد إخضاعها لسلطته، بغية تطهير الأجهزة ممّن ثبت تورّطه، وحلّ الميليشيات المسلّحة (الشبيحة) وسحب السلاح من المدنيين وضمّ من يرغب من الثوّار إلى القوّات المسلّحة. كما يحرص هذا المجلس على الحفاظ على السجلات والوثائق من أجل تسهيل تحقيق العدالة الانتقالية، وحماية السجون، والحفاظ على سلامة الممتلكات العامّة والخاصّة من أيّ عبث .

* العدالة الانتقالية

يتمّ تشكيل هيئة عامّة للمحاسبة والمصالحة الوطنيّة، تعمل تحت إشراف الجسم التشريعي المؤقت ثمّ البرلمان، انطلاقاً من أسس العهد الوطني على :

-تحقيق العدالة لجميع الضحايا الذين تعرّضوا لانتهاكات منهجية لحقوقهم الإنسانية ولإساءة المعاملة، وتعويضهم ومحاسبة الفاعلين وإيجاد آليات تعويض إضافية اجتماعية تمنع تفاقم النزاعات الاجتماعية .

-تحقيق الشفافية في نشر وثائق وحقائق تتعلّق بسلوك مرتكبي الجرائم بالإضافة إلى تجارب الضحايا .

-خلق آليات المحاسبة والشفافيّة ومنع حصول انتهاكات جديدة أثناء تطبيق العدالة الانتقالية واستعادة إيمان وثقة المواطنين بمؤسّسات الدولة والمساهمة في تعزيز سلطة القانون والمؤسّسات الديمقراطية ومشروعيتها، بغية ترسيخ بيئة خصبة لترميم الصدوع وتحقيق المصالحة الوطنية الشاملة على الصعيد الوطنيّ والمحلّي .

-معالجة التأثيرات الفرديّة والجماعية للعنف والقمع والاستبداد وتوفير الدعم النفسي للأطفال والنساء وضحايا العنف .

-إزالة آثار السياسات التمييزية السابقة بما فيها إلغاء القانون 49 لعام 1980 وإزالة الإجحاف بحق نازحي الجولان وضحايا أحداث الثمانينات، وانتفاضة 2004 الكردية والمصادرات وتداعياتها، وتعويض المتضرّرين وإيجاد حلول عادلة للمشاكل المتراكمة .

-إزالة آثار السياسات والقوانين التمييزية والمجحفة بحق القومية الكردية في سوريا وتداعياتها، وتعويض المتضرّرين من أبناء الشعب السوري كافة وإعادة الحقوق لأصحابها .

-تتضمن الهيئة العامّة للمحاسبة والمصالحة الوطنيّة أصحاب اختصاصات مختلفة قانونية واجتماعية وحقوقية ونفسية وثقافية وشخصيات وطنيّة واجتماعية وفنيّة تتمتّع بالمصداقية والقدرة على التأثير من أجل تنفيذ آليات العدالة الانتقالية عبر الخطوات التالية :

- هيئة قضائية مستقلّة للبت في الجرائم المرتكبة من قبل النظام وتشمل مسؤولي النظام الكبار بحيث تكون نزيهة وموضوعيّة وتحقّق السرعة المنطقية في عمليات المحاسبة .

- لجنة تقصّي حقائق تعمل على جمع الإفادات والتحقيق في جرائم النظام أثناء الثورة وإحالتها إلى الهيئة القضائية وتشمل القيادات العليا والصفوف الأولى من النظام .

- لجنة تاريخية تهدف الى التحقيق في الجرائم طويلة المدى وكشف الحقائق بما يتعلّق بجرائم النظام ضد الشعب السوري مثل مجزرة حماه وملفّ الاعتقالات السياسية والاعدامات الميدانية وملف المهجرين قسرياً والمسرحين بشكل تعسفي .

- لجان مصالحة محلية تتضمن الشخصيات الوطنية والاجتماعية المؤثرة بالاستفادة من الطبيعة المجتمعية تبدأ العمل على عمليات المصالحه الوطنية والحوار الوطني عبروسائلها المتنوعه وتراعي في تشكيلها الخصوصيات المحلية للتركيبة المجتمعية السورية .

- لجان تحكيم لحل النزاعات الصغيرة الأهلية الناشئة عن مرحلة الثورة فيما يتعلق بالأفراد وتراعي القانون في حل القضايا الصغيرة والخلافات الاهلية وتعمل على المصالحة الوطنية .

- تشكل الهيئة مكتباً لتخليد الذكرى يقوم بتكريم ذكرى الشهداء والمعتقلين وإنشاء الصروح التذكارية من أجل التعويض المعنوي والنفسي للمجتمع .

- إدخال مفاهيم العدالة الانتقالية ضمن العمل التربوي والمناهج المدرسية والمؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية .

- إصدارعفوعلى بعض الجرائم الصغيرة المرتبطة بالأحداث الاخيرة .

- فيما يتعلق بالجرائم المرتبطة بأحداث الثورة والتي تشمل الافراد والعصابات (الشبيحة) يستمرعمل المحاكم العادية وفق القانون السوري متماشياً مع إصلاحها بالطبع في عملية النظرفي هذه الجرائم مع ضمان السرعة المنطقية في البت بها وضمان حقّ كلّ المواطنين باللجوء إلى القانون والادعاء الشخصي والمحاكمة العادلة .

- تشكيل فرق دعم نفسي واجتماعي تتبع لمكتب متخصص في الهيئة وبالتعاون مع منظمات المجتمع المدني المتخصصة من أجل علاج حالات الصدمة المرتبطة بكل أنواع العنف الذي مورس على النساء والأطفال والمعتقلين من أجل إعادة تأهيلهم وتقديم الرعاية الصحية الضرورية والنقاهة اللازمة لإعادة الدمج .

- تعمل هذه الهيئة بالتعاون مع القضاء على وضع قواعد المحاسبة والمصالحة بما يخصّ أعضاء السلطة السابقة والمجموعات المسلّحة (الشبيحة) وضمان حقّ جميع المواطنين في محاكمة عادلة تؤمّن حقوقهم .

- فور إسقاط بشار الأسد ورموز السلطة، يتمّ التحفّظ والحجز على أملاك أعضاء السلطة السابقة وعائلاتهم وأقاربهم المتورّطين في نهب المال العام في الداخل والخارج، كي يعالج الموضوع ضمن قواعد يضعها الجسم التشريعي المؤقت أو البرلمان، بما في ذلك الأموال المحتجزة في الخارج .

*الوضع الاقتصادي الاجتماعي

يتمّ تشكيل هيئة عامّة للتعويضات الاجتماعية وإعادة الإعمار، تعمل تحت إشراف الجسم التشريعي المؤقت ثمّ البرلمان، انطلاقاً من أسس العهد الوطني على :

- إعانة المنكوبين من الأحداث الحالية ، وإعادة إعمار ما تهدّم لهم من أملاك خاصّة،

- إعانة أهالي جميع الشهداء والمعتقلين والجرحى والمعاقين وتعويضهم بشكلٍ عادل .

- إعادة النازحين والمهجّرين في الداخل والخارج وتسوية أوضاعهم .

- المساهمة مع الحكومة في إعادة إعمار البنى التحتيّة والمنشآت العامّة المتأثّرة من الأحداث، وفي تمويل الإجراءات الاقتصاديّة والاجتماعيّة العاجلة .

- توضع تحت سلطة هذه الهيئة جميع المعونات الخارجيّة والدوليّة، بالتنسيق مع الجهات المانحة. وتصرف من مخصّصاتها مخصّصات هيئة المحاسبة والمصالحة الوطنيّة .

- مطالبة المجتمع الدولي فور سقوط بشار الأسد بإلغاء كافّة العقوبات الشاملة المفروضة على سوريا ومؤسساتها، و المساعدة و الدعم من أجل استعادة الدولة لأموال السلطة المحتجزة في الخارج .

- تعمل الحكومة الانتقاليّة على انتهاج سياسات فورية في سبيل :

- إعادة إطلاق الإنتاج الاقتصادي على كافّة الصعد .

- معالجة تضخّم الأسعار .

- تأمين المواد التموينيّة الأساسيّة .

- القضاء على الفقر وتفاقمه في المناطق المتضرّرة من الأحداث .

- إلغاء الاحتكارات .

تم إعداد الصياغة الأولى لهذه الوثيقة واعتمادها من قبل اللجنة التحضيرية للعرض على مؤتمر المعارضة السورية، وجرت مناقشتها في الجلسة الأولى من جلسات عمل المؤتمر، وتولت لجنة الصياغة التي شكلها المؤتمر إدخال التعديلات عليها بناءً على المقترحات المقدمة من المشاركين في المؤتمر، ثم جرى مناقشتها وإدخال بعض التعديلات الإضافية عليها واعتمادها في الجلسة الختامية للمؤتمر مساء يوم 2012/7/3 .

==================

البيان الختامي لمؤتمر المعارضة السورية

المنعقد تحت رعاية جامعة الدول العربية

في القاهرة 2-2012/7/3

أنهى مؤتمر المعارضة السورية الذي انعقد تحت رعاية جامعة الدول العربية أعماله في القاهرة مساء يوم 2012/7/3، بحضور نحو 210 شخصية تمثل مختلف أطراف المعارضة السورية من تيارات سياسية وشخصيات مستقلة فى الداخل والخارج والحراك الثوري، حيث بحث المؤتمرون بكل مسؤولية جميع القضايا الجوهرية المتعلقة بالثورة السورية، وصدر عن المؤتمر الوثائق التالية :

- وثيقة توافقية تحدد الرؤية السياسية المشتركة للمعارضة السورية إزاء تحديات المرحلة الانتقالية .

- وثيقة العهد الوطني التي تضع الأسس الدستورية لسورية المستقبل، وهي العدالة والديمقراطية والتعددية .

- أجمع المؤتمرون على أن الحل السياسي في سورية يبدأ بإسقاط النظام ممثلاً ببشار الأسد ورموز السلطة وضمان محاسبة المتورطين منهم في قتل السوريين، كما طالب المؤتمر بالوقف الفوري لأعمال القتل التي يترتكبها النظام السوري وكذلك الانتهاكات وسحب الجيش وفك الحصار عن المدن والأحياء السكنية السورية وإطلاق سراح المعتقلين فوراً .

- أكد المؤتمر على دعم الجيش السوري الحر وكافة أشكال الحراك الثوري والعمل على توحيد قواه وقياداته خدمة لأهداف ثورة الشعب السوري .

- أكد المؤتمر على دعوة جميع مكونات الشعب السوري للعمل على حماية السلم الأهلي والوحدة الوطنية .

- كما أكد المؤتمرون من خلال الوثائق الصادرة عن المؤتمر على أن التغيير المنشود في سورية لن يتم إلا بالإرادة الحرة للشعب السوري الثائر ضد النظام القمعي والمستبد، كما طالب المؤتمر بوضع آلية إلزامية توفر الحماية للمدنيين من خلال جدول زمني للتنفيذ الفوري والكامل لقرارات جامعة الدول العربية ومجلس الأمن ومطالبته باتخاذ التدابير اللازمة لفرض التنفيذ الفوري لتلك القرارات .

استحوذ المؤتمر ووثائق القاهره على اهتمام الرأي العام العالمي وإشادت بمنتجاته الصحف العالمية والإعلام الغربي لآنه شكل أساساً يبنى عليه للمرة الأولى لرؤى ناضجه ترسم خارطة طريق وتخرج من حالة الفوضى السياسية التي مرت بها المعارضة في تلك الفترة .

"مؤتمر أصدقاء الشعب السوري في باريس"

أعقب مؤتمر القاهرة اجتماع أصدقاء الشعب السوري في باريس والذي دعيت إليه بصفتي المنسقة للجنة التحضيرية لمؤتمر لقاهرة وممثلة للجان التنسيق المحلية أيضاً وأعطيت الكلام في جلسة المؤتمر الأولى ، كما التقت بي السيدة هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية والتقت كذلك بالمعارض رياض سيف والناشط خالد أبو صلاح على هامش المؤتمر في قاعة أخرى وحضر الاجتماع السيد نبيل العربي والسيد وزير الخارجية القطري والسيد السفير السعودي والسيد روبرت فورد أيضاً..

تحدث رياض سيف عن الوضع السياسي وحال الواقع السوري والذي يدركه بشكل جيد وهو المعارض الذي كان قد خرج من الداخل قبل المؤتمر وتحدث خالد أبو صلاح عن الحالة في حمص ومرارة الحصار والقصف الذي يسببه النظام لحمص ، وتحدثت عن الوضع السياسي ومؤتمر القاهرة وانتقدت السلوك الدولي الذي يتبعه المجتمع الدولي اتجاه الشعب السوري . السيدة كلينتون أشادت بعمل اللجنة التحضيرية كما قالت إنها سمعت عني في السابق وهي سعيدة باللقاء بنا.. قلت لها إن الموقف الامريكي غير مفهوم بالنسبة لي ولا يمكنني أن اقتنع أن الموقف الروسي الحالي لا يمكن لأميركا تغييره إن أرادت باتجاه ضغط أكبر على النظام من أجل وقف القتل والمجازر التي تحصل يومياً في سوريا..

التحقت بنا في الاجتماع الكاتبة سمر يزبك أيضاً وتحدثت عن العمل المدني وواقع الأقليات وكيفية استغلال النظام لذلك الواقع ، دام الاجتماع ما يقارب النصف ساعة..

"رؤيتي في العام الثاني للثورة بعيد مؤتمر القاهره للمعارضة"!!..

23 سبتمبر، 2012، الساعة 09:57 صباحاً

بغض النظر عن المؤتمرات التي تعقد هنا وهناك.. وبعيداً عن الأسئلة التي تطرح والتي تتضمن كيف تمكنوا من عقد مؤتمرهم في داخل الوطن وبتغطية إعلامية منها إعلام رسمي يتبع للنظام بشكل مباشر أو غير مباشر.. ؟؟

وبغض النظر عن وجود عبد العزيز الخير معتقلاً مع اثنين من زملائه في هذه الأثناء!!

وبغض النظر عن القصف الذي ربما تصل أصواته إلى مسامع الحضور!! ...

وبعيداً عن كل تلك الأسئلة التي يحق لنا طرحها فعلاً مع وضع الكثير من علامات التعجب!!!!!..

وبغض النظر عن جدوى المؤتمرات التي تعقد في الخارج والتي أصبح من الصعب إحصاؤها!!!!..

في ظل ازدياد حالات التشبيح لدى المعارضة لتقارب بشاعة شبيحة النظام!!!

وبغض النظر عن حجم الأكاذيب التي يتم ضخها والتراجع عنها من قبل بعض شخصيات المعارضة لتخلق حالة من انعدام الثقة!!!.

وبغض النظر عن تدويل الوضع السوري بشكل مباشر من قبل النظام والمعارضة معاً من جهة أولى ، و الحالة الجيوساسية لسوريا والتي لعبت دوراً كبيراً في تكريس ذلك التدويل من جهة ثانية ، ما أدى إلى تعقيد المسألة برمتها!!!..

وبغض النظر عن كارثية الوضع السوري على المستوى الإنساني والميداني، وحالة الاستنزاف التي دخلنا فيها ودمار مناطق ومدن بكاملها في ظل عجز داخلي ودولي عن إحراز تقدم موضوعي لإيقاف المجازر. أو نتيجة مؤثرة مع ملاحظة ارتفاع عدد الشهداء حين دخلنا بالعسكرة والتي جاءت كنتيجة ارتكاسية لعنف النظام وإجرامه الذي لا يوصف ولايمكن فهمه طوال مدة الثورة، وعدم قناعة كثير من الشبان بجدوى السلمية بمواجهة السلاح وإجرام النظام (علما أنني من المؤمنين بالسلمية كوسيلة أكثر أمناً وأقل دمويةً على المدنيين القريب والبعيد) بالإضافة طبعا إلى دفع أطراف محلية ودولية إلى هذا الاتجاه بحسن أو سوء نية!!..

وبالرغم من أن المعنويات كانت عالية عند كثير من الثائرين مع كل الموت المحيط.

وبالرغم من تراكم الأخطاء لدى كل الأطراف وظهور عناصر دخيلة تحاول تغيير طبيعة المجتمع فكرياً وإيدولوجياً وديموغرافياً كنتيجة طبيعية للفوضى ونزاع المحاور مثل القوى المتطرفة والعناصر الأجنبية القادمة من الخارج..

وبالرغم من أن الحديث عن أمل في حل سياسي قريب بات هزيلاً في ظل التصعيد الأمني والعسكري وقصف المدن الذي يقوم به النظام الإجرامي وهذا يشبه إلى حد كبير الغناء في الطاحون مع العلم وبحكم منطق التاريخ أنه سيكون الحل أولاً وأخيراً..

فقد كانت لدي وجهة نظر في تلك الفترة عبرت عنها بكل وضوح على صفحتي على الفيس بوك مراراً لخصت مبادئي ورؤيتي وبعض الضوابط التي أراها ضرورية حول أي نشاط سياسي تقوم به المعارضة في الداخل والخارج آن ذاك وهي:

-أي مؤتمر أو اجتماع بهدف بحث حل سياسي يجب أن ينص صراحة على رحيل الاسد فوراً مع الطغمة الأمنية الحاكمة للانتقال نحو دولة مدنية ديموقراطية ومحاسبة الجهات المسؤولة عن المجازر التي ارتكبت بحق الشعب بغض النظر عن تبعتها والطرف الذي تقف في جانبه.

-الشروط الأخرى يجب أن تتضمن بشكل طبيعي وقف القتل وهذا يعني سحب الجيش الى ثكناته ووضع الشبيحة في السجون و إطلاق سراح كل المعتقلين فوراً والسماح بعودة كل اللاجئين والمعارضين بضمانات دولية وبإشراف الأمم المتحدة وهذا سيكفل إيقاف إطلاق النار إن كنا نتحدث عن انتقال سياسي للسلطة كما يجب وضع آليات لسحب السلاح من المدنيين بعد ذلك وضبط الأمن والفوضى وضمان السلم الأهلي كأولوية حقيقية.

-تسمية الأمور بمسمياتها أمر ضروري جداً فما يحصل في الوطن هو ثورة ، وإجرام النظام هو من أوصل الأمور إلى هنا وأدى إلى حمل السلاح لمن هو مقتنع بالخيار العسكري أو لمن وجد نفسه مضطراً لهذا بالإضافة إلى قوى سياسية وثورية من داخل المعارضة دفعت نحو هذا الخيار لأنها غير مؤمنة بقدرة السلمية على التغيير مدفوعة أحيانا من قوى إقليمية ظانة أنها الطريق الوحيد لتكريس وجودها في شارع لاتملكه والسبيل لاستجلاب تيار قد يجر الشارع إلى حيث يريد وهو التيار الديني على عكس الإتجاه الذي أرادته القوى الديموقراطية والمدنية للثورة. يجب أن لا ننسى أن الخيار العسكري و الحرب المفتوحة الذي شنها النظام على شعبه هو العامل الأساس الذي جر البلد إلى الفوضى الأمنية وأصبح عرضة للتدخلات من كل صوب بحسن أو بسوء نية أي أن النظام هو المسؤول الأساسي عما وصلت إليه الحال في سوريا بما فيها العسكرة وهو ما لايعفي بقية الأطراف من مسؤولياتها..

الأخطاء ارتكبت من الجميع ولكن المسؤول الأكبر هو النظام ومع هذا يجب الإشارة الى الخطأ وإدانته من أي طرف كان.

-الحديث عن حماية الأقليات فقط وإهمال ما يحصل للأكثرية في سوريا من قبل المجتمع الدولي بات مقززاً لأن الأكثرية هي من تباد اليوم و الاحتقان الطائفي سببه السلوك الطائفي الممنهج من قبل النظام وإقحامه للبعض في بوتقته. هذه العبارة تذكرني بما قلته تماماً في لقاء جمعني بوزير الخارجية الفرنسي في بيروت مع نشطاء آخرين في قصر الصنوبر في بيروت .. وأضفت إلى ما سبق أن هذا المنطق الدائم سيسبب مزيداً من الاحتقان الطائفي ضد الأقليات حيث لا تلحظون ألم الأكثرية..

ويجب التنبيه إلى أن الثورة لم تكن طائفية يوماً وأن الشعب السوري الثائر حتى الآن بكل مكوناته بما فيه الجزء الثائر أو المتعاطف مع الثورة من الأقليات أو الأكثرية أبدى ضبطاً للنفس ووطنية أكثر بكثير من بعض القيادات السياسية للمعارضة ومن النظام وأتباعه وهو صمام الأمان الذي يعول عليه ضد أي محاولات لجره إلى حيث لا تصب المصلحة الوطنية..

وهذا يعني أيضاً أن الثورة يجب أن لا تنجر إلى رغبة النظام بإشعال حرب أهلية وأنه من الاجدى الابتعاد عن النفس الطائفي والديني وتذكر أهداف الثورة السورية والتي تتعلق بالدولة الديمقراطية التعددية ووطنية هذه الأهداف وليس طائفيتها و التذكر دائماً أنها ثورة شعب ضد نظام وليست ثورة طائفة ضد طائفة.. ولكن هذا أصبح يوماً بعد يوم أكثر صعوبة بفعل التدخلات الخارجية وارتفاع وتيرة العنف وظهور تيارات دينية متشددة مسلحة بدعم من الخارج مثل جبهة النصر وبعض الكتائب المتطرفة وتطعيمها بغرباء عن سوريا بحجة الجهاد.

لا تنسوا أن هناك دولاً في المنطقة كانت تحتاج فعلاً لتحويل الثورة إلى نزاع طائفي من أجل وأدها..

-إن حالة التشرذم بين القوى السياسية وحتى الثورية والحرب الإعلامية بين أطراف المعارضة يجب أن تتوقف احتراماً للدماء. و إن التحريض الإعلامي أو الطائفي أو ضخ الأكاذيب بقصد أو بدون قصد هو جريمة قذرة تساهم في تفتيت المجتمع السوري . وهذا يعني أن نتحمل جميعنا مسؤولياتنا لرفع الخطاب الجامع الوطني الواسع وليس الطائفي الضيق أو الحزبي المقيت أو التبعي غير المفهوم..

لقد شكل اكتشافي لبعض الأكاذيب التي تم تلفيقها على لسان الثورة صدمة مؤلمة للغاية بالرغم من قلة عددها . وبالرغم من أن الكذب كان سلاح آلة النظام الإعلامية، وأن جرائم النظام أكبر بكثير من القدرة على أن تحصى و يتم استيعابها . إلا أن أخلاقية الثورة وسمو هدفها كان يجب أن يمنع تلوثها بتلك الأخطاء والأكاذيب والانتهاكات..

فنحن وبأي حال من الأحوال لم نكن نحتاج إلى الكذب للدفاع عن عدالة قضيتنا ..

لم يكن أخلاقيا إخفاء الأخطاء والتستر عليها أو تمريرها ولا تبرير بعض الأفعال الشائنة التي ارتكبت من البعض أو السكوت عنها خاصة حين تكون جريمة وتؤدي لإزهاق أرواح بريئة كان يجب أن نكون صريحين في إدانتها وتجريمها وأقصد القوى السياسية والثورية جميعها .

لم يكن إيجاد مبررات للخطأ والجريمة إلا جريمة أخرى ، بل كنا أحوج ما نكون لإدانة هذه الأخطاء والإشارة إليها بكل وضوح ، من أجل أن نحافظ على تلك الشعرة التي تقلب الضحية إلى جلاد والجلاد إلى ضحية . فنخسر عدالة القضية وقوة مبدئيتها لكن مثل هذا الفعل المواجه لتلك الأخطاء كان يواجه من قبل شريحة جديدة ولدت على الساحة، هي شبيحة الثورة والمزاودين عليها شريحه بدأت بتخوين الأصوات المنتقدة والأصوات المختلفة عن قناعاتها ، لقد دفعْتُ شخصياً كغيري من المنتقدين ثمن هذا عشرات المرات عبر حملات من التخوين والتهديد والإساءة..

-استقلال سوريا ثابت وطني لا تنازل عنه كما يجب إعادة الحقوق إلى أصحاباها ، تلك الحقوق التي انتهكها النظام طوال وجوده في سدة الحكم على أساس المواطنة الكاملة والمساواة في الحقوق والواجبات، بما في ذلك الأكراد الذين تعرضوا لكل أنواع الظلم والاضطهاد من قِبل النظام.

-نبذ المال السياسي وشراء الولاءات، وهو أمر هام يجب العمل عليه للتهيئة للمرحلة الديمقراطية القادمة.

-إن سعي الثورة لتحقيق تعاطف دولي بما فيه من لقاءات مع حكومات العالم كلها لا يعني أن سوريا القادمة ستكون تابعة لأحد. ولكنها ستكون وفق ما أتمناه ، بلداً ذا سيادة كاملة تربطه بكل دول العالم الصديقة علاقات من الاحترام المتبادل والتعاون المفيد والانفتاح الاقتصادي والعلمي وليس التبعية.

-أرى أن حقوق الشعب الفلسطيني هي هاجس دائم للسورين، وستبقى مدعومة من الشعب السوري. لأن العلاقة بين الشعبين لا تتعلق بنوع وطبيعة النظام ، فهي ممتدة عبر التاريخ بروابط أقوى من أن تتأثر بتغيير الأنظمة وبوطنية السوريين كشعب .

-إن الجولان هي قطعة أصيلة من التراب السوري يجب إعادتها وفق القوانين الدولية والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن .

-هناك مسؤولية تاريخية يجب أن تتحلى بها المعارضة لتنبض بنبض الشعب. لا أن تكون صدى بترانيم مختلفة حسب المصلحة والغايات والأجندات الذاتية أو الدولية أو المحاورية . ويجب أن تحقق

بالتوازي مع هذا الحالة القيادية الناضجة والرؤية الواضحة لرسم المستقبل وقوة الطرح ، دون أن تخشى من لوم الشارع ورأيه بحيث تملك الأدوات للحواروالتواصل والوصول إلى تحقيق تطلعات الشعب السوري و المصلحة الوطنية . ..

أرجوكم إنسانيتنا و سوريا أولاً

"من مذكرات الألم السوري"

أمام صورة جسد دون رأس لطفلة في مجزرة تجمدت لساعات..

ارتجف جسدي ولم أكن أعي فعلاً إن كانت الايدي الآثمة سورية فعلاً نظراً لبشاعة الجريمة.. كنت أنظر إلى ذلك الجسد وأقول يمكننا أن نملأ الفراغ .. بشمس.. بقمر.. بابتسامة كل الوجوه البريئة والوجنات الناعمة لوجه بريء قد اختزنته ذاكرة كل منا عبررحلة العمر ...

قالت دموعي لها .. صغيرتي ... لن تمسح يد شعرك بعد الآن. .. لن ينعم صدر أمك بملمس جبهتك وهي تركي بكل أحلامك المقتولة على صوت نبض القلب الغامر...

لن تكون هناك ضفيرة بشريطة حمراء... ولا عقد بفراشات ملونة على الرقبة... فقد قامت قوات الأسد بتحريرك من كل تلك الأعباء....

يا الله.. هل وصل صدى صرختها الأولى المذبوحة قبل أن ينفصل الرأس عن جسد صغيربفستان مزهر بطفولة مغتالة إلى كل طبقات السماء أم أنه لم يأخذ فرصته الكاملة ليصل...

أكثرالآلام عمقاً هي تلك التي ترافق استباحة المشرط لأجسادنا المستسلمة لخياري الموت أو الألم ونحن في قمة الوعي ... وأكثرها سخفاً حين نعتاد الألم ليصبح الموت وعياً.

في شباط 2012 تمكنت قذيفة من تمزيق وجه الطفل السوري حمزة بكور فذهبت بفمه والحنك في مشهد مرعب وقضى إثرذلك بساعات.

"بين حمزة وحمزة حكاية"

هناك على المقعد الفارغ الى جانب صديقه سالم اعتاد أن يجلس ويخفي في درج المقعد بعض الحلويات.. وعلى ذلك الطريق الترابي حمل حقيبته وخط بِعيدان الشجر قلاعاً وجنوداً وأحلاماً داستها البساطير في يوم من نيسان...

أكاد أره اليوم حين كان مكبلاً بين أيديهم... لم يكن متألماً لأنه كان في عالمه الآخر غارقاً في طفولته المسلوبة يعيش ما تبقى له من صور بين ساحة الوعي واللاوعي... يستحضر رفاقه وألعابه وأغنياته ورائحة البيض المقلي بالسمن البلدي في صباح يوم العطلة .. لربما بقيت بعض الأهازيج عالقة في الخيال بين سنابل القمح والشعير في زمن الحصاد...لربما مازالت تلك للعبة التي رآها حين رافق والده إلى العاصمة تلح على دماغه قبل أن تلوي رقبته أيدي الشبيحة وتثقب جسده بعض العيارات النارية في يوم صيفي لم يكن عاديا في درعا ...

ولحمزة الثاني رواية أخرى فقد اعتاد أن يغني ويملأ المنزل بالصخب.. وكانت ابتسامته البريئة تعويذة كافية لتلقي على قلب والدته الأمومة منذ ولد وكل ما كان يحتاجه كان أمراً مطاعاً بمجرد أن يطبع قبلة صغيرة على خدها الطيب ليحصل على ما يريد....

هناك في حمص وفي حيه القديم كان ينشد ويغني للحرية قبل أن تحتل المدرعات سكينة المنازل وفسحة الأطفال والأمل.. فأحيلت أغانيه صراخاً وطربه ارتعاداً فأصوات الراجمات كانت تدك أعصابه قبل البيوت ...

..أمي.... أمي ... هل سيتمكن صدرك الحنون من إبعاد كل هذا الضجيج.. هل ستتمكن كفاك الحانيتان من إبعاد الشظايا والقذائف عن دارنا وأجسادنا... كان يصرخ بالعالم المعتوه الأخرق الفاسد ...أريد أن أغني.. أريد أن أعيش... أريد أن اكون ، فيرد صدى القذائف ليغيب الصوت والمدى..

في ليلة هوجاء صنعها الجنود القادمين من بيوت تشبه بيوتنا وعوالم مثل تلك التي نعرفها تماماً... حضروا لكي يبحثوا في وجه حمزة عن عصاباتهم المسلحة ويحققون ذعرهم المجنون ..

في تلك الليلة سرقوا الفم والابتسامة ووئد الصوت على وقع القذائف وغادر حمزة كسرب يمام حزين إلى عالم سرمدي يمكن فيه الغناء... رحل ومازال الصدى يستصرخ الضمائر الغارقة في النشوة...ويراقب من بعيد كيف يتبارى اللاعبون والرهان ابتسامته دون فم لساعة إضافية ... ولأنه اعتاد الغناء ولأنه أراد أن يبتسم فعلاً ترك لنا صدى كلماته التي لم نسمعها بعد ... وداعاً أيها اللاهثون وراء الأمل....

)من مقال نشرلي في جريده طلعنا عالحرية للجان التنسيق المحلية(

"سوريا .. الدرس الأخيروالسقوط في الامتحان"

19 أغسطس، 2012، الساعة 04:49 صباحاً

في سوريا لم تعد صباحات أطفالنا كصباحات أقرانهم بالعمرفي كل مكان من العالم المتفرج على مآسينا و الذارف على آلامنا دموع التماسيح!!..

فبينما يتمتع الأطفال في بلاد الأرض بملمس بودرة الأطفال الناعمة على جلودهم الرقيقة بعد حمام ساخن يغطي الرماد وتراب الأنقاض ما تبقى من أجساد الصغارفي سوريتي..

وبينما تكون رائحة الحليب والأطعمة اللذيذة هي كل ما يعلق من تبعات حاسة الشم لدى ذاكرة الآخرين يكون أخريشمه الكثيرمن الاطفال الذين قضوا تحت القصف هورائحة الموت فقط..

يتفرج العالم على مآسي الشعب السوري ببرودة لا توصف وتسقط السياسة ككل مرة في نفق الانحطاط الأخلاقي بعيداً عن الإنسانية والأخلاق والمنطق..

فلعبة المصالح القميئة باتت المعيارلكل تحرك دولي أو سياسي لتحول وطني إلى ملعب للصراعات الإقليمية و المحاورية والشرق أوسطية ولتكتمل ملامح المؤامرة الحقيقية على الشعب اليتيم وهذه المرة نتكلم عما يحاك على الشعب السوري من أجل إسقاط ثورته المدنية وإدخاله في حالة من التفكك والضعف والنزاع الطائفي والغرق في فوضى السلاح لأسباب كثيرة. تبدأ بأمن اسرائيل المحمية من النظام طول السنوات الماضية . وهذا يعني أن زوال هذا الحامي سيشكل خطراً عليها ما لم يخلف ذلك بلد ضعيف مفكك بحيث لا يشكل أي قوة في المنطقة إلى جانب إسرائيل. ولا تنتهي هذه الأسباب بحرف مسارالثورة إلى نزاع مذهبي يخدم مصالح المتنازعين من كل الأطراف وليس السوريين بالتأكيد لأن تغييرالشكل سيصنع درعاً واقياً يمنع إكمال الربيع العربي مسيرته في المنطقة كاملة. وليس فقط المنطقة العربية كما وتشمل الأسباب بشكل بديهي إطالة عمرالنظام فترة أطول للحصول على أثمان أكبرلتغييرمواقف دول اخرى.. وربما رسم جديد للمنطقة بكاملها .. المستقبل سيعلن أن مؤامرة هؤلاء هي من ستسقط والمستقبل قد لا يكون قريباً ومنظوراً لكنه سيولد حتماً . فثورتنا ولدت من رحم المعاناة الطويلة وأفق الاحلام بالغد المشرق.. وللسوريين ككل البشرالحق الكامل بالحلم ، نعم الحلم المقهور المخنوق بأقبية المخابرات والفساد والمحسوبيات والفقر والاستحواذ على السلطة طوال أربعين عاماً...

الحق الكامل بالنمو والتعبير والحق بالوجود على أساس المواطنة وهي المفهوم الغائب طول حكم الأسدين ..

بالرغم من أن الاسئلة والإجابات أصبحت كثيرة من خلال هذه الحقيقة . فإن العالم اليوم وبعض السياسيين السوريين يسقطون في الامتحان الأخلاقي والسياسي على المدى الطويل من حيث لا يدرون.. فكابوس الفوضى في المنطقة والذي هدد به النظام بلسان رئيسه الأسد بدأت أولى ملامحه بالتموضع في لبنان . والنظام مستعد لتفجير المنطقة بشكل كامل، خاصة وأنه ملك التفجيرات بكل ما تعنيه هذه الكلمة على المستويين اللفظي والمجازي!!..

هذه النظرية يجب أن تعني للغائصين في امتحانات التاريخ والسياسة اليوم أن سقوط هذا النظام والانتقال إلى ديموقراطية ومدنية سوريا بات حاجة ضرورية لأمن كل المنطقة وليس فقط سوريا..

ولا ننسى هنا أن الخطر من تفكك المجتمع السوري والدخول في حرب أهلية سيزداد منطقياً مع طول مدة بقاء النظام . وهذا سيرافقه لا قدر الله احتمالات انتشار الإرهاب والفكر المتطرف الذي يُخشى أنه سيصبح حقيقة على الأرض .وهذه هواجس يتحدث عنها المجتمع الدولي طوال الوقت وهو مكتوف اليدين بينما يشاهد بذورها تزرع في الأرض السورية على أيدي النظام وبعض المستفيدين من تجار الحروب المحليين والإقليمين في تربة ومناخ مناسبين لنموها بشكل سريع إن استمر النظام لفتره أطول من هذا..

وبينما ينشغل البعض في حصتهم من الحكومات الافتراضية والنفوذ على الأرض ضمن لعبة محاطة بالمال السياسي لانتشار أوسع على الأرض ، حيث لا مكان الآن إلا للصمود في وجه آلة الحرب الكارثية الموجهة من نظام مجنون على السوريين في كل مكان وإيجاد منهجية عمل سياسية تنقذ البلاد والعباد وتحقق أحلامهم.

يعمل الثوار والكثير من السوريين على تقويم الثورة واستمرارها نحو تحقيق هدفها المنشود..

رهاننا الرابح منطقياً اليوم سيكون على وعي الشعب السوري وإرادته المذهلة وعلى قدرة خلق تكامل العمل الثوري المدني على الأرض في الوصول إلى هدفنا نحو سوريا ديمقراطية مدنية. وهذا يعني بالضرورة إسقاط النظام المجرم بكل رموزه ومحاسبته على جرائمه التي ارتكبها بحق الشعب السوري. وهذا يعني بالضرورة التنظيم الأفضل من حيث القيادة للجيش الحر والتأكيد على الضوابط الأخلاقية والوطنية ، بعيداً عن الاصطفاف المذهبي والولاء السياسي على الأرض ، الضوابط التي تشبه روح الثورة وممارسة النقد الذاتي البناء لإصلاح الأخطاء وتجاوزها. وهو ما

تعمل عليه الآن كل الأيادي البيضاء في الثورة من أجل حماية أهدافها، وعدم انحرافها عن هدفها الأساسي للدخول في صراعات مذهبية ، لا تخدم إلا مصالح الآخرين بل وتدمر سوريا لسنوات قادمة..

اخيراً...لم يسجل التاريخ انهزام شعب كامل أمام عصابة حاكمة . ولن يكون الكون كونا إن لم ينتصر الشعب السوري في ثورته المحقة ضد الاستبداد.. سفينة النظام تغرق وعلى كل الأذكياء من ركابها مغادرتها قبل فوات الأوان...

من مقال منشور لي في ذلك التاريخ.

"في البرلمان الاوربي"

2012/4/24

لم يكن من السهل أن أحمل أوجاع السوريات وأصواتهم لأنقلها إلى أحد أهم المنابر في العالم ، إلى منبر البرلمان الاوربي..

تمت دعوتي وشعرت بمسؤولية كبيرة ، كنت أعلم أن هذا قد لا يغير في الأمر شيئاً فالموقف الدولي بني على معادلات سياسية أكثر تعقيداً من أن تغيرها بخطاب من القلب أو العقل أو عبر نقل صادق للمشهد . لكن هذا لن يغير أنني أحمل أمانة ولدي شهادة يجب أن أقدمها من أجل من قضوا ومن أجل صوت نساء وطني ومن أجل الجياع العراة المكلومين في وطني المجروح..

خرجت كلمتي من الوجدان فانعكست دموعاً على وجوه بعض الحاضرين كما حصل لي تماماً لن يكون لخروجي معنىً إن لم أحمل دائماً تلك الرسائل أينما كنت وأينما توجهت :

المرأة السورية في ثورة الحرية وجود وروح ورؤية

السيدات والسادة

بداية اسمحوا لي وبكل اعتزاز أن أشكر كل من ساهم في وصولي إلى هذا المكان لأحمل معي أصوات نساء بلدي ورجالها من الذين خرجوا طالبين للحرية.

باسمي وباسم المرأة السورية وباسم لجان التنسيق المحلية في سوريا وكل من خرج إلى الشارع من أجل حريته ، أشكر كل الدول والشعوب التي تقف إلى جانب الشعب السوري في نضاله من أجل إنسانية أكثر عدالة وأكثر أخلاقية.

أمس قتل ما يزيد عن أربعين سورياً في حماه وحدها على يد النظام ... وخلال عام وشهر من بداية الثورة أكثر من 12000 ألف سوري بينهم نساء وأطفال قضوا نتيجة الجرائم التي يرتكبها النظام السوري بحق الشعب الذي خرج من أجل كرامته...

آلاف المعتقلين... عشرات الآلاف من اللاجئين الذين فقدوا منازلهم لتصبح الخيم أمامهم الوحيد من البرد والمستقبل المجهول .. بالإضافة إلى آلاف المعتقلات و المعتقلين القابعين تحت سياط الجلادين ووسائل تعذيبهم في أقبية المخابرات في كل مكان...

في بلدي يجمع الآباء أشلاء أطفالهم الممزقة علهم يتمكنون من ضمة إضافية بعد أن مزقت القنابل القادمة من الدبابات دفء الأسر وأمان المنازل..

في بلدي يُقْتَلُ الصحفيون وكل من يحاول نقل الألم القادم من دمائنا وعذاباتنا أمام نظام لا يرحم ..

نظام قرر أن يمضي بالقتل حتى آخر سوري بينما قررنا كشعب أن نمضي حتى نصل إلى حريتنا المولودة كشمس جديدة بعد ليل طويل ...

هي حالة لا تشبه أي شيء آخر... لأنها تماما شعور بالتحليق يرافقه خفقان سريع بالقلب..

إنها حالة من الانعتاق والانطلاق نحو الشمس.. في تلك اللحظة تنهمر الدموع ويرتجف الجسد و نتوحد مع كل الآخرين المحيطين بنا في المكان لنصبح كياناً واحداً . .. تلك هي الحالة التي شعرت بها حين اكتشفت صوتي للمرة الأولى يطلب الحرية في أول مظاهرة نزلت فيها إلى الشارع كما فعل كل السوريين الذين حطموا حواجز الخوف الرهيبة و المبنية عبر أربعين عاماً من الظلم والقمع على أيدي المخابرات ونظام لا يرحم أحداً.. حالة رافقت نزولي إلى شوارع دمشق وصراخي للحرية.... وهي الحالة التي جعلتني أكثر انخراطاً في الثورة منذ بدايتها والتي استمرت إلى أن فارقت وطني الغالي مرغمة بعد ملاحقة أجهزة المخابرات لي لأصبح لاجئة في بلدان الجوار بتاريخ 2011/9/25 ليصبح الوطن حلماً والعودة هاجساً...

في 15 /3 /2011 خرج السوريون كالشمس إلى شوارع دمشق ليصرخوا الشعب السوري لا يذل بعد أن غرقوا في العتمة التي ألقتها عليهم مملكة الصمت طوال أربعين عاماً من حكم الأسد الأب والابن....

في بلادي ثورة حريات .. ثورة كرامة... والأهم على الإطلاق ثورة إنسان ...

فالثورة في بلدي لا تتعلق بالسوريين وحدهم أبداً.. لأن انتصارها سيكون انتصاراً للإنسانية وإثباتاً أن قدرة الإنسان على البقاء والمقاومة السلمية قادرة على الانتصار على العنف والقمع والقتل اليومي والديكتاتورية... وهي الحالة التي يعيشها السوريون منذ اليوم الأول لثورتهم..

ولأن هذه الثورة ثورة حريات ومساواة وعدالة فقد شاركت المرأة السورية فيها جنباً إلى جنب مع الرجل حيث كانت المتظاهرة وقائدة للمظاهرات والمنسقة كما كانت الإعلامية والحقوقية و الطبيبة والممرضة والكاتبة والفنانة والسياسية والأهم إطلاقا الأم ...

الأم التي كان قلبها يرافق أبناءها الخارجين إلى دروب الحرية على أمل العودة أحياء من شوارع الحياة والموت في بلدي...

فكل خروج للمظاهرات في بلدي قد يعني الاعتقال أو الموت... ومع هذا فأمهات وطني اليوم لم يخرجن للتظاهر بأنفسهن فحسب بل دفعن أولادهن للخروج لأن حب الوطن والكرامة يفوق كل شيء ...

الأمهات في بلدي يخبئن في بيوتهن أبناء أمهات أخريات بنفس لوعتهن على أولادهن... ويقدمن أولادهن للاعتقال بدلاً عن المختبئين في غرف المنزل حين تداهم المخابرات البيوت بحثاً عن الفارين من المظاهرات

في بلدي "أم أحمد" ذات الثمانين عاماً تخرج لتصرخ على الشبيحة وتبعدهن بعصاها التي تتكئ عليها لتحمي الشباب المنادين للحرية...

في بلدي نتقاسم الأولاد والأمهات فتصبح أمهات الشهداء أمهاتنا جميعا ويصبح أولاد الشهيدات أبناءنا أيضا لأننا توحدنا أصلاً في طلب الحرية وتوحدنا في ذوباننا بهذه الثورة المولودة من رحم الربيع العربي ومن رحم معاناتنا الطويلة مع نظام القمع والاستبداد...

في المظاهرات تلتقي الأمهات والأبناء والأخوة والأخوات في نفس الشارع .. ونتقاسم جميعاً اللحظة والشعور.. وعلى نفس المستوى فإننا نتقاسم العذاب في أقبية المخابرات وسجون الظلم ... ونتقاسم الموت وتلقي الرصاص...

في هذه الثورة ساهمت المرأة منذ اليوم الأول واعتقلت في 3/16 أكثر من عشرين سيدة ممن اعتصمن أمام وزارة الداخلية ، كما لمعت الكثير من الأسماء ومنها صديقتي الغالية الحقوقية رزان زيتوني وهي من مؤسسي لجان التنسيق المحلية و الحائزة على عدد من الجوائز العالمية لعملها الحقوقي والإعلامي والتي ما زالت في سوريا رغم كل الخطر تناضل من خلال لجان التنسيق المحلية وتوثق الانتهاكات وتعمل بصمت تحت خطر الاعتقال وما قد يرافقه في أية لحظة...

ومنهن أيضاً البطلات الثائرات سمر يزبك و سهير الأتاسي ومي اسكاف وخولة دنيا والكثيرات ممن يصعب ذكرهن الآن ممن أعرفهم ولا أعرفهم كثائرات ومناضلات قدمن الكثير وما زلن حتى اللحظة..

منذ أيام خرجت مجموعة من الشابات أمام البرلمان في سوريا وفي التجمعات التجارية الضخمة لتحملن أقمشة مكتوب عليها أوقفوا القتل نريد أن نبني وطناً لكل السوريين.. فكانت النتيجة اعتقالهن جميعاً ومنهم الشابة ريما دالي التي بدأت بالمبادرة ..

هذه هي ثورتنا ... ثورتنا المدنية الشبابية التي تحلم بوطن لكل السوريين والسوريات...

وهذه هي جريمتنا إنه الحلم الذي أردنا تحقيقه بحياة أكثرعدالة الحلم التي ندفع ثمنه أرواحنا و سجننا وتعذيبنا وتدمير بيوتنا وتشريدنا من منازلنا وأوطاننا...

دعوني اذكرلكم بعض الارقام التي قمنا بتوثيقها في لجان التنسيق المحلية:

فقد بلغ عدد الطفلات الشهيدات 377 طفلة

وقد بلغ عدد النساء الشهيدات 950 سيدة

كما تم توثيق آلاف الاعتقالات التي طالت الفتيات والنساء

بالإضافة إلى آلاف اللاجئات في كل مكان

ناهيك عن حالات الاغتصاب التي تعرضت لها النساء والطفلات من قبل الشبيحية والأمن في عدد من المناطق الساخنة وفي بعض مراكز الاعتقال.

ولأننا كنساء قمنا بكل هذا فإننا سنكون حريصين على أن يكون المستقبل أكثر إنصافا لنا من حيث تطبيق المساواة الكاملة مع الرجل ، سنطالب بتطبيق اتفاقية سيداو دون تحفظات كما سنسعى لقانون أسرة مدني يضمن المساواة في الحقوق والحياة العامة بما يتوافق مع كل الاتفاقات الدولية المتعلقة ذات الصلة ولهذا فإننا نطمح إلى خلق بيئة مساعده لعمل منظمات المجتمع المدني عبر المطالبة بقانون جمعيات سهل وحريضمن إنشاء جمعيات مجتمع مدني تعمل في هذا المجال بالإضافة إلى تشريعات قانونية متوافقة مع حقوق الإنسان...

المرأة في سوريا عانت من انتقاص في حقوقها طوال السنوات التي مضت في القانون والمجتمع وفي التمكين السياسي والاقتصادي أيضاً.

لقد كنا في معركة طوال الوقت من أجل تعديل بضع مواد في قانون العقوبات التي لا تساوي بين الرجل والمرأة والتي تشرعن قتل المرأة في ما يسمى جرائم الشرف كما كنا في معارك دائمة لتغيير قانون الأحوال الشخصية التمييزي وقانون الجنسية الذي لا يعطي المرأة السورية الحق في منح جنسيتها لأولادها بالإضافة إلى قانون العمل وإلى التابوهات الاجتماعية الكثيرة والتي ساهم النظام في تكريسها

عبر الفساد القانون والإداري بحيث كانت تمرر زيجات الفتيات القصر بالإكراه وتسرب الفتيات من المدارس بالإضافة إلى قضايا العنف الأسري التي لم تكن مغطاة بقانون خاص وهذا ما أدى إلى تمييع هذه الحالات وعدم ملاحقتها قانونياً..

بالإضافة إلى قمع الجمعيات التي تعمل في حقوق المرأة وإلغاء تراخيص المرخص منها والملاحقة الأمنية للناشطين والناشطات...

ومن خلال مراقبتنا للنتائج التي وصلت إليها بعض الدول التي مر فيها الربيع العربي فإننا لا نخفي بعض المخاوف ولكن ما يطمئننا أن الديمقراطية ستجعل الحراك المدني أسهل وإنشاء الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني أسهل كما أن من يهزم نظام ديكتاتوري بثورة قادر أن يثور مرة أخرى على أي نظام ينتهك حقوقه مهما كان بالإضافة لتأكيدات المجتمع الدولي واهتمامه الدائم بحقوق المرأة وهنا دعوني أقول إن خلاصنا من النظام القمعي في سوريا سيجعل الحراك من أجل حقوق الإنسان أكثر سهولة وبالتالي فلدينا الفرصة كناشطات بالعمل المجدي أكثر بكثير من ظل النظام القمعي...

ومن أجل بعض التفاؤل فإنني أعلمكم بأننا اليوم وعبر الكثير من الناشطين والناشطات نعد للمرحلة القادمة للاهتمام بقضايا المرأة وللعمل على تحقيق المساواة وانصافها ونقوم بالإعداد لمشاريع تنموية وحقوقية ومؤسساتية من أجل هذه الموضوعات تحديداً وضمان المساوة بداية من الدستور مروراً بكل التشريعات الأخرى بالإضافة لتمكينها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي..

أخيراً.. في بلد يناضل اليوم من أجل حريته ويدفع ثمنها الكثير من الدماء لن نقبل أبداً بأي انتهاكات لحقوق الإنسان بشكل عام ولن نرضى بوطننا الجديد إلا بمبدأ المواطنة كأساس تقوم عليه سوريا يساوي بين كل أبنائها نساءً ورجالاً ومن ومختلف الانتماءات دون أي تفريق على أساس الدين أو الجنس أو الانتماء...

الحرية لسوريا وشكراً لكل من يقف إلى جانب السوريين في نضالهم من أجل كرامتهم وولادتهم الجديدة.

كتب البعض عن تلك الكلمة وتلك المشاركة ففضلت أن أنقل مما كتبه المرحوم الدكتور في علوم القانون الأستاذ هايل نصر في موقع الحوار المتمدن ..

"د . هايل نصر تحية إلى روحك"

الدكتور هايل والذي كان قد أغني المواقع القانونية والمكتبات بدراسات قانونية مهمة والذي قضى بصمت وفي غفلة عنا بعد صراع مع المرض في فرنسا.. لم يتمكن من العودة إلى وطنه الحر كما حلم

فآثرت أن أنقل حروفه تلك تقديراً له ولاعتزازي بما كتب وكاعتذار مني عن عدم معرفتي بوفاته إلا بعد أشهر من ذلك..

هايل نصر

الحوار المتمدن-العدد: 3715 - 2012 / 5 / 2 - 06:15

المحور: حقوق المراة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات

"الثورة السورية ليست بنت البارحة, عمر انطلاقتها إلى اليوم14 شهراً, ولكن عمرها في النفوس أكثر من 40 عاما. وعليه فهي ليست هبة أو انتفاضة يمكن قمعها إخمادها بوسائل وحشية, وسائل لم يسبق استعمالها من قبل نظام ضد شعبه عبر تاريخ البشرية. ولم ينهها الصمت العربي, والدولي والمصالح الدولية. الثورة السورية اندلعت ولن تعود مهما كانت التضحيات ومهما بلغ الصمت العربي المخزي والصمت الدولي الأكثر خزياً لأنه صمت من دعاة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان, صمت على ذبح الإنسان.

هدف الثورة السورية ليس فقط إسقاط نظام استبدادي شمولي بُني على الطغيان واحتقار وتدمير قيم الإنسان. فهي, ولكي تكون ثورة, لا بد أن يكون الإسقاط كاملاً لنصف قرن من الظلم والطغيان والاستبداد والفساد, و "للقيم" التي أنتجها, والثقافة التي عممها, وتلك التي نمت على جوانبه كالطحالب كنتيجة طبيعية لأوضاع غير طبيعية, ولتزويره التاريخ وإلحاق الأذى العميق بالوحدة الوطنية, عن طريق بث الخلافات والأحقاد بين مكونات الشعب السوري الواحد, ولكي لا يُعاد, وإلى الأبد, إنتاج الطغيان والاستبداد والفساد, وليصبح الإنسان الحر هو الإنسان, لا بد, ومرة أخرى لتكون ثورة, من إعادة البناء كاملاً فالنظام المقبور, قريباً, لم يُخلّف شيئاً واحداً يمكن ترميمه أو البناء عليه. وعليه, فالمهمة, و مرة أخرى حتى تستحق الثورة اسمها, هي إعادة بناء الإنسان والمجتمع والدولة بناءً عصرياً يضعنا في القرن الواحد والعشرين دون عقد ومركبات نقص, فمن ضحى تضحيات الشعب السوري يستطيع الانطلاق دون عقد أو مركبات نقص .

عن نضال الإنسان السوري من أجل التغيير وإسقاط النظام ومن أجل البناء القادم تحدثت إحدى بنات الثورة السورية المناضلة ريما فليحان, كثائرة قادمة من قلب الثورة, للمجلس الأوروبي عن حقيقة الثورة السورية. لم يشتم من حديثها عطور فنادقية, ولم تمزج لغتها بلكنات المؤتمرات أو

الصالونات. تحدثت بلغة وباسم شابات وشباب الثورة, وهي التي قبل خروجها من أرضها تلاحقها تهديدات التصفية والقتل, كانت معهم في المظاهرات والمعتقلات .

نعم الثوار الحقيقيون على الأرض وحدهم من يحق لهم الحديث عن الثورة, ووحدهم عندما يتحدثون لا يحاولون إطراب المستمعين واصطياد إعجابهم وثنائهم, وإنما وضع الحقائق والوقائع أمامهم بمنطق الثوار أصحاب الحق وبحجج المدافعين عن مطالبهم, ووحدهم من يطرحون تصوراتهم وآمالهم التي ضحوا من أجلها, دون المرور على كتبة ومنقحين من كتاب وأدباء ودكاترة في كل الاختصاصات وكل أصحاب الألقاب, فالكلام الصادر عن القلب يصل القلوب دون صراخ وتنميق وتنقيح.

سمع البرلمان الأوربي, كل ضجيج المعارضات والصراعات "المعارضية" وأصحاب الأقلام السيّابة والسائبة على هواها في الوقت نفسه, ولم يسمعوا ما يريدون أن يعرفوه من مصادره مباشرة .

جاءت ريما, سمعوها بانتباه, منهم من بكى وكاد يبكيها, فالمعاناة التي شرحتها, غير مسبوقة في التاريخ المعاصر, وما عرضته من مطالب الثورة في الحرية والحياة الكريمة والديمقراطية, وحقوق الإنسان بجنسيه, لم تأتِ بأكثر منها الثورة الفرنسية, وإنما العكس لم تطرح تلك الثورة على عظمتها قضية تحرر وحقوق المرأة في إعلانها الشهير الذي دخلت مبادؤه كل التشريعات الحديثة العالمية (بما فيها دستورنا السوري ياللعجب!!!).

سمعوا ريما, ومن منطلق الثورة ومن الآمال المعلقة على الثورة, تطالب باسم الطفلة والشابة والأم بحقوق المرأة وبإصلاحات تشريعية تساوى بين الرجل والمرأة, فالمرأة جديرة بذلك. وإن كان على المرأة الفرنسية على سبيل المثال, إن تشارك مشاركة فعالة في تحرير فرنسا من النازية حتى تحصل على حقوقها كاملة ومنها حق التصويت, فهذه هي المرأة السورية تشارك الرجل الحر الثائر. مخلفة وراءها أشباه الرجال من الصامتين ممن جبنوا حتى عن قول كلمة في قضية قتل وتعذيب وتشريد ممن مفترض أنهم إخوته في الوطن والمواطنة . نضاله, وتقدم ما يقدم من تضحيات جسام, وستبني معه المجتمع الجديد ودولة القانون والمؤسسات والحريات الأساسية وحقوق الإنسان, على أسس الديمقراطية والمواطنة, والمساواة في المواطنية. قالت ريما فأسمعت.

تحية ريما فليحان. تحية سهير الأتاسي. تحية رزان زيتوني. تحية فدوى سليمان. تحية مي سكاف... تحية لنساء وطني. للثوار والثائرات" .

"باسل شحادة الابتسامة المؤلمة التي لن أنساها"

كانت مظاهرة المثقفين هي المرة الأولى التي التقيته فيها...

باسل شحاة الذي لم تفارق ابتسامته محياه حتى في باص الاعتقال أو في المحكمة..

التقيته مراراً مع المجموعة ذاتها بعد خروجنا من الاعتقال، كان دائماً خجولاً مبتسماً هادئاً لبقاً مؤمناً بالحلم الذي خرجنا من أجله رافضاً للظهور ،عاملاً بصمت كما كل الشهداء..

أذكروجه أمه الخائفة حين ذهبنا لوداعه قبل سفره لأمريكا ليدرس الإخراج . حيث كان يناقش تأجيل سفره من أجل المشاركة بمظاهرة يعد لها وكنا نضحك لذلك ..

وكأنه كان يريد قضاء ساعات إضافية في شوارع الوطن خلف الحلم والهاجس..

أمه والتي ارتعدت خوفا من فكرة تشبثه بتلك الرغبة والتي رجتنا إقناعه بالرحيل هرباً من هواجس الموت والاعتقال ..

لربما أخبرها قلبها بمصيرولدها المحتوم.. لربما حاولت بغريزة الأم مواجهة القدربالهرب ..

سافرباسل المخرج الشاب وعاد إلى الوطن بينما كنا خارجها حمل كاميرته واتجه بها الى حمص ليرصد ألم الناس..

قتل باسل بقذيفة وصعدت روح الشهيد إلى السماء. بينما دفن الجسد في أرض حمص معلناً وحدة الأرواح والأجساد المؤمنة بالحرية وكسرها لقالب الطائفية والمناطقية المقيت..

منعت كنائس دمشق من تأبين الشهيد . كما منع أصدقائه أيضاً من مشاركة أمه عزاءها وصلّتْ أرواحنا في صوامع السكون والصمت لروح المغادرباكراً...

أقيمت الصلوات لروح باسل في كنائس عديدة خارج سوريا حيث يصبح الإنسان وطناً أكبر..

كما أوقدت الشموع وزرعت في بيوتنا معلنة التمرد على قرارالنظام بمنع تأبين الشهيد

لقد أوغل الحزن الجارح في قلوبنا حين سمعنا برحيل باسل شحادة..

"اضراب عن الطعام"

يمكن أن توصف لحظة العجزبما يشبه تقييدك بالسلاسل حين ينبغي عليك أن تجري.

ألم ... غصة ... وضيق وشعور قاتل بالشلل و غضب...

أمام كل ما يحصل في وطن أصبح فيه الموت رقماً والدمار خبراً عاجلاً على شريط الأخبار كان لابد من صرخة ... من فعل أي شيء ... هكذا كان يشعر السوريون في كل مكان فقرر بعضهم الإضراب عن الطعام...

بدأ الأمر من قبل بعض النشطاء في لبنان وتركيا وفرنسا . وقررت مع نشطاء سوريين في الأردن الإضراب عن الطعام من أجل المطالبة بوقف القتل في سوريا وإدانة جرائم النظام ضد الشعب السوري...

فكرة الإضراب عن الطعام سبق وأن خطرت ببالي بقوة حين كنا في دمشق وكنت قد طرحتها على بعض الأصدقاء ومنهم فارس الحلو وجلال الطويل وآخرين.. لكنهم ظنوا أن مثل تلك الفكرة في ظل الوضع الأمني ستكون غير مجدية ، إن لم تحظَ بالمتابعة والاهتمام...

كنت قد جربت إضراباً عن الطعام مع بقية الأصدقاء خلال فترة اعتقالي دام 3 أيام ولكن التجربة كانت قصيرة وانتهت بإطلاق سراحنا في اليوم الرابع...

إذاً إضراب عن الطعام أمام مبنى الامم المتحدة في عمان ... أمام الصليب الأحمر في عمان وأمام اليونسيف ومفوضية اللاجئين...

إضراب استمر عشرين يوماً في الأردن وقمنا بتسميته إضراب التضامن ...

أسماء المشاركين في إضراب التضامن وفق تسلسل إضرابهم تبعهم آخرون فيما بعد:

منهل باريش (تركيا),همام حداد (فرنسا),عاصم حمشو (فرنسا), رودي (فرنسا),عالية منصور (لبنان),فراس قصاص (ألمانيا),احمد زيدان (تركيا),لينا رزوق (ألمانيا), ريما فليحان (الأردن), أحمد المصري (الأردن),صهيب قرة محمد (الأردن), أنس العدوي (الأردن), أحمد زينو (الأردن),عبد الجليل الشقفي (الأردن), محمد إرحابي (الأردن), محمد قرة محمد (الأردن), بكري الصوص (الأردن), محمد شنبو (الأردن),ليث ابو حمدان (الأردن), زهراء أحمد (الأردن),عبد الحميد برو (تركيا), رودي الجندي (السعودية),هبة الحاجي (تركيا),دلير يوسف (لبنان),اسراء الشرع (الأردن),نور الشرع (الأردن), مروة الشرع (الأردن) ريم الحاج, محمد ابراهيم (الأردن), طارق الجندي (السعودية), لويز عبد الكريم (مصر), لينا الطيبي (مصر), سلمى الجزائرلي (مصر), رولا الخش (مصر), وليد عزام (مصر), عمر الخطيب (الأردن), محمد غزال (الأردن), أكسم أبو أحمد, مهيار سويلم (الولايات المتحدة الأميركية), سوسن رسلان (امريكا)، مزنة دريد (السعودية) (تضامن لمدة أسبوع), محمد

مروه (السعودية)، هزار جواد (الأردن)، ولاء خرمنده (الأردن)، رامي صليبي (السعوديه)، شفين العلي (تركيه)، سليم مخول (هايتي)،كيان عمر (الاردن)،ايلاف الكيلاني (السعوديه)، خالد الحاج صالح (هولندة)، عبد الحميد برو.

كانت كل مجموعة من المضربين في أي دولة في العالم لديها مطالبها الخاصة . وتدير سياستها في الإضراب . واتفق الجميع في كل مكان على هدف وقف نزيف الشعب السوري ورافق اعتصامتنا في الأردن حضور ناشطين سوريين من أجل الدعم ومثقفين أردنين ووسائل إعلام عربية وأجنبية..

إضراب التضامن في الاردن رفع في اليوم الأول المطالبات التالية:

نحن المشاركين في الإضراب عن الطعام في الأردن للتضامن مع الشعب السوري في الداخل

-نطالب المجتمع الدولي باتخاذ خطوات حقيقية لوقف الدماء في سوريا وإحالة مجرمي النظام من المسؤولين عن دماء السوريين إلى محكمة الجنايات الدولية.

-نطالب المجتمع الدولي بطرد سفراء النظام.

-نطالب المجتمع الدولي بحماية المدنيين وتأمين ممرات إنسانية ومناطق حظر جوي على المناطق التي تتعرض للقصف بهدف حماية المدنيين.

- نطالب المنظمات الدولية ذات الصلة كالصليب الأحمر والمنظمات الإنسانية أن تقوم بواجبها تجاه الشعب السوري وخاصة فيما يتعلق بالمعتقلين واللاجئين والجرحى والمدن المنكوبة والتي تقبع تحت الحصاروايصال الإغاثة والمساعدات الإنسانية ونطالب مفوضية اللاجئين في دول الجوار بتأمين احتياجات اللاجئين وتحسين أوضاعهم.

تجربة الإضراب تجربة روحية عالية وتخلق بين المضربين حالة من التناغم والقوة لا يمكن أن تشبه شيئاً آخراً.

المجموعة التي أضربت في الأردن والتي تمثل كل ألوان الطيف السوري تحولت بعد الإضراب إلى مجموعة من الأصدقاء وحملت خصوصية التجربة التي سيحملها كل واحد فيهم في قلبه إلى النهاية..

في اليوم الخامس للإضراب ، بدأ التعب الجسدي يظهر علي. وكان لدي ألم في المعدة وبعد الأسبوع الأول بدأت طاقتي بالنفاد وأصبح من الصعب بذل أي مجهود وأصبحت الحالة تزداد يوماً بعد يوم حيث بدأت تزداد الأعراض الصحية المرافقة للإضراب خاصة وأنني رفضت تناول أي مواد سوى الماء ورفضت أن أشرب أية أملاح أو عصائر..

حاولنا في سياسة الإضراب أن يكون لدينا محطات مختلفة. فقدمنا رسالة إلى الامم المتحدة ، حيث بدأ إضرابنا من هذا المكان واستمر لأيام . ورافق هذا جلسات حوارية فيما بيننا حول الوطن والثورة والانتماء والعلاقة بين السوريين.

كنا نرفع اللافتات على الطريق ونغني للوطن، ثم بدأنا بتخصيص أيام في الإضراب لأهداف الإضراب . فكان لدينا يوم للمعتقلين ويوم للشهداء ويوم للأطفال ويوم للنساء يوم التآخي والمحبة والرسالة الدائمة التي سينقلها المعتصمون إلى سوريا الإنسان وهو عهد وواجب.

حيث يستمر التفاعل مع الحدث لنقل اعتصامات المضربين والمتضامنين إلى مواقع أخرى تشمل المنظمات الدولية ذات الشأن للتأكيد على الحالة الإنسانية التي ينتمي لها الشعب السوري وللمطالبة بحق الشعب السوري بالحياة والسلام والحرية.

الصورة من اليوم السادس وفي كل يوم كنا نرفع الصور والشعارات المتعلقة بالموضوع.

تمكن الاضراب من تحقيق اهتمام إعلامي ، وكانت وسائل الإعلام العربية والعالمية تسجل بشكل شبه يومي فعاليات الإضراب وتجري اللقاءات معنا .

كما قمنا بإرسال رسالة تحمل مطالبنا وتعلن عن إضرابنا عبر الإيميل لدبلوماسيين وسياسين وإعلاميين حول العالم. وصلتنا العديد من الردود المتعاطفة كما تخلل الإضراب لقاءات مع شخصيات في مبنى الأمم المتحدة ، حيث قمنا بتسليمهم رسالة المضربين إلى الأمين العام للامم المتحدة. ثم تبع ذلك لقاءات مع الصليب الأحمر ومفوضية اللاجئين واليونسيف تبعاً لمحطات الإضراب..

ترك الإضراب أثراً ايجابياً في داخل سوريا وخرجت بيانات تتعلق به من لجان التنسيق المحلية ومن مدن ومناطق في سوريا .

في الاعتصام أمام مبنى الصليب الاحمر الدولي تم تسليمهم الرسالة التالية:

رسالة إلى الصليب الاحمر الدولي:

منذ اكثر من عام ونصف والشعب السوري يتعرض لكل أنواع الانتهاكات في حقوق الانسان ومنها القتل والاعتقال والتعذيب والحصار والقصف بالطائرات والاليات الثقيلة حتى بات الوضع الانساني كارثيا

نحن مجموعة من الناشطين السورين المضربين عن الطعام منذ ثمانية أيام في الأردن نوجه لكم نداء من أجل التحرك لإنقاذ الشعب السوري وذلك عبر مجموعة من الطلبات التي تتعلق بالدور الذي يمكنكم القيام به في سوريا وفق الاتفاقيات الدولية والقوانين الناظمة لعملكم في الأماكن الساخنة:

1- الدخول بشكل أكثر فاعلية إلى سوريا والوصول إلى إيقاف قصف المدنيين ولو عبر إيقاف مؤقت لإطلاق النار حيث يمكنكم إيصال المساعدات الإنسانية التي تتضمن الغذاء والدواء

2- العمل على الالتقاء بالمعتقلين والحصول على قاعدة بيانات بأسمائهم وأماكن اعتقالهم وضمانة عدم تصفيتهم في محاكم ميدانية سرية.

3- إخراج تقارير بالوضع الإنساني على أرض الواقع في الأماكن المنكوبة ورصد أي منع لكم بالدخول إلى تلك الأماكن وإعلانها على وسائل الإعلام.

4- إعداد قائمة بشهداء ومعتقلي العاملين في الحقل الإنساني الطبي والمطالبة بالتعاون مع المنظمات الأخرى لإطلاق سراح المعتقلين منهم.

نوجه لكم هذه الطلبات ونتمنى أن تلقى لديكم الصدى الذي نتمناه

المضربون عن الطعام في الأردن

إضراب التضامن مع الشعب السوري

2012/9/6

الرسالة الموجهة لمفوضية اللاجئين:

السادة المفوضية السامية لشؤون اللاجئين في الامم المتحدة...

منذ أكثر من إحدى عشر يوماً ونحن مضربون عن الطعام من وطننا النازف ومن أجل إيلاء السوريين الاهتمام الذي يستحقونه كشعب من شعوب العالم.

نتوجه إليكم اليوم بطلباتنا المحملة بآلام المهجرين واللاجئين من أجل تحقيق المطالب التالية:

-تحقيق ظروف أكثر إنسانية للاجئين في كل بلدان اللجوء وتأمين احتياجاتهم المادية والمعنوية.

-تسوية أمورهم القانونية واعتبارهم لاجئين بشكل رسمي من أجل الحصول على حقوقهم الكاملة في بلدان اللجوء.

-الاهتمام الخاص بالأطفال الذين فقدوا ذويهم وعدم وضعهم في مخيمات لا تتوفر فيها الشروط الإنسانية والاجتماعية اللازمة لسلامة نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي وتحويلهم لدور رعاية بإشراف اليونسيف وأطباء للدعم النفسي.

-الإشراف المباشر على الإغاثة التي تقدم للعائلات اللاجئة .

إن الشعب السوري يمر بمرحلة كارثية وهذا يتطلب من المنظمات الإنسانية دعم حقيقي من أجل تخفيف الجروح لا تعميقها عبر إهانة كرامتهم وإنسانيتهم من خلال الظروف السيئة التي يمرون بها في حالة اللجوء.

المضربون عن الطعام

اضراب التضامن مع الشعب السوري بالاردن

2012/9/8

رافق رحلة الإضراب متابعه طبية من بعض الأطباء السوريين الموجودين في الأردن حيث كان هناك متابعه شبه يومية لحالتنا...

تفاوت استمرار المجموعة بالإضراب وفي اليوم العشرين كانت حالتي الصحية وحالة بكري الصوص قد ساءت لدرجة ظهور إصابة كلوية بعد القيام بالتحاليل الطبية كما تم نقل ولاء خواندة قبلها بأيام إلى المشفى فأُعطيت السيروم.

الطبيبة طلبت منا إيقاف الغضراب، لأن الأثر الكلوي كان سيئاً والحالة العامة أيضاً.

لم يكن تعليق الإضراب بالرغم من المشكلات الصحية التي تستدعي ذلك قراراً سهلاً فالدم السوري مازال يسفح والنظام مستمر في قتله وغيه...

لقد كان الإضراب محاولة للتعبيرعن التعاضد والمشاركة لألم السوريين في الداخل . وكان يحاول تحريك الضمير العالمي باتجاه الدماء السورية التي لا تتوقف.

لربما لم نحقق بإضرابنا شيئاً من هذا لكننا استطعنا التعبيرعلى الأقل والمساهمة في رصيد المقاومة السلمية والحراك المدني للشعب السوري ...

"المبادرة الوطنية لحماية السلم الأهلي"

لم تكن لدي مخاوف أكبرمن تحويل الحدث في سوريا إلى مزيج من الاقتتال الطائفي والمناطقي، الذي سعى النظام وعملاؤه بكل ما يمتلكونه من خبث وأدوات إلى إشعاله دائماً بتوافق موضوعي مع القوى المتطرفة الدخيلة على الخارطة السورية ومنها الفكر القاعدي وممثليه على الخارطة السورية.

لم يكن ذلك الهاجس هاجسي وحدي بل كان محرك الكثيرمن الشخصيات والنشطاء والقوى الوطنية السورية ومنها شرائح من رجال الدين السوريين من كل المذاهب.

بدأت الفكرة بمجموعة من النقاشات بيني وبين عدد من الأصدقاء الذين تمخضت صداقاتهم عن إضراب التضامن . فالاضراب كان قد طرح في يومياته فكرة المحبة والتعاضد بين مكونات الشعب السوري وكانت تلك لغة مشتركة بين المضربين..

استمرت النقاشات بين المجموعة وقررنا تحويل الفكرة إلى مؤتمر، وورشة عمل تضم تمثيل لكل الطيف السوري ولشخصيات مؤثرة على المجتمع السوري.. تم تشكيل مجموعة تحضيرية ضمت بالإضافة إلينا نشطاء وأصدقاء آخرين من المهتمين بالفكرة.

بدأنا بسلسلة من اللقاءات والتواصل مع شخصيات كان من ضمنها لقاء مع الشيخ أحمد الصياصنة ولقاء مع الشيخ راتب النابلسي وتواصل مع عمارسارية الرفاعي والأب باولووالشيخ رياض ضرارومشايخ من الطائفة الدرزية في سوريا ولبنان، وشخصيات اجتماعية سياسية هامه ومؤثرة . وبدأنا بتحديد قائمة المدعوين إضافة إلى من سبق ذكرهم . فتضمنت القائمة الشيخ العلامة هاني فحص من لبنان والسيد أكرم شهيب ونورا شرباتي من لبنان ورجال دين مسيحين من سوريا وبعض الشخصيات الثقافية والنشطاء السوريين. كما عقدنا اجتماعات مع جمعيات لبنانية عاملة في السلم الأهلي كان لديها تجربة في هذا المجال، ومنهم جميعة السلم الأهلي اللبنانية ، ودعونا شخصيات إعلامية هامة كان منهم الإعلامية جيزيل خوري كما دعيت شخصيات ثورية وبعض المتشددين السوريين بالإضافة غلى قوى مدنية ثورية سورية ومنهم لجان التنسيق المحلية..

قررنا أن نجتمع في مصر باجتماع مغلق وبعيداً عن الإعلام، يطرح أوجاعنا وهواجسنا ويضع خارطة طريق للخروج من المأزق الطائفي الخطير الذي بدأ يطل برأسه على المنطقة وسوريا . وكانت المشكلة في تمويل اللقاء واستمر هذا لأشهر دون جدوى إلى أن تبرع أحد الاشخاص الذين سمعوا باللقاء بتمويل الاجتماع وتغطية جزء من النفقات لأهمية الموضوع وهو السيد زياد أبو حمدان مشكوراً.

تم تحديد الموعد من الخامس وحتى الثامن من شهر كانون الأول من عام 2012.

وعقد الاجتماع في فندق مركور بالقاهرة لثلاثة أيام متواصلة . تضمنت نقاشات صريحة وجادة تسببت أحياناً بالألم والصدمة. فحجم الجرح كان كبيراً وهناك من يحركه حافز الانتقام وهناك من يرى انسداداً في الأفق وهناك من يصر وبقوة على تحقيق خطوات حقيقة نحو حماية المجتمع السوري من التفكك.

كما تم انشاء خريطة تفاعلية على الغوغل ماب لسوريا تتضمن أهم نقاط التواتر وتحديث آني لمراكز الاحتقان والتوتر ورصد مستجدات ما يحصل على الارض.

خرج المؤتمر بخطة عمل ومقترحات تضمنت التالي:

مقترحات وتوصيات من لقاء السلم الاهلي الاول في القاهرة - كانون الأول 2012

بنتيجة جلسات العمل في أيام اللقاء الثلاثة قمنا بتخليص أهم المقترحات والتوصيات التي وردت من الحضور:

- هناك حاجة إلى نسخة إنكليزية من الخريطة

-هناك حاجة إلى توسيع وتكثيف معلومات الخريطة

-ضرورة تشكيل فرق داخلية بحسب المناطق والتوزع الجغرافي لتقوم بعمليات التقييم ورصد انتهاكات السلم الاهلي

-الدكتور شيرفان ايبش ذكر تجربة ناجحة لامتصاص المشاكل العربية الكردية في كل من عفرين والأشرفية في حلب وبالتالي تم اقتراح أن يكون مسؤولاً عن الشمال الكردي سواء لتقييم الوضع أو للتشبيك مع مبادرات السلم الأهلي هناك على اعتباره متواجداً هناك بشكل دائم.

-الشيخ رياض درار ذكر مجموعة من المبادرات المتعلقة بالسلم الأهلي في كل من دمشق وشمال سوريا وبالتالي تم اقتراح أن يكون مسؤولاً عن التواصل مع هذه المبادرات وعن فريق عمل الرصد والتقييم في دير الزور والشمال الشرقي عموماً.

-تم الاقتراح أن تتضمن مهام اللجنة العمل على مشروع العدالة الانتقالية واقتراح تشكيل لجنة متخصصة بالموضوع

-تم اقتراح العمل على رصد مناطق النازحين والتغيرات الديمغرافية الحاصلة في سوريا نتيجة هذا النزوح وتم اقتراح تشكيل فريق متخصص بالموضوع

-اقتراح مبادرة متخصصة بالعمل مع طلاب الجامعات على موضوع السلم الأهلي (بالتنسيق مع اتحاد الطلبه الأحرار)

-اقتراح القيام بزيارات للمناطق المحررة من قبل الشخصيات الدينية والعامة للعمل على موضوع السلم الأهلي والتشبيك مع المبادرات الموجودة هناك.

-اقتراح القيام بزيارات للمخيمات من قبل الشخصيات الدينية والعامة بسبب التوتروالاحتقان القائم في المخيمات للعمل على موضوع السلم الأهلي.

-اقتراح تشكيل لجنة للتواصل مع المجالس المحلية في المحافظات.

-اقتراح تشكيل لجنة للتواصل مع المجالس التشريعية التي تلعب دوراً قضائياً في المناطق المحررة.

-اقتراح أن تضع المبادرة ميثاق السلم الأهلي لتوقيعه من قبل كافة الفعاليات الدينية والاجتماعية المؤثرة في المناطق السورية.

-تم اقتراح ربط المبادرة بالائتلاف الوطني.

-تم اقتراح التشبيك مع مبادرات السلم الأهلي التالية كبداية على أن يقوم فريق الرصد بوضع لائحة بكافة المبادرات المباشرة في الداخل والخارج للتشبيك معها لاحقاً

-اقتراح تسجيل المبادرة كمؤسسة مرخصة

-وضع النظام الداخلي للمؤسسة

-الاتفاق على شكل الإدارة ضمن المؤسسة علماً بأنه تم الاتفاق على شكل بسيط مبدئياً مؤلف من لجنة تواصل ومتابعة مؤلفة من اللجنة التنظيمية الأساسية وممثلي اللجان المنتخبين ضمن الاجتماع، ريثما يتم العمل على مأسسة المبادرة وانتخاب مجلس إداري ومكتب تنفيذي وتعيين مكتب أمانة سر.

-طرح فكره تامين تمويل صغيرلدعم النشطاء العاملين على خريطة النزاعات و التواصل مع منظمه كندية معنيه بدعم الناشطين القائمين على مشاريع تهتم بحل النزاعات الداخلية (أسامة جروس)

-التواصل مع منظمات معنية بتدريب الكوادر التي ستقوم بالعمل على ورشات و نشاطات و أخذ مبادرات على الارض تتعلق بالسلم الاهلي,(تم ربط أحد القائمين على المنظمه بالاستاذ رياض عيسى مدرب الفريق) (ياسمين من لجان التنسيق)

المشاريع التي تم إقرارها في اجتماع القاهرة

تم إقرار سبعة مشاريع رئيسية خلال الاجتماع:

-1 بنك المعلومات:

يهدف بنك المعلومات إلى جمع معلومات عن أطراف النزاع وحالات الاقتتال والخطف والأطراف الفعالة في موضوع السلم الأهلي. يتم تنفيذ المشروع بالتعاون مع مجموعة الرصد وأيضاً مع فريق إدارة الخريطة. المسؤول عن المشروع عدنان أحمد وأسامة جروس.

-2 قاعدة بيانات عامة: وتضم المعلومات التالية:

- المجلات و الجرائد الثورية
- الصفحات و المواقع الأكثر متابعة
- القنوات و الإذاعات الأكثر تأثيراً
- الشخصيات العامة و السياسيين ورجال الدين و التجمعات المحلية المهتمين بتعزيز السلم الأهلي داخل و خارج المبادرة
- كتائب الجيش الحر و العناصر المسلحه
- لجان الناشطين و التنسيقيات و مجموعات الحراك و مؤسسات المجتمع المدني و شبكات الأمن المهتمة بتعزيز السلم الأهلي
- رصد حالات النزاع و المخطوفين
- حالات النزاع و المفقودين و المخطوفين

الهدف بناء قاعدة بيانات تسهل عمل اللجنة الإعلامية و ترفد بنك المعلومات و تحقيق التشبيك و التواصل مع بقية اللجان والمساعدة في حالات فض النزاع و جهود السلم الأهلي وذلك عن طريق تشكيل فريق و توزيع المهام ضمنه بحيث تكون كل مجموعة مسؤولة عن رصد واحدة من البنود المذكورة في المشروع و التواصل مع فريق المعلومات و الخريطة لإدخال المعلومات و جعلها متاحة للاستخدام المباشر. المسؤول عن المشروع يارا نصيرووسام حداد.

-3 تشكيل لجان محلية لفض النزاعات:

يهدف المشروع إلى خلق لجان محلية بحسب المناطق الجغرافية للعمل مباشرة على فض النزاعات و تحقيق السلم الأهلي وأيضاً التشبيك مع المبادرات واللجان الموجودة أصلاً في هذه المناطق. تقع على عاتق هذه اللجان:

- اطلاق مبادرة للنهوض بالمجتمع المدني
- القيام بدورات تدريبية في مجال المجتمع المدني و السلم الأهلي
- الاتصال باتحاد منظمات المجتمع المدني و إقامة علاقات التعاون في مجال السلم الأهلي
- التواصل مع فريق الرصد للحصول على المعلومات المطلوبة
- تحديد نوع الأزمات و الاشتراك في حلها
- التعاون مع مجموعات مدنية ساعية في مجال السلم الأهلي و تكليف عناصر من اللجنة بالتواصل مع القوى على الأرض.

تم اقتراح إطلاق مشروع أولي للمبادرة في منطقة محددة مثال : منطقة : القامشلي و الموضوع : تدخل المسلحين من الحدود التركيه و نتائج ذلك على المنطقة

ضرورة تدخل الهيئات المحلية في التأثيرعلى الأرض والوصول إلى وسائل تعايش و منع الاقتتال و المشاركة في إداره المؤسسات المتروكة من النظام إضافة إلى لتواصل مع مبادرات السلم الأهلي الموجودة هناك.

المسؤول عن المشروع ريما فليحان والشيخ رياض درار.

-4 حملة إعلامية:

إطلاق حملة إعلامية حول السلم الأهلي - العدالة الانتقالية - فض النزاعات بهدف نشر الوعي لدى الرأي العام وإرسال رسائل مؤثرة في المجتمع السوري. المسؤول عن الحملة محمد أبوراس بالتعاون مع اللجان الدينية، الإعلامية، الشخصيات العامة، الناشطين، المجتمع المدني ومنظمة آفاز.

-5 قمة روحية للحوار الديني:

تهدف القمة إلى الخروج بخطاب موحد ينبذ الطائفية ويؤكد على السلم الأهلي وذلك عبر التواصل مع شخصيات ذات طابع ديني وسطي كرابطة العلماء السوريين-رابطه علماء الشام-الأخوان المسلمون-شخصيات من دول الجوار تشمل السنه-الشيعة-الدروز-المسيحيين و سائر الطوائف و تأمين التمويل و مراسلة الشخصيات والتنسيق مع اللجنة الإعلامية لعقد القمة و إصدار بيان جامع وملزم بخصوص السلم الأهلي. المسؤول عن المشروع الشيخ بلال نور الدين ووسام الحداد ووسام طريف.

-6 ورشات عمل حول موضوع السلم الأهلي:

المسؤول عن المشروع عبد الجليل الشقفي والمدرب رياض عيسى وياسمين

7 -نشاطات ومهرجانات فنية حول موضوع السلم الأهلي:

لا يزال المشروع قيد الدراسة. المسؤول عن المشروع عبد الجليل الشقفي ويارا نصير.

وبالرغم من أهمية الافكار التي خرجنا بها من الورشة إلا أن التفاعل على الأرض كان أسرع من خطواتنا الباحثة عن تمويل تلك المشروع وجهات تتبنى تلك الأفكار وتسعى لتحقيقها..

وبقيت تلك الافكار أسيرة أوراق المؤتمر وأحلامنا وماتت المساعي الهادفة إلى تحقيقها بسبب عدم وجود أي جهات داعمة وممولة للمشروع.

"لقاءات مع دبلوماسيين ومنظمات حقوقية"

منذ خرجت من سوريا بدأت بتحرك واسع لنقل الألم السوري إلى كل مكان، وإلى كل من قابلتهم من شخصيات دبلوماسية من مختلف دول العالم..

في كل تلك اللقاءات كان الهاجس التعبير عن إرادة الحالمين بالحرية وأحقية المطالب التي خرجنا من أجلها وتوثيق انتهاكات النظام السوري وجرائمه، وخاصة ضمن ما يزيد عن 4 لقاءات رسمية مع لجنة التحقيق الخاصة بسوريا في الامم المتحدة .وعدد من اللقاءات مع فريق سوريا بمنظمة العفو الدولية التي سبق وكان لدي تواصل معها في سوريا قبل الثورة بسنوات فيما يتعلق بانتهاكات حقوق المرأة وحقوق الإنسان .

تواصلت أيضاً في تلك الفترة مع الجامعة العربية، وعبرها مع فريق المراقبين خاصة فيما يتعلق بإرسال قوائم المعتقلين وأشد الأسماء تعرضاً للخطر بالتعاون والتنسيق مع رزان زيتونة ولجان التنسيق المحلية.

التقيت شخصيات دبلوماسية ومن وزارات خارجية دول عديدة حول العالم من دول أوربا والولايات المتحدة. كما التقيت أمين عام جامعة الدول العربية وبعضاً من مساعديه والابراهيمي والشبكة الأوربية لحقوق الإنسان ومكاتب للهيومن رايتس ووتش والبرلمان الأوربي وبعض الخارجيات العربية و ومنظمة العفو الدولية ومنظمات نسوية عالمية ومفوضية اللاجئين وشخصيات من المفوضية السامية لحقوق الإنسان و جميعيات ومنظمات عالمية في مجال حقوق الإنسان .

في كل تلك اللقاءات كانت رسالتي تحمل ضرورة إنهاء الألم السوري ، وإيجاد حل سياسي يضمن الخلاص من النظام الديكتاتوري، وتحقيق محاسبة المتورطين في جرائم الحرب والانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، وتحرير المعتقلين وتحقيق ظروف عيش إنسانية للاجئين وتقديم الإغاثة للداخل .

بالإضافة إلى شرح موقفي السياسي وموقف الجهات المعارضة التي أنتمي إليها أو أمثلها في تلك الاجتماعات بإطار وطني يعرف تماماً الفرق بين التعبير عن تطلعات السوريين والانصياع لتطلعات الآخرين..

كما شاركت في دراسات ومشاريع هامة كان منها مشروع اليوم التالي بحث العدالة الانتقالية وخطة التحول الوطني فيما يتعلق بالإصلاح السياسي والدستوري..

"الائتلاف الوطني السوري ومفاوضات جينيف 2"

حملت بعض الشخصيات المعارضة فكرة مبادرة تشكيل ما يشبه حكومة منفى ومجلس حكماء أو تشكيل معارض أكثر تمثيلاً وأصغر عدداً من واقع المجلس الوطني السوري، ليشمل طيفاً أوسع من

المعارضة السورية ويتجاوز العثرات التي وقع بها المجلس الوطني السوري الذي كان يرفض قيام أي تشكيل جديد يشكل بديلاً عنه كواجهة سياسية للمعارضة ، فبدأ بحث خطاه نحو توسيع المجلس وإعادة الهيكلة.

وكانت تلك الفكرة تتطور شيئاً فشيئاً إلى أن أينعت عبر المبادرة التي طرحها المعارض السوري رياض سيف بما أسماه حين ذاك هيئة المبادرة الوطنية السورية . وما عرف و تداول لاحقاً بمبادرة رياض سيف وما تطور لاحقاً لينتج الائتلاف الوطني السوري..

سبق تلك الخطوة مداولات قام بها رياض سيف مع شخصيات المعارضة عبر السكايب ولقاءات مباشرة لبحث الشكل الذي يجب أن يخرج ليحقق توافقاً أكبر للمعارضة.

سبق اجتماع التأسيس للمبادرة اجتماعات تحضيرية أحدها في باريس والآخر في عمان الاردن.

في اجتماع عمان كانت الفكرة قد أصبحت أكثر وضوحاً وبدأت ترتسم ملامحها ومكوناتها .

كنت ممن حضر اجتماع عمان ودعيت إلى اجتماع باريس ولم أتمكن من حضوره ..

حضر في عمان رياض سيف وميشيل كيلو ورياض حجاب رئيس الوزراء المنشق وعلي صدر الدين البيانوني وأحمد الجربا وبسمة قضماني والشيخ الرفاعي ووائل ميرزا ومصطفى الصباغ ووليد البني وكمال اللبواني ورضوان زياده والحارث النبهان وحضرت أيضاً..

كان النقاش يدور حول هيكيلية المبادرة وأهميتها والأسس التي يجب أن تقوم عليها..

وخرج الاجتماع بنقاط أساسية عبر عنها المعارض رياض سيف لوسائل الإعلام وفق التالي:

إن متطلبات الواقع الذي يعيشه شعبنا وتعيشه الثورة يفرض علينا اليوم التداعي لتشكيل إطار لا يُلغي ولا يُهمّش أياً من القوى الثورية والمعارضة، وإنما يوفّق بينها جميعاً في بنية تنظيمية تضمن العمل المشترك البنّاء. إن الوطن بأمس الحاجة اليوم لوجود قيادة قوية، قائمة على المشاركة والندية لا على التفرد والاستئثار، تعمل على الاستجابة لحاجات الثورة وتدعم صمود شعبنا وتطمئن جميع أبنائه إلى مستقبلهم. إن ذلك من شأنه أن يجعل هذه البنية التنظيمية تحظى بتأييد الشعب السوري فتمتلك بذلك الشرعية للحصول على الاعتراف بها كممثلٍ له.

في هذا السياق، وإيماناً منا بأن الشعب السوري قادر بكل مكوناته على المضي في ثورته قدماً، وعلى بلوغ النصر مهما عظمت التحديات، والتزاماً بواجبنا الوطني نتداعى لتشكيل قيادة سياسية تحت مسمى هيئة المبادرة الوطنية السورية إطاراً جامعاً يمتاز بالحيوية والمرونة والكفاءة، يعمل وفق

الأسس الديموقراطية، وبالاستناد إلى وثائق مؤتمر القاهرة التي أجمعت عليها المعارضة السورية في تموز 2012. وهي تتواصل وتدعم الساحة الداخلية من جهة، وتتحرك على الساحات العربية والاقليمية والدولية من جهة أخرى. كما تضمن عدم الوقوع في فراغ سياسي لحظة سقوط النظام الأسدي.

إن إدراك جميع الجهات السورية المعارضة اليوم لهذه المسؤولية وتصدّيهم لها، سيمكّن هيئة المبادرة من الاستجابة للاستحقاقات العاجلة والطارئة، مع التأكيد على الثوابت الوطنية التالية:

·الحفاظ على السيادة الوطنية واستقلالية القرار الوطني السوري.

·الحفاظ على وحدة التراب الوطني السوري.

·الحفاظ على وحدة الشعب السوري.

·لا يبدأ الحل السياسي في سورية إلا بتنحية بشار الأسد ورموز السلطة وضمان محاسبة المسؤولين منهم عن دماء السوريين.

·التأكيد على قيام سورية المدنية التعددية الديمقراطية.

وكانت هيئة المبادرة تهدف أيضاً إلى تحقيق الأهداف التالية:

·إنشاء صندوق دعم الشعب السوري.

·إدارة المناطق المحررة.

·التخطيط للمرحلة الانتقالية.

·تأمين الاعتراف الدولي.

بناءً على هذا، ستتم دعوة أطياف المعارضة السورية السياسية بالإضافة إلى ممثلي الجيش الحر والمجالس العسكرية والحراك الثوري والمجالس المحلية والحروشخصيات اعتبارية من المحافظات للمشاركة في مختلف تكوينات هذا المشروع المُقترح، حيث تنبثق منه أربعة أجسام على الشكل التالي:

·هيئة المبادرة (تضم ممثلي القوى السياسية والمجالس المحلية والحراك الثوري والشخصيات الوطنية).

·مجلس عسكري أعلى (يضم ممثلي المجالس العسكرية والكتائب).

·لجنة قضائية.

·حكومة مؤقتة (مشكلة من التكنوقراط).

وستتم الدعوة إلى اجتماع تشاوري لمناقشة هذا المشروع في الدوحة بتاريخ 8 تشرين الثاني / نوفمبر 2012 م للوصول إلى أفضل صيغة ممكنة لبلورة التصور النهائي للمشروع."

شنت حملة تشويه وتشكيك ظالمة طالت رياض سيف بالتخوين في محاولات يائسه لإفشال المشروع وتم اتهامه بالمشروع الأمريكي والذي يهدف إلى المصالحة مع النظام..

في اجتماع عمان كانت لدى بعض المجتمعين معلومات من مصارد رفيعة المستوى تم اللقاء بها على هامش اجتماع عمان. أن تحركاً واسعاً سيتلو تأسيس الكيان الجديد سيؤدي لإسقاط النظام خلال أشهر قليلة. وهذا يعني وجوب التحضير عبر هذا الكيان من أجل حماية البلاد من الفوضى التي ستعقب سقوط النظام لذلك يجب إعداد كيان يعد للمرحلة الانتقالية ليمنع حدوث فوضى ويضبط الأمن ويحافظ على المؤسسات في حال حصل هذا وكان هذا الحافز الذي شجع الجميع على الوقوف مع الفكرة وهي فكرة حماية البلاد واستباق أي مجال للفوضى لحماية البلاد والناس من آثار سقوط مفاجئ للنظام كما سمعنا في حينه!..

في شهر تشرين الثاني من عام 2012 تمت الدعوة من الخارجية القطرية للشخصيات التي ستشكل الكيان الجديد للاجتماع في الدوحة. وكان هذا مفاجئاً لان الاتفاق في عمان كان ان اجتماع التأسيس سيكون في القاهرة بعيداً عن أية تجاذبات إقليمية ولكن الدعوة جاءت مفاجئة خلافاً للمتوقع, وكنا بعيدين عن الكواليس ولم نعلم ما السبب الذي أدى إلى هذا التغيير وما هي عواقبه، حيث واكب ذلك وفي نفس المكان اجتماعات التوسعة للمجلس الوطني السوري في محاولة يمكن تسميتها بالأخيرة لتصحيح حالة المجلس ورفده بقوى جديدة...

واكب ورافق تلك الاجتماعات حضور دولي كثيف على المستوى العالمي والعربي في دعم واضح ومعلن للتشكيل الجديد الذي وقف بوجهه وبحدة في تلك الفتره المجلس الوطني السوري..

يمكن أن يقال، إن المجلس الوطني كان يستشعر بالخطر على كيانه كواجهة. ولكنه أيضاً كان يحمل مخاوف وهواجس مشروعة نتيجة تجربته مع المجتمع الدولي..

فالمجلس الذي وعد بدعم منقطع النظير على المستوى السياسي والمعنوي والقانوني منذ تأسيسه لم يتلقَ من تلك الوعود إلا الجزء اليسير، مما ساهم بشكل من الأشكال في إضعافه أيضاً إضافة إلى العوامل الداخلية وأخطاء المجلس..

لكن حجم الوعود التي سمعناها من دول القرار والمجتمع الدولي بموازاة الاجتماع كانت تدفع الحاضرين أو على الأقل الجزء الأكبر منهم للسعي الحثيث لتأسيس هذا الكيان والمسؤولية المواجهة المرحلة القادمة..

حضَّرت قطر قاعة دائرية كبيرة للاجتماع حملت جدرانها صور للمجازر الجارية في سورية . بالإضافة إلى فيلم تم إنتاجه يحمل رسائل من شخصيات سورية تدعو المعارضة السورية للتوحد ورافق هذا المشهد موسيقا تصويرية حزينة!!!

ثلاثة أيام من الاجتماعات المستمرة التي كانت تسعى لتحقيق توافق بين الحاضرين على تأسيس ما تم الاتفاق عليه بالائتلاف الوطني السوري ضمن مقاومة بالغة من المجلس الوطني للفكرة..

حضر الاجتماعات وزير الخارجية القطري وحضر بعضها الآخر وزير الخارجية الإماراتي وأمين الجامعة العربية وشخصيات من الخارجية السعودية والتركية . كما تمت اجتماعات جانبية ضمت شخصيات دبلوماسية من الخارجية الامريكية والفرنسية والبريطانية والعربية وشخصيات أساسية من المعارضين والقوى الحاضرة في الاجتماع. وكل تلك الاجتماعات بما فيها الاجتماعات الرسمية كانت تقدم وعوداً للمعارضة اتضح فيما بعد هلامية أغلبها كان منها:

تقديم المبالغ المحجوزة للنظام السوري للكيان الجديد من أجل دعم الشعب السوري.

تقديم أسلحه نوعية ومضادات طائرات..

الاعتراف الرسمي بالممثل الشرعي والوحيد للشعب السوري..

كرسي الجامعة العربية مباشرة في الاجتماع الذي سيتلو التأسيس..

الاعتراف الديبلوماسي الكامل..

مبالغ ومساعدات ضخمة لدعم عمل تشكيل الكيان الجديد وما سينبثق عنه من حكومة ومجلس قضاء وتوحيد للجيش الحر تحت قيادة وطنية..

تضمنت الاجتماعات معضلات كادت تؤدي لنسف الخطوة وكان المجلس الوطني يطالب بمقاعد إضافية من أجل الانضمام للائتلاف..

حضرت الاجتماع شخصيات لم تكن في اجتماع عمان ومنها الشيخ معاذ الخطيب وممثلي المجالس المحلية وحضرت شخصيات غريبة لم تكن معروفة فيما سبق ولم نعلم كيفت حضرت ومن رشحها وغابت عنه شخصيات أخرى ممن شارك في اجتماع عمان كان منهم ميشيل كيلو الذي رفض

الانضمام في تلك الفتره ليتم تاسيس الائتلاف ب 63 عضواً يمثلون الشرائح التالية : 63 مقعداً، المجلس الوطني السوري والهيئة العامة للثورة السورية ولجان التنسيق المحلية والمجلس الثوري لعشائر سوريا، ورابطة العلماء السوريين، واتحادات الكتاب، والمنتدى السوري للأعمال، وتيار مواطنة، وهيئة أمناء الثورة، وتحالف معاً، والكتلة الوطنية الديمقراطية السورية، والمكون التركماني، والمكون السرياني الآشوري ، والمجلس الوطني الكردي، والمنبر الديمقراطي، والمجالس المحلية لكافة المحافظات. إضافة إلى بعض الشخصيات الوطنية وممثل عن المنشقين السياسيين في تلك الفترة..

انتخب الشيخ معاذ الخطيب رئيساً للائتلاف، ويعتبر من الشخصيات الإسلامية المعتدلة والمحبوبة في الشارع السوري ، كما انتخب كل من رياض سيف وسهير الأتاسي نائبين للرئيس، ومصطفى صباغ أميناً عاما.

في 12 نوفمبر اعترفت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بالائتلاف كممثل شرعي للشعب السوري، وسحبت اعترافها بحكومة بشار الأسد.

وبعد بضع ساعات، إعترفت معظم الدول العربية بالائتلاف كممثل شرعي للشعب السوري ، باستثناء الجزائر والعراق ولبنان..

وفي شهر تشرين الثاني وكانون الأول من نفس العام اعترفت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والدانمارك وتركيا بالائتلاف..

إلا أن الائتلاف لم يسلم كرسي الجامعة العربية ، وبقي الاعتراف إعترافاً سياسي ليس له أي أثر قانوني في التمثيل الدبلوماسي والحق في إصدار جوزات السفر وإسقاط شرعية النظام قانونياً من الأمم المتحدة.

كما لم تسلم أية مبالغ من المحجوزات من أموال النظام ولم يحقق إلا الجزء اليسير من الوعود التي سمعها المجتمعون في الدوحة إبان تأسيسه..

تنازع الائتلاف محورين أساسيين قطري تركي من جهه وسعودي من جهة أخرى وأدى ذلك التنازع إلى الإمعان في الخلافات داخل الائتلاف ، وإضعاف القدرة على اتخاذ القرار وبقيت داخل الائتلاف كتلة صغيرة غير منحازة تحاول الصراخ عبثاً للتأثير ضمن هذه الانقسامات..

كما انعكس ذلك التنازع على القوى العسكرية التي انقسمت بدورها أيضاً والتي لم تكن أصلاً وفعلياً تتبع للائتلاف كهيئة سياسية وبالتالي لم يكن هناك أجندة وطنية واستراتيجية واضحة لتلك

الفصائل ، بالإضافة لولادة تنظيمات أكثر تطرفاً وتدخل جهاديين من مختلف دول العالم على الخارطة العسكرية وظهور داعش التي استولت على الرقة وبدأت بالتنكيل وقتل الناشطين والإعلامين وقتال الكتائب الأخرى من الفصائل المسلحة من الجيش الحر وهو ما خلق واقعاً اكثر تعقيداً وساهم في خلط الأوراق واستغل النظام هذا الواقع أحسن استخدام إعلامياً وتكتيكياً مع حلفائه..

تمت توسعة الائتلاف عبر القائمة الديموقراطية ودخلت للائتلاف شخصيات معارضة ذات ثقل مثل ميشيل كيلو وفايز سارة و هادي البحرة ومنذر أقبيق وآخرون..

وتم تشكيل حكومة مؤقتة ومجلس عسكري وفق الوثيقة التنظيمية للائتلاف.

كما أحدثت مبادرة معاذ الخطيب للحوار مع النظام هزة عنيفة داخل الائتلاف وفي الشارع الثوري ما بين مؤيد للفكرة ومخون لمجرد التلميح للحوار مع النظام..

معاذ الخطيب كان شخصاً نظيفاً و مسالماً وكل ما يأمل به هو وقف الدماء في سورية وكان يطمح إلى تحقيق قرار وطني للسوريين في ظل ظرف دولي معقد سرق الحالة السورية بأكملها نحو مزيد من التعقيد وفقدان القدرة على اتخاذ القرار..

وبالرغم من أن المبادرة لم تكن ناضجة على المستوى السياسي، وافتقدت إلى التنسيق مع أعضاء الائتلاف. إلا أنها خلقت بالون اختبار حقيقي لرغبات السوريين. اتضح من خلالها أن المفاوضات والحل السياسي ووقف القتل هو هاجس السوريين وخاصة في الداخل. ورفضت تلك الفكرة كتائب عسكرية إسلامية وبعض القوى السياسية أيضاً كما حصلت أيضاً على اهتمام دولي رفيع وسببت إرباكاً للنظام السوري...

اجتماعات الائتلاف كانت تسبب لي الضيق بسبب حالة الشلل والعجز و حجم الخلافات الناتجة عن الخلاف الإيدولوجي بين مكونات الائتلاف. وبسبب تدويل المسألة السورية وضعف الدعم المقارن بالوعود وعدم تمكين الائتلاف من أدوات تمكنه من تحقيق الفارق المطلوب على الأرض على المستوى الإغاثي والتنظيمي والسياسي..

في ظل دعم منقطع النظير للنظام من إيران وروسيا تضمن تدخلاً سافراً لحزب الله وبعض الفصائل العراقية. مما تسبب في تشجيع التطرف المقابل بالإضافة إلى العوامل الخارجية الداعمة لهذا التطرف حيث ساهمت جميعها بتحويل ما يجري إلى نزاع سني شيعي بدأ بامتداده نحو المنطقة بكاملها وهو ما سيريح عدداً من الأنظمة في المنطقة برمتها والتي سيريحها حتماً وأد الربيع العربي في

سوريا باستثناء ما حصل من تطور دراميتكي غير محسوب عبر امتداد داعش وهو ما خلق تعقيداً إضافياً كارثياً لما يجري في سوريا..

وعلى الأرض وبالرغم من عدم اقترابي من المجال العسكري لعدم إيماني بعسكرة الثورة أصلاً. إلا أن عدم وجود قيادة موحدة حقيقية واستراتيجية طويلة المدى وعدم وجود تبعية حقيقة للقيادة السياسية، سبب تراجعاً عسكريا للجيش الحر بالاضافة إلى المعارك المفتوحة مع داعش التي بدأت بالتمدد كسرطان خطير داخل الاراضي السورية..

لم أكن أعلم فعلاً من يتخذ القرار بالتحركات العسكرية على الارض. ولم أكن أعلم بجدوى أي من تلك التحركات التي غالبا ما كانت تتوقف فجأة كما بدأت دون أن تحافظ على أية منجزات تم الوصول إليها.

حاولت أن أنجز في العمل الإغاثي لأقوم بواجبي اتجاه أبناء شعبي في دول اللجوء وبدأ ذلك منذ العاصفة التي ضربت المنطقة في آذار 2013 شعرت بغضب شديد اتجاه الكارثة الانسانية التي كانت تحصل في مخيم الزعتري. قمت بتجميد عضويتي بالائتلاف يومها من أجل تحرك الائتلاف لإغاثة الغارقين في الخيم وتحرك المجتمع الدولي في تقديم المساعدات الطارئة للاجئين وتوجهت في نفس اليوم بالرغم من الطرق المقطوعة الغارقة تحت الثلج نحو الزعتري . وقضيت ليلتي هناك مع اللاجئين المنهارين من العاصفة والغارقين تحت الثلج والمطر..

في اليوم التالي تشكلت مجموعة من الناشطين والأصدقاء كان بينهم من شاركتهم إضراب التضامن. واطلقنا نداء استغاثة للسوريين حول العالم وبدأت عدد من الفعاليات ترسل المعونات المادية والعينية حيث تمكنا من خلالها من شراء البطانيات والملابس والمدافئ والتوجه يوميا إلى المخيم. كما التقينا بمساعدة السيد رياض حجاب بوزارة الداخلية الأردنية حيث تم تسهيل دخولنا يومياً إلى المخيم وتقديم المساعدات كما ساهمت بعض الشخصيات السورية بالحملة ومنهم الدكتور وليد البني ومؤسسة الاصفري وناشطون حول العالم..

تواصل معي الشيخ معاذ الخطيب ، وأطلق نداء عبر برنامج استديو بيروت مع جيزيل خوري لدعم الحملة التي نقوم بها. ثم زار الأردن بعد أيام وقررنا افتتاح مكتب الاغاثة التابع للائتلاف في الأردن . وبدأنا العمل ضمن شعار الشفافية والمأسسة ونشر الحسابات بتفاصيلها شهرياً على موقع المكتب على الانترنت وفي وسائل الإعلام . كما تم إرسال تقرير شهري مفصل بأسماء المستفيدين وأرقام هواتفهم إلى الائتلاف الوطني.

لم يتلق المكتب دعماً منتظماً من الائتلاف وتم التضييق عليه في بعض المراحل من عمر الائتلاف . وحاولت بعض الجهات تحطيم هذا الجهد عبر حملات تخوين وتشكيك وإثارة الشبهة حول عمل المكتب ، وخاصة بعض القوى المتطرفة التي رفضت وفق معيارها الإيدولوجي وتصريحاتها في تلك الحملات إدارة العمل من "شخصية درزية" على حد تعبيرهم لعمل المكتب الإغاثي في الاردن. وتبع هذا التشويه تهديدات طالتني وطالت موظفي المكتب وصلت إلى حد التهديد بالقتل..

العمل الاغاثي في الأردن والتواصل مع الجمعيات السورية الأخرى العاملة في الإغاثة في الأردن جعل الواقع أكثر قتامةً - ليس من منطلق حاجة الناس البالغة ضمن واقع اللجوء الصعب و التي لا يمكن تلبيتها بتلك المبالغ البسيطه أو بهذا المجهود فقط مع أن تلك المعونات المقدمة من مكتب الإغاثة كانت تساعد ما يزيد عن 1500 عائلة سورية وسطياً كل شهر طوال عمل المكتب - بل إن تلك التجربة سلطت الضوء على حالة المناطقية البغيضة التي بدأت تطفو على السطح ، من حيث تنازع الإغاثة على أساس المناطقية ضمن تعصب بغيض كان يطفو أحيانا فوق الحاجات الإنسانية ومنطلقات العمل السليم في ذلك المجال..

<u>"اختطاف النجمة الزرقاء من سمائنا"</u>

كنت في مكان لا أعلمه مع رزان زيتونة وسيدة أخرى وبعض الشبان وكنا نضحك عندما حضرت فجأة مجموعة من الأشخاص واختطفتهم جميعاً وأنا أصرخ خلفهم دون جدوى..

كان هذا الكابوس هو ما أيقظني مذعورة قبيل أسابيع من اختطاف نجمتنا الزرقاء رزان زيتونة.. استيقظت هلعة وتوجهت للسكايب على الفور لأطمئن عليها " اون لاين"

كانت حاضرة .. تكلمت معها ورويت لها الحلم .. ضحكَت وقالت لي : "ما تخافي أنا منيحة" قلت لها : رزان لازم تطلعي من سوريا صار الوضع خطير عليكي ، وأنا كتير خايفه عليكي.. قالت لي : ما رح اطلع ريما قبل ما تنجح الثورة.

كانت رزان قد تعرضت في وقت سابق لتهديدات من مجموعات ترتبط بجيش الإسلام بسبب نشاطها المدني الذي تقوم به في دوما، وكانت هناك حملة من التهديدات على الفيس بوك. بالإضافة لإطلاق رصاص أمام بيتها قبل هذا بفترة قصيرة.. في تلك الفترة وقف المجتمع المحلي في دوما إلى جانبها وتراجعت تلك الجهات عن تهديداتها ومطالبتها لرزان المتوارية والعاملة في دوما بالخروج من ريف دمشق..

عملت رزان عبر لجان التنسيق المحلية ومركز توثيق الانتهاكات بمجال التنمية والإغاثة والتوثيق. وقدمت ما لا يمكن إحصاؤه أو إعطاؤه حقه من عمل ومثابرة مع فريق من الناشطات والناشطين الأكفاء المؤمنين بالعمل المدني في سوريا وفي ريف دمشق ودوما تحديداً حيث كانت تتوارى وتختبئ عن أعين النظام..

في ليلة التاسع من كانون الأول من عام 2013 قام مجهولون بخطف رزان زيتونة من مركز توثيق الانتهاكات في دوما برفقة سميرة الخليل وناظم حمادي ووائل حمادة زوجها في حدث هز الناشطين السورين وشكل انحرافاً خطيراً في مسار الثورة..

اختطاف الغالية رزان زيتونة كان طعنة عميقة للثورة المدنية وتشويهاً لوجهها السلمي.. كان سرقة لآمالنا في استمرار هذا النهج من العمل في داخل سوريا..

رزان والتي لم تخلُ يومياتي على مدى أكثر من سنتين ونصف من حديث على السكايب أو الفايبر معها.. و النجمة التي عنت لكل من عرفها الإرادة والقوة والصدق والعمل الدؤوب.. والتي رفضت مغادرة سوريا بالرغم من التهديدات الأخيرة التي تعرضت لها ، و التي زادتها إصراراً على البقاء في نفس المكان الذي أحبته لتستمر بالعطاء والقيام بالدور الذي ارتضته لنفسها كواحدة من أهم ناشطات حقوق الإنسان في ظل القمع اليومي الذي يمارسه النظام السوري على أبناء شعبه. سرقت في ليلة غدرت بها و بنا وبكل من يؤمن بمدنية سوريا والثورة الأصيلة التي خرجنا من أجلها..

نجمتنا الزرقاء تلك.. سُرقت من سمائنا ومن يوميات حياتنا ويوميات الثورة من قبل أيدٍ غادرة برفقة ثلاثة من النشطاء الأعزاء سميرة الخليل وناظم الحمادي ووائل حمادة في تلك الليلة المشؤومة.

ما يقارب السبعة أشهر مضت منذ اختطافها حتى لحظة تدوين هذا الجزء من الكتاب وما يزال الغموض يعتري ظروف اختطاف النشطاء الأربع من "دوما" . المكان الذي أحبوه وقدموا إليه الكثير منذ اللحظة الأولى لوجودهم هناك هرباً من أعين النظام الذي يلاحقهم.. من منطقة يفترض أنها الاكثر آمانا للهاربين من الاعتقال على يد النظام، حيث تحظى كتائب الجيش الحر والكتائب الأخرى بسيطرة كاملة في دوما خاصة الجبهة الاسلامي الأقوى والأكثر سيطرة على تلك المنطقة بالإضافة إلى بعض الفصائل الإسلامية الاخرى..

رزان التي وثقت الألم والموت وكتبت تغريبتنا بكل تفاصيلها بصدق وأمانة .. كما صرخت حنجرتها للحرية منذ اليوم الأول للثورة .. ولم تقدم يداها إلا العطاء والمحبة منذ تخرجها من كلية الحقوق وبدأت دفاعها عن المعتقليين السياسين، وصولاً إلى لحظة اختطافها ، مروراً بكل ماقدمته للثورة من عطاء. حيث كانت من المؤسسين الأوائل للتنسيقيات ولجان التنسيق المحلية كما أسست لاحقاً مركز

توثيق الانتهاكات في سوريا ، المركز الذي يعتبر من أهم المنابر الحقوقية التي وثقت انتهاكات النظام لحظة بلحظة ، كما لم توفر سميرة الخليل وناظم ووائل أي جهد من أجل إغاثة السوريين وتقديم المعونة لكل من يحتاجها ودعم العمل المدني الإنساني المجتمعي..

الناشطون السلميون الأربعة في قبضة الخاطفين بعد أن قدموا كل هذا العطاء ، بينما يعتصر الألم والغضب قلوب كل من عرفهم حيث ينشدون إطلاق سراحهم فوراً وإعادتهم سالمين إلى وطنهم وذويهم بل إلى الإنسانية جمعاء ، لربما كان هذا هو السبب الذي دفع ذوي وأصدقاء المخطوفين والذين كنت من بينهم لإطلاق حملة كبيرة بدأت منذ يوم الثلاثاء 2014/5/26 واستمرت لما يزيد عن الشهر تحت عنوان : "الحرية لنشطاء الحرية " وهي الحملة التي يطالب فيها أصدقاء وأهالي المخطوفين بالكشف عن مصير نشطاء حقوق الإنسان رزان زيتونة وسميرة خليل ووائل حمادة وناظم حمادي والذين خطفوا ليلة 2013/12/9 حيث لا معلومات عنهم منذ ذلك اليوم.

كما أصدرت عشرات المنظمات الحقوقية حول العالم بياناً حمَّلت فيه زهران علوش مسؤولية اختطافها كما طالبت بالكشف عن مصير المختطفين الأربعة وإطلاق سراحهم فوراً.

حصلت رزان على عدد من الجوائز العالمية كان آخرها جائزة الاصوات الحرة لعام 2014 والتي نالتها أثناء اختطافها فيما صاحب هذا حملات من الناشطين للمطالبة بإطلاق سراحها داخل وخارج سوريا وفي كل مكان من العالم .

لم يتضح مصير رزان حتى الآن وما زال الصمت سيد الموقف من قبل من يشار إليهم بالمسؤولية فيما يشكل وصمة عار على كل المتواطئين على تلك الجريمة والساكتين عن أية معلومات عنها..

وتمضي كل تلك اللحظات من العمل بانتظار ضوئك على السكايب لنتحدث مجدداً لعل سماءنا تضيء مجدداً بتلك النجمة التي لطالما دلت التائهين على الدرب إلى المسار..

<u>"مفاوضات جينيف 2"</u>

في ظل انسداد الأفق كان لابد من إحداث خرق والتحرك باتجاه مفاوضات سياسية تودي إلى مرحلة انتقالية وتوقف الدماء في سوريا..

بالنسبة لي كانت تلك الخطوة الوحيدة التي تدفعني للاستمرار بالائتلاف بعد حالة الاستعصاء التي وصلنا إليها ، هي إيماني بالحل السياسي كمنفذ قد يؤدي إلى وقف الدماء..

اجتماعات عديدة ومخاض عسير سبق موافقة الائتلاف على حضور مؤتمر جينيف 2 وقد كنت من أشد المدافعين عن المشاركة به من أجل عدم إدخار أية طريقة أو خطوة يمكن أن تساهم في وقف نزيف الشعب السوري..

ممانعة بالغة ضد المشاركة من المجلس الوطني وبعض القوى دون طرح خيارات استراتيجية بديلة ضمن حالة انعدام ثقة بين مكونات الائتلاف ساهمت في تعقيد الوصول إلى تلك الموافقة على المشاركة..

تشكل وفد المفاوضات إضافة إلى رئيس الائتلاف أحمد الجربا من 15 عضواً هم :

كبير المفاوضين هادي البحرة – بدر جاموس – أنس العبدة – نذير الحكيم – سهير الأتاسي – هيثم المالح - عبد الحميد درويش – محمد صبرة - ريما فليحان – حسام الحافظ - عبد الأحد اصطيفو – لؤي صافي - عبيده نحاس –أحمد جقل – ابراهيم برو

ورافق الوفد استشاريون وسياسيون كبار للتنسيق وإعطاء الرأي والاستشارة ومنهم ميشيل كيلو – برهان غليون – سمير سعيفان – أحمد رمضان- فاروق طيفور..

لتبدأ المفاوضات في مونترو السويسرية في 22 -1-2014

لم يكن ذلك حدثاً عادياً فقد كنت أرفض التفكير في أي تفاوض مع النظام قبل تنحية الأسد .. لم أكن أتقبل فكرة جلوسي مع ممثلي الجلادين في قاعة واحدة كانت كل مشاهد الدماء والضحايا حاضرة في ذهني طوال وجودي في الطائرة المتجهة من اسطنبول إلى جنيف وكنت أشعر بألم بالمعدة لم أكن أعرف سببه ..

لكن المحرك الإنساني الذي دفعني إلى فكرة تبني المفاوضات كحل أخير ضمن حالة انسداد أفق الحل في سوريا . وتطلعي إلى وقف الدماء في سوريا وخوفي من تنامي خطر التطرف وتفكيك المجتمع السوري وتكريس الاقتتال إلى ما لانهاية، والوضع الإنساني المزري نتيجة الحصار الخانق الممارس من قبل النظام على مدن ومناطق عديدة منها حمص وريف دمشق وجنوب دمشق ، واعتقال ما يزيد عن مئتي ألف مواطن كان يموت منهم العشرات يومياً تحت التعذيب ، كانت كلها تشكل الحافز من أجل الضغط نحو إيجاد حل سياسي قد ينقذ ما تبقى من البلاد..

كلفت في اليوم الأول بعيد وصولي إلى جنيف وافتتاح مونترو من قبل كبير المفاوضين السيد هادي البحرة بملف حقوق الإنسان، بسبب انغماسي بهذا النشاط قبل وأثناء الثورة واهتمامي عموماً بالملف الإنساني. وبدأ عملي بالتواصل اليومي مع أهم المنظمات السورية العاملة في هذا الملف، ومنهم

مركز توثيق الانتهاكات في سوريا والشبكة السورية لحقوق الانسان وناشطون مستقلون مثل سيما نصار ومسعود عكو وآخرون، واستطعنا معاً إعداد قوائم بأسماء 60 ألف معتقل ومعتقلة تم تقديمها إلى الأمم المتحدة كما تم توثيق مراكز الاعتقال وإعداد قوائم بأسماء المتورطين بالتعذيب من النظام..

"النظام والمعارضة وجهاً لوجه"

" أنتم مجموعة من الخونة والحاقدين والمنتفعين وحكم الخونة الإعدام"..

"الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان كلها عميلة لأجهزة المخابرات"..

"لايمكن إطلاق المعتقلين الأطفال لأنهم عملاء للجيش الحر وجواسيس ، والنساء أيضاً لأنهن متورطات بالإرهاب ويمارسن جهاد النكاح"

" ولا يمكن إطلاق المدنيين المحاصرين في حمص القديمة قبل إعداد قائمة بأسمائهم جميعاً"

كانت تلك بعض العبارات التي تفوه بها الجعفري أثناء جلسات المفاوضات.

كنا نجلس أمام وفد لا يملك القرار ويملك فقط سلاح الاستفزاز وإضاعة الوقت وتنفيذ الإيعازات التي كانت تصله من دمشق.. وكان من الواضح أن وفد النظام كان حاضراً في جنيف 2 لإفشال جنيف 2 وأنه لم يكن مؤمناً بوثيقة جنيف 1 كحل سياسي أو كان يحاول تحريفها إلى ما يتناسب مع بقاء بشار الأسد في السلطة وإبقاء التركيز على موضوع محاربة الإرهاب كبداية..

كانت سياسية وفدنا المعارض تتركز في تنفيذ بيان جنيف1 والبدء بتشكيل هيئة الحكم الانتقالي كحل جذري للمشكلة ، عبر خلق طرف واحد يبدأ بإدراة المرحلة الانتقالية. لأن أي حديث عن وقف إطلاق الناركان سينتهي بالفشل بسبب عدم زوال المسببات في وجود طرفين متصارعين . وقد أثبتت صواب تلك الفكرة تجارب وقف إطلاق النار التي حصلت أثناء وجود فريق المراقبين وبعيد إعلان نقاط كوفي عنان الستة..

ومع هذا فقد وافق وفد المعارضة على نقاش بندَي العنف والإرهاب فيما لم يوافق النظام على نقاش موضوع تشكيل هيئة الحكم الانتقالي.

وفي اليوم المحدد لنقاش بند العنف والإرهاب ، تقدمتُ باسم الوفد بمذكرة مرفقة بثبوتيات توثق انتهاكات النظام والعنف الممارس من قبله كنت قد أعددتها في اليوم السابق وتم نقاشها وإقرارها من قبل الفريق والمستشارين مذكرة سببت توتراً وانفعالاً لدى وفد النظام والجعفري .

المذكرة:

"قتل النظام السوري منذ بدء المفاوضات وانعقاد مؤتمر جينيف 1805 من السوريين, منهم 834 شخصاً في حلب وحدها مستخدماً خلالها ما يزيد عن 130 برميل متفجر وذلك خلال الحملة المسعورة التي قام بها تصعيدياً مستخدماً البراميل المتفجرة في حلب وداريا. وغيرها في الاماكن الأخرى.

(نرفق لكم قائمة بأسمائهم وثيقة رقم 1) بين هؤلاء الضحايا نساء وأطفال قضوا وتفجرت أشلاؤهم في نفس الوقت الذي يشارك فيه النظام بوفد رسمي من أجل الوصول إلى حل سياسي.

في الوثيقة رقم 5 صورة ما تبقى من أم وطفل ،يد الأم تمسك بيد ابنها محاولة الفرار من الموت القادم من السماء بينما نحن مجتمعين في جينيف ، الأم والابن صعدا الى السماء حيت مزقت جسديهما المواد المتفجرة القادمة مع براميل الموت في حلب وبقيت اليدان على الأرض تعلنان للعالم أن هذا النظام خلع كل الأقنعة وهو يقتل علناً دون أي خجل الأطفال والأمهات..

ويتحدث هذا النظام ذاته عن وقف العنف والإرهاب باعتباره أولويه خلال جولاته التفاوضية متناسياً ما يقوم به من إرهاب وجرائم وحشية بينما يجلس أصحاب الياقات البيضاء من ممثليه في مؤتمر دولي لإحلال السلام.

لقد استخدم النظام ومنذ بدء الجولة الأولى للمفاوضات في جنيف البراميل المتفجرة والقصف الصاروخي والمدفعي بشكل كثيف في حلب وداريا وهذا أدى الى تهجير الآلاف وتدمير مساحات واسعة من المساكن إضافة إلى مئات الضحايا والجرحى.

ستثبت هذه المذكرة التي أعدت بالاستناد إلى تقارير منظمات حيادية ذات سمعة حقوقية رفيعة أن النظام السوري متورط بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان فيما يشكل دليلاً دامغاً على أنه الجهة المسؤولة عن العنف في سوريا وتؤكد على وجوب إيقاف تلك الأعمال بشكل عاجل وفوري.

استخدم النظام أسلوب الهدم وتدمير المباني للمدنيين وقد وثقت هيومن رايتس ووتش في تقريرها الذي نشرته مع بداية جولة المفاوضات الأولى تقريراً مؤلفاً من 38 صفحة (الوثيقه رقم 2) أثبتت فيه عبر صور الأقمار الصناعية، وشهادات الشهود، والأدلة المستمدة من مقاطع فيديو وصور فوتوغرافية، أن السلطات السورية قامت عمداً ودون وجه حق بهدم الآلاف من المباني السكنية في دمشق وحماة في عامي 2012 و2013. وطالت عمليات الهدم أحياء سكنية كاملة في سوريا وذلك عبر

هدم واسع النطاق بالمتفجرات والجرافات. واعتبر التقرير هذه العمليات انتهاكاً لقوانين الحرب، لأنها لم تكن تخدم أي غرض عسكري ضروري مظهراً أنها بدت وكأنها تعاقب السكان المدنيين عن عَمْد، و تسببت في أضرار كبيرة للمدنيين، حيث قال أوليه سولفانغ، الباحث في هيومن رايتس ووتش: "إن محو أحياء بأسرها من على الخريطة ليس من أساليب الحرب المشروعة، ويقول إن عمليات الهدم غير المشروع هذه هي أحدث إضافة إلى قائمة طويلة من الجرائم التي ارتكبتها الحكومة السورية". كما أكدت هيومن رايتس ووتش أن على الحكومة السورية، كجزء من مفاوضات جنيف 2، أن تتعهد بوضع حد فوري لعمليات الهدم التي تخالف القانون الدولي، وأن تعوّض الضحايا وتوفّر سكناً بديلاً لهم، وعلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أن يحيل الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية .

وقعت الحالات التي وثقتها هيومن رايتس ووتش في تقريرها المشار إليه بين يوليو/تموز 2012 ويوليو/تموز 2013 في المناطق التالية: منطقتي مشاع الأربعين ووادي الجوز في حماة، ومناطق القابون، والتضامن، وبرزة، ومطار المزة العسكري، وحران العواميد في دمشق وبالقرب منها حيث تقدر المساحة الإجمالية للمباني المهدومة، استناداً إلى تحليل صور القمر الصناعي، بما لا يقل عن 145 هكتاراً .وهي مساحة تعادل نحو 200 من ملاعب كرة القدم. وكان الكثير من المباني المهدومة عمارات سكنية مكونة من عدة طوابق، وصل بعضها إلى ثمانية. وفقدت آلاف العائلات مساكنها نتيجة لعمليات الهدم هذه. أما المناطق المتضررة فكانت جميعها مناطق مدنية سكنية ونقل التقرير الذي أصدرته المنظمة عن الباحث أولي سولفانغ قوله إن القوات الحكومية في حلب تقتل الرجال والنساء والأطفال من دون تمييز. وأضاف التقرير أن "سلاح الجو السوري إما غير كفؤ إلى حد الإجرام ولا يكترث لقتل أعداد كبيرة من المدنيين، وإما يتعمد استهداف المناطق التي يتواجد فيها المدنيون."

كما وثقت منظمة العفو الدولية والهيومن رايتس ووتش (وثيقة رقم 11) واللجنة الدولية المستقلة بخصوص سوريا استخدام النظام للقنابل العنقودية والصواريخ البالستيه والبراميل المتفجرة بالإضافة للقنص والذبح والتعذيب والإعدام خارج نطاق المحاكمات وأثبتت تورطه بجرائم حرب كما أثبتت تورطه في جرائم ضد الإنسانية تورطاً يشمل أعلى المستويات في النظام السوري .

كما لا يمكن إغفال استخدام النظام للسلاح الكيماوي ضد المدنيين والذي أدى إلى صدور القرار 2118 عن مجلس الأمن والذي يقضي بنزع السلاح الكيماوي من النظام السوري وتشكيل هيئة الحكم الانتقالي من أجل بدء العملية الانتقالية وتنفيذ الإجراءات الضرورية لإحلال السلام في سوريا عبر تنفيذ بيان جنيف.

وشملت كل التقارير الصادرة عن المنظمات الحقوقية الدولية ذات الصلة منذ بدء الثورة في سوريا إدانات واضحة وتوصيف دقيق لارتكاب النظام لجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية وانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان .

وقد خلصت اللجنة الدولية المستقلة التي تشكلت في آب 2011 للتحقيق في انتهاكات القانون الإنساني الدولي في سوريا في تقريريها الصادريْن في 28 نوفمبر/ تشرين الثاني 2011 ، و22 فبراير/ شباط 2012 وثيقتين رقم (3) إلى أنه جرى بالفعل ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في سوريا بعلم "السلطات على أعلى المستويات في الدولة وبموافقتها على ما يبدو". وبذلك، يكون التقريران وافقا وأكدا ما خلصت إليه منظمة العفو الدولية في تقريرها السابق بتاريخ 29 أبريل/ نيسان 2011 وثيقة رقم (4) في بداية الثورة السلمية من أن "الانتهاكات الحقوقية التي ارتكبتها السلطات السورية قد شملت جرائم قتل وتعذيب، فيما بدا أنها ممارسة تأتي كجزء من هجمات منهجية واسعة الانتشار ضد السكان المدنيين. وعليه، فإن مثل تلك الانتهاكات ترقى إلى مصاف الجرائم ضد الإنسانية".

في تقريرها الصادر في يوليو/ تموز 2011 وثيقة رقم (5)، توصلت العفو الدولية الى استنتاج يفيد" بأن الانتهاكات الحقوقية التي ارتُكبت في سوريا ترقى إلى مصاف الجرائم ضد الإنسانية إذا ما وُضعت في سياق الجرائم والانتهاكات الحقوقية الأخرى في كافة أنحاء سوريا."

لقد حفل تاريخ النظام السوري منذ استيلاء الأسد الأب على السلطة ومن ثم الابن انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان وشمل سجله ارتكاب جرائم ضد الإنسانية وامتلأت التقارير الصادرة عن المنظمات الحقوقية توثيقاً لتلك الممارسات المنهجية التي رافقت هذا النظام في وجه أي محاولات للاعتراض والمعارضة واي تحرك لصالح المجتمع المدني والتعددية السياسية وحرية الرأي والتعبير.

وفي السبعينات اضطر مئات الآلاف من سكان منطقة الجزيرة من السريان الاشوريين إلى الهجرة خارج الوطن نتيجة ممارسات النظام تحت شعار المشاريع التنموية كما مورست بحق كل المكونات الأخرى انتهاكات لا توصف وسلباً للحقوق.

أدرجت منظمة العفو الدولية في تقرير صادر لها عام 1987 في عهد حافظ الأسد بعنوان "سوريا: التعذيب على أيدي الأجهزة الأمنية" 38 نوعاً وضرباً من أساليب التعذيب مارسها النظام السوري منذ الثمانينات وأبرزت ألوانه وأصنافه التي وردت تقارير بشأنها إلى المنظمة "لقد كان ذلك العقد على وجه التعيين عقداً أسود بالنسبة لحقوق الإنسان في سوريا، حيث انتشرت خلاله عمليات الإعدام خارج أطر القضاء أو القانون، وحالات الاختفاء القسري". وهو حَرْفياً ما عادت المنظمة لتأكيده كمعلومة ضمن معلومات أخرى كانت قد وثقتها عن انتهاكات النظام السوري في تقريرها

الصادر في عام 2012 (بعنوان أردت أن أموت ضحايا التعذيب في سوريا يتحدثون عن محنتهم) وثيقة رقم 6.

ولا يمكن أبداً حين نأتي على ذكر تلك المرحلة وما تلاها نسيان آلاف المعتقلين الذين سجنوا دون محاكمات طوال عهد الأسد الأب ولا المجازر التي أدت الى وفاة عشرات الالاف في حماه وغيرها.

لم يكن حكم بشار الاسد أفضل حالاً حيث بدأ عهده في عام 2000 بمجزرة طالت العشرات من أبناء محافظة السويداء من الأقلية الدرزية اثر احتجاجات شعبية على السياسات المحلية التي مارستها الدولة واجهها النظام السوري بالجيش والأجهزة الأمنية وهذا ما أدى أيضاً إلى اعتقال وجرح المئات من أبناء السويداء.

لقد وثقت منظمة العفو الدولية استمرار النظام بنهجه القمعي في عهد بشار الأسد حيث ذكر تقريرها الصادر عام 2005 بعنوان :

"سوريا: وضع الأكراد في الجمهورية العربية السورية، استمرار ممارسات التعذيب الخيار الذي غالباً ما آثرت الأجهزة الأمنية إلى اللجوء إليه كلما واجهت تظاهرات جماهيرية أو قلاقل كتلك التي اندلعت بين أفراد الأقلية الكردية في مارس/ آذار من عام 2004 . وتحدثت التقارير حينها عن اعتقال ما يربو على ألفيّ شخص، تعرض جُلُّهم للتعذيب،

في التقرير الذي أصدرته منظمة العفو الدولية في أكتوبر/ تشرين الأول 2011 بعنوان "الأزمة الصحية الحكومة السورية وثيقة رقم (7) تم ذكر وتوثيق استهداف النظام للجرحى والعاملين في قطاع الرعاية الصحية" كما وثق أيضاً كيف تتم مواجهة أفراد الطواقم الطبية الذين آثروا تحدي الحكومة لمخاطر التعرض للاعتقال، والحجز بمعزل عن العالم الخارجي، والتعذيب وغيره من ضروب سوء المعاملة، وصنوف أخرى من الاضطهاد والمقاضاة على محاولاتهم القيام بالوفاء بالتزاماتهم المهنية التي تقتضي وضع صحة مرضاهم وسلامتهم فوق كل اعتبار.

في سبتمبر/أيلول 2012 صدر تقرير عن منظمة العفو الدولية "الهجمات العشوائية تقتل المدنيين " وثيقة رقم (8)

يثبت بشكل موثق" تعرض مناطق المدنيين لقصف قوات النظام ويثبت قتل النساء والأطفال اثر تلك الهجمات كما يثبت أن الهجمات الجوية التي يقوم بها النظام لم تكن تستهدف بالضرورة أماكن وجود مسلحي المعارضة " يقول التقرير:

"لم تقع مواجهات مسلحة أو أنشطة من هذا القبيل من طرف مقاتلي المعارضة طيلة فترة وقوع الهجمات التي يعكف التقرير الحالي على توثيقها. كما أن المواقع التي ضُربت أثناء تلك الهجمات لم تكن تحتوي على أي أهداف عسكرية وقت وقوع الهجمات التي كانت عشوائية الطابع، وذلك بالحكم على طبيعة الذخائر المستعملة والطريقة التي استُعملت بها في حينه. إن الطريقة العبثية التي طغت على طابع تلك الضربات كونها لم تكن تستهدف المقاتلين أو الأهداف العسكرية، لتوحي بأن الهدف من وراء العمليات ربما يكون معاقبة سكان البلدات والقرى التي أصبحت خاضعة الآن لسيطرة الأمر الواقع لقوات المعارضة على دعمهم المزعوم للمعارضة".

ويتابع التقرير: " لقد كانت بعثة منظمة العفو الدولية شاهد عيان على عمليات القصف الجوي والمدفعي العشوائية اليومية على البلدات والقرى في مختلف أنحاء المنطقة، حيث تسببت بعض تلك الهجمات بقتل المدنيين أو إصابتهم بجروح.

صدر تقرير عن منظمة العفو الدولية بعنوان سورية: قنابل النظام تنهمر على المدنيين دون تمييز بتاريخ 14 -3-2013 وثيقة رقم (9) يقول التقرير: "ما انفك المدنيون يقومون بدور المتلقي مع تكرار الاعتداءات العشوائية التي ترتكبها بحقهم قوات الحكومة السورية على نحو متزايد. إذ تفتك الأسلحة غير دقيقة التصويب المصممة للاستخدام في أرض المعركة بأعداد متزايدة من المدنيين قتلاً وتشويهاً ونزوحاً – ويشكل الأطفال غالبية أولئك المدنيين المتضررين. وتتعرض المناطق السكنية المدنية والبلدات والقرى للقصف الجوي والمدفعي بقنابل تفتقر إلى التوجيه، إضافة إلى الصواريخ العادية والبالستية بعيدة المدى (ذاتية الدفع) التي لا يمكن توجيهها بحيث تصيب أهدافاً محددة بعينها، ولا تميّز بين الأهداف العسكرية والأعيان المدنية، ناهيك عن استخدام القنابل العنقودية المحرمة دولياً، والتي تُقصف بها تلك المناطق بشكل يومي ينمّ عن تجاهل أهم المبادئ الأساسية الواردة في القانون الإنساني الدولي. كما تستمر قوات النظام في ارتكاب انتهاكات خطيرة أخرى، وخصوصاً جرائم الحرب، إذ تلجأ تلك القوات إلى احتجاز الرجال والصبية تعسفاً، وتعذيبهم وتعريضهم للاختفاء القسري، وإعدامهم خارج نطاق القضاء، وذلك لمجرد الاشتباه بتأييدهم لجماعات المعارضة المسلحة التي تقاتل ضد الدولة، أو لاتهامهم بمعارضة نظام الرئيس بشار الأسد سياسياً. . وتظهر النتائج التي توصلت المنظمة إليها حصول زيادة مطردة في الأشهر الأخيرة في تكرار تلك الهجمات وحجمها – وهي تشكل جرائم حرب – الأمر الذي عاد بتبعات كارثية على السكان المدنيين".

"لقد كانت الهجمات عشوائية الطابع جراء نوع الأسلحة والذخائر المستخدمة فيها، والتي تفتقر إلى دقة إصابة الهدف بحكم تصميمها. وحتى مع التماس أي عذر لقوات النظام، وعلى افتراض أنها كانت تعتقد بوجود أهداف عسكرية في المناطق لحظة شن الهجمات، يوحي الاستخدام المنتظم والمتكرر

لأسلحة غير مناسبة ومصممة لأرض المعركة في مناطق سكنية، بالإضافة إلى الأسلحة العشوائية التوجيه، أن الكثير من المدنيين قد قُتلوا أو جرحوا بشكل غير مشروع، وأنه جرى تدمير الأعيان المدنية أو إلحاق أضرار جسيمة بها دون وجه حق. وتظهر مثل هذه الهجمات وغيرها من الحوادث التي جرى توثيقها في الشهور الأخيرة نمطاً تقوم قوات الحكومة من خلاله باستهداف البلدات والقرى الخاضعة لسيطرة جماعات المعارضة المسلحة، مما يتسبب بمقتل وجرح المدنيين لا على التعيين. وفي العديد من مثل هذه الحالات، نفذت قوات الحكومة هجمات استهدفت المدنيين والأعيان المدنية مباشرة – وهو ما يشكل أحد أخطر أشكال الانتهاكات والخروقات للقانون الإنساني الدولي"

يؤكد التقرير دأب الحكومة السورية على استهداف المدنيين منذ بداية حركة الاحتجاجات التي انطلقت في آذار 2011 ويؤكد أيضاً أن تلك الهجمات تقبع في صميم سياسة النظام فيما يتعلق بالتعامل مع الاحتجاجات التي بدأت كاحتجاجات سلمية. وفي بادئ الأمر، و أن قوات الأمن والميليشيات المسلحة التابعة للنظام، والمعروفة باسم "الشبيحة"، عمدت الى إطلاق رشقات من الرصاص بشكل عشوائي على جموع المحتجين السلميين، مما تسبب بمقتل وجرح المتظاهرين والمارة على حد سواء .

كما تؤكد المنظمة في نفس التقرير" تعرض المحتجون ومؤيدوهم للمطاردة، وقُتل البعض منهم فيما اعتُقل الآخرون، قبل أن تبتلعهم الثقوب السوداء الموجودة في سجون ومراكز احتجاز تديرها الدولة، وينتشر فيها التعذيب وغيره من ضروب سوء المعاملة. ولم يُكتب للمئات منهم الخروج من تلك الثقوب السوداء على قيد الحياة."

كما وثق أعضاء منظمة العفو الدولية مشاهداتهم أثناء وجودهم في المناطق التي تم قصفها من قبل النظام باستخدام الأسلحة العنقودية المحرمة دولياً والقنابل روسية الصنع بل ويحدد أنواعها بدقة يقول التقرير: "عندما قامت إحدى أعضاء وفد منظمة العفو الدولية بزيارة الموقع بعد ساعتين من وقوع الهجوم، وجدت تسع قنابل روسية الصنع من طراز (آربي كي) – ملقاة على بعد مترواحد من عتبة أحد المنازل في المساكن، ووجدت ثلاث أخريات في حديقة صغيرة بين المباني، وأخرى على سطح إحدى البنايات، واثنتين في منطقة فارغة بين بنايتين، وواحدة أخرى في أحد الأزقة. كما وجدت العشرات من عيار 2.5 ملم التي تُوجد في القنابل العنقودية، منتشرةً على الرصيف PTAB القنابل (الذخائر الفرعية) غير المنفجرة في الأزقة والحدائق الواقعة بين المباني، وعلى أسطحها. كما اخترقت بعض القنابل المميتة جدران بعض المباني، وانفجرت داخل المنازل، فيما ملأت الثقوب الناجمة عن الشظايا المنفجرة جدران الكثير من المباني الأخرى. كما وُجد على الأرصفة والأزقة المنتشرة بين المباني

برك من الدماء وأشلاء بشرية تعود لسكان المنطقة الذين لقوا حتفهم أو جُرحوا في القصف. ولقد هَمَّ البعض بالفرار من المنطقة خوفاً وفَزَعاً من وقوع هجمات أخرى"

في القانون الدولي الإنساني وما أبرزته تقارير منظمة العفو الدولية واستندت إليه في تقاريرها السابقة من إدانة للنظام : " نص القانون الدولي الإنساني على أن تقاعس أحد طرفي النزاع عن فصل مقاتليه عن المدنيين والأعيان المدنية لا يعفي الخصم الآخر من الالتزام المترتب عليه طبقاً لأحكام القانون الإنساني الدولي، والقاضي بتوجيه هجماته نحو المقاتلين والأعيان العسكرية فقط، واتخاذ جميع التدابير حيث ينطوي القانون الإنساني الدولي على مبدأ أساسي يقتضي إلزامية حرص طرفي النزاع على التمييز بين المدنيين (والأعيان المدنية)، والمقاتلين (والأعيان العسكرية)، ويقول القانون الدولي انه في حالة بروز شكوك يصعب معها الجزم بهوية الأعيان أو الأشخاص بين مدني وعسكري، فينبغي افتراض الصبغة المدنية للأفراد والأعيان (وحصانتهم بالتالي من استهدافهم بالهجمات).

كما يحظر القانون الدولي استهداف المدنيين غير الضالعين في الأعمال العدائية، ويعتبر ذلك من قبيل جرائم الحرب، وهو ما ينسحب أيضاً على شن الهجمات العشوائية (التي لا تميز بين الأهداف المدنية والعسكرية)، والهجوم غير المتناسب (الذي يُتوقع منه أن يلحق أضراراً عرضية بالمدنيين، وبشكل يكون غير متناسب مع الأفضلية الملموسة والعسكرية التي يُتوخى تحقيقها جراء الهجوم). كما يثبت التقرير تورط النظام بارتكابه جرائم حرب فيقول إن انتشار استخدام قوات النظام للأسلحة المصممة لأرض المعركة، والتي تتميز باتساع قطر دائرة الدمار الذي تتسبب به، وتنطوي على هامش خطأ كبير، أو تلك التي لا يمكن توجيهها نحو أهداف بعينها، وكذلك استخدام القنابل العنقودية المحرمة دولياً وذلك في المناطق الآهلة بالسكان، قد أدى في مجمله إلى وقوع خسائر كبيرة في الأرواح بين صفوف المدنيين. وأما الهجمات – كتلك التي يوثقها التقرير الحالي – والتي تشنها قوات الحكومة مع علمها مسبقاً أنها سوف توقع خسائر فادحة في صفوف المدنيين، وتلحق دماراً واسعاً بالأعيان المدنية، فتشكل انتهاكاً صارخاً للحظر المفروض على اللجوء إلى الهجمات العشوائية، وتمثل إحدى جرائم الحرب. كما يشكل القصف الجوي والمدفعي للمناطق السكنية الخالية من مقاتلي المعارضة جرائم حرب بوصفها هجمات تستهدف المدنيين بشكل مباشر.

ويذكر تقرير الامنستي أنه وفر أدلة حديثة العهد على انتشار الجرائم التي تخالف القانون الإنساني الدولي على نحو منتظم، والتي ما انفكت تُرْتَكب بوتيرة متصاعدة كجزء من سياسات الدولة. ويظهر أن تلك الجرائم تُرْتَكب بهدف ترهيب المجتمعات المحلية في المناطق الواقعة تحت سيطرة جماعات المعارضة المسلحة، ومعاقبتها عقاباً جماعياً – نظراً للاشتباه بمساندتها للمعارضة المسلحة لا لشيء

قامت به سوى لمجرد أن أفرادها ظلوا قاطنين في تلك المناطق حتى بعد استيلاء جماعات المعارضة المسلحة الناشطة داخل البلاد عليها.

التعذيب داخل السجون:

وثقت المنظمات الحقوقية الدولية عدداً من وسائل التعذيب التي تستخدم داخل سجون النظام والتي أدت إلى قتل الآلاف تحت التعذيب آخر من عرفنا عنهم وفاة ابن المعارض وعضو الائتلاف فايز سارة حيث توفي وسام تحت التعذيب في فرع الأمن العسكري بعد شهرين من اعتقاله أثناء انعقاد مؤتمر جينيف.

وحين نقول إن إنساناً استشهد تحت التعذيب يجب أن يكون لدينا قدرة كافية لتخيل أصناف العذاب التي ذاقها الشهيد قبل أن يسلم الروح لبارئها .. وحتى نقدم بعض المعونة في إتاحة المجال لتخيل حجم الألم المرافق لرحلة العذاب المرافقة للمعتقل حتى وفاته كون العقل الطبيعي عاجزاً عن تخيل كل أصناف العذاب التي يستخدمها النظام.

وسنذكر فقط ما تم توثيقه من قبل منظمة العفو الدولية في تقريرها الصادر عام 2012 تحت عنوان : "أردت أن أموت ضحايا التعذيب في سوريا" يتحدثون عن محنتهم حيث وثق 31 صنفاً من أنواع التعذيب استخدمها النظام خلال الثورة مع المعتقلين:

"الضرب على كافة مناطق الجسد، بما في ذلك توجيه اللكمات، والصفع أو الركل، وذلك إما باستخدام قبضة اليد أو بالقدمين أو العصي والهراوات والأسلاك المجدلة والسياط وأعقاب البنادق , شد الشعر أو انتزاعه من منابته؛ الحرق بأعقاب السجائر؛ نهش لحم الجسد بالكماشات؛ وضعية الدولاب، حيث يُجبر الضحايا على اتخاذ شكل متكور يحاكي عجلات السيارة، مع تعليقهم بشكل متدلٍّ على الأغلب مع ما يرافق ذلك من الضرب؛ الفلقة، أو الضرب على أخمص القدمين؛ بساط الريح، حيث تُقيد الضحية على لوح خشبي قابل للطي بحيث يمكن متى ما تم تحريك طرفيه باتجاه بعضهما البعض أن يتسببا بألم كبير لمنطقة أسفل ظهر الضحية، مع استمرار الضرب في تلك الأثناء ، الشبح، حيث يُعلق الضحايا مكبلي الأيدي ، أو من خطاف متدلٍّ أو على إطار الباب أو حتى من القدمين في أغلب الأحوال، ولساعات طويلة مع تعرضهم للضرب في الأثناء، الصلب – شكل آخر من أشكال التعذيب بالتعليق حيث تُربط الضحية بالجدار مع مد ذراعيها فيما يشبه وضعية الصلب، وضعية الإجهاد، حيث يُجبر المرء على الوقوف على رؤوس أصابع القدمين لفترات طويلة دون انقطاع، التعرض للبرد الشديد، وذلك بترك المعتقلين في العراء وهم بملابسهم الداخلية، أو مجرد إجبارهم على البقاء خارجاً ساعات طويلة جداً، التعرض للعنف الجنسي، إكراه المرء على مشاهدة اغتصاب

أحد المعتقلين الآخرين، مشاهدة حالات تعذيب المعتقلين الآخرين أو سماع أصواتهم تحت التعذيب، وبخاصة أصدقاء المعتقلين وأفراد عائلاتهم، ومشاهدة مقتل ضحايا التعذيب، صعق أعضاء معينة في الجسم باستخدام قطب كهربائي (مهماز) وغيره من الأدوات اليدوية، صعق الجسم بالكهرباء من خلال تفريغ التيار الكهربائي في أرضية مبتلة أثناء وقوف الضحية عليها، الكرسي الكهربائي: وهو كرسي معدني مزود بما يشبه الخوذة، يُربط الضحية فيه ومن ثم يُوصل بالتيار الكهربائي الكرسي الألماني: يُقيد الضحية بكرسي معدني، يمكن إرجاع ظهره إلى الخلف مما يؤدي إلى خلق ضغط رهيب على العمود الفقري والرقبة والأطراف، التهديد باغتصاب الضحية، تهديد الضحايا باحتمال احتجاز أقربائهم، أو اغتصابهم أو تعذيبهم بأي شكل من الأشكال التهديد بإعدام الضحية، تدنيس معتقدات الضحية الدينية والتهجم عليها؛ إهانة الضحايا باستخدام الألفاظ النابية، والشتائم أو إجبارهم على خلع ملابسهم أمام الآخرين، طعن الضحايا أو التسبب بجروح قطعية لهم، وضع مادة منفرة في الفم عنوةً، الحرمان من الحصول على الرعاية الطبية الكافية، حرمان الضحية من استنشاق الهواء النقي، أو استعمال دورات المياه، أو المغاسل، احتجاز المعتقلين في ظل ظروف من الاكتظاظ الشديد في الزنازين، الحبس الانفرادي لفترات طويلة جداً، التواجد في زنزانة مع معتقل يُحتضر، والذي ما يلبث أن يفارق الحياة، نظراً لعدم حصوله على بالعلاج الطبي المناسب، الحبس الانفرادي في زنزانة يوجد فيها ما يُعتقد أنها جثة أحدهم.

وقد أوصى التقرير مجلس الأمن وكخطوة ملحة إحالة ملف الأوضاع في سورية إلى مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية. ومن شأن مثل هذه الخطوة متى ما تمت أن توضح لجميع الأطراف الذين ينفذون أو يأمرون بتنفيذ جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، سوف يُحاسبون على ما يرتكبونه من أفعال، لقد ارتكب النظام عدداً كبيراً من المجازر وثقتها الهيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية طوال الأعوام الثلاثة المرافقة للثورة منها مجزرة بابا عمرو والبيضا ونهر قويق والقصير وعقربا والحولة والحجر الأسود وجرابلس والباب وكثير من المناطق الأخرى.

علماً أن البيان الصادر عن الاسكوا في بيروت، 21 كانون الثاني/يناير 2014 يشير الى أن آخر التقديرات تقول:

اقتباس (إن استمرار هذه الأزمة يعني فيما يعني أن 6000 شخص سيموتون كل شهر .

و أن سوريا تخسر عشرة ملايين ليرة سورية في كل دقيقة.

وأن 300 شخص يهجّرون من بيوتهم كل ساعة.

وأن 9000 شخص يصبحون تحت خط الفقر الأدنى و2500 شخص يفقدون القدرة على تأمين قوتهم كل يوم .

وأن 10000 شخص يخسرون عملهم كل أسبوع. ومع كل سنة تستمر فيها الأزمة تتراجع سوريا ثماني سنوات إلى الخلف في جميع المؤشرات الاقتصادية والتنموية.) انتهى الاقتباس.

إن كل ما ورد أعلاه يؤكد ... أن النظام لن يكون إيجابياً وجدياً في وقف العنف المسؤول عنه بالدرجة الأولى ولذلك... فإن تشكيل هيئة الحكم الانتقالية يشكل الآليه المطلوبة لتنفيذ بيان جينيف 1 بكل النقاط الواردة فيه بما فيها وقف العنف.

يتحمل النظام السوري المسؤولية عن كل ما عاناه المدنيون والسوريون عموماً حين اختار الحل الأمني القمعي لإنهاء الاحتجاجات والثورة التي خرجت بعد عقود من حكم الأسدين ضمن نظام استبدادي و مخابراتي كنتيجة طبيعية لسياسة القمع والإذلال التي اتبعت بطريقه ممنهجة ضد الشعب السوري الذي خرج طالباً للحرية والكرامة ليقابله النظام بالرصاص والقتل والتعذيب واتباع سياسة الاسد أو نحرق البلد ، البلد الذي سيكون حراً ولو بعد حين وطناً سورياً حر لكل أبنائه وبناته يتمتعون فيه بالحرية والكرامة والمواطنة دون أي تمييز على أي أساس كان .

ريما فليحان	هادي البحرة
مسؤولة ملف حقوق الانسان	كبير المفاوضين
في وفد المعارضة المفاوض	في وفد المعارضة المفاوض

ورد الجعفري على المذكرة بتوتر وعصبية وقال " لا يمكن أن تكون السيدة ريما فليحان ابنة الجبل الأشم أو أن تجري في عروقها دماء سورية"

"كل من تم تصديرهم في الثورات كان مصيرهم القتل أو التشرد بعيداً عن وطنهم وكل تلك المنظمات التي تستشهد بها عميلة لأجهزة المخابرات وليست لها أية مصداقية"

واكب المؤتمر نشاط إعلامي كثيف واتبع وفد النظام أسلوباً عنيفاً في التصريحات الإعلامية والسلوك أيضاً بينما تجاوب وفد المعارضة مع الصحفيين بغض النظر عن المؤسسات التي يمثلونها وتفاعل مع الإعلام بشكل إيجابي بالرغم من كثير من الهفوات التي وقعنا بها..

قام النظام بمصادرة أملاكنا داخل سوريا ، واعتبارنا كإرهابيين ككثير من المعارضين الذين حولت ملفاتهم إلى محكمة الإرهاب التي أنشأها النظام للتنكيل و سجن السوريين. كما قام باعتقال شقيق أحد أعضاء الوفد السيد محمد صبرة وتلقينا أثناء وجودنا بالمفاوضات نبأ استشهاد نجل زميلنا عضو الائتلاف المعارض فايز سارة تحت التعذيب..

هكذا كان ينظر النظام السوري إلى من يعارضه وهكذا كان يتعامل معهم!

وعلى هامش المفاوضات وقبيل انعقادها نشطت مجموعات نسوية بالتعاون مع مكتب المرأة في الأمم المتحدة وقمنا بتشكيل المبادرة النسوية التي تسعى لمشاركة المرأة السورية في صنع السلام وصنع القرار. انتخبت المجموعة المشكلة من عشرات النساء السوريات بين الداخل والخارج لجنة تنسيق كان لها حراك كبير ومؤثر وبشكل موازٍ للمفاوضات لدعم تحقيق الحل السياسي وحث الطرفين والمجتمع الدولي على تحقيق بيان جينيف والسلم في سوريا..

امتاز أداء كبير المفاوضين هادي البحرة بالتركيز العالي وبرودة الأعصاب والقدرة على ضبط النفس كما كانت هناك حالة من التناغم داخل الفريق انعكست على الأداء إيجاباً.

تضمنت المفاوضات جولتين لم تحققا أي تقدم ملموس وأعلن الإبراهيمي فشل تلك المفاوضات محملاً النظام المسؤولية الكبرى عن ذلك..

"<u>خيبة أمل و الاستقالة من الائتلاف</u>"

لم يكن فشل جنيف حدثاً عابراً لأنه كان يحمل نتيجة تقول إن الحرب ستضرب أوزارها لزمن غير معلوم وإن آفاق حل سياسي باتت شبه معدومة..

لم تعد المعارك المفتوحة على الأرض سوى تكراراً لحالات التقدم والانسحاب التكتيكي. ضمن وعود كاذبة من المجتمع الدولي لتغيير الواقع على الأرض دون أن يكون للائتلاف قدرة حقيقية على التحكم في المسار والتأثير فيما يحصل على الأرض..

ووُضعت المعارضة السورية في مكان لا تحسد عليه حيث تتحمل أمام الشعب السوري المسؤولية التاريخية عن ما لا تقوى على تغييره أو التحكم في مساره..

أصابت المعارضة أمراض كثيرة كان منها التجاذب والانقسام والعداء وساهم المجتمع الدولي في تعقيد عملها عبر عدم الالتزام وعدم الوفاء بالوعود وعدم تمكينها من أدوات نجاحها.

وطني دُمِّرَ وشُرِّدَ أبناؤه ضمن عجز عن التغيير وتقديم المزيد.. وطني يحترق دون أن يكون لدينا القدرة على إطفاء تلك النيران...

دُمِّرَت البيوت والساحات وسُرِقت الآثار ولاحق الجوع والبرد أوصال أبنائه ضمن عجز دولي أو تآمر إن جاز التعبير على إيجاد الحل للسوريين وبدأ النظام يستغل حاجات السوريين من أجل جرهم إلى هدن ومصالحات إذعان ضمن عجز المعارضة عن تقديم الحلول. وقام النظام بإجراء انتخابات هزلية لإعطاء الأسد شرعية وهمية لسبع سنوات إضافية فيما يعني الضربة القاضية للمفاوضات أو الأمل في عودتها.

خارج الائتلاف وبين قوى الثورة لم يكن الحال أفضل من ذلك فجو المهاترات والتنافر كان يسيطر على المشهد. وباتت يوميات السوريين مليئة بالإشاعات وخطاب الكراهية وولدت يومياً عشرات الصفحات التي تحمل طابع التشهير والتخوين وبث الأكاذيب. كما ولدت الصراعات بين القوى العسكرية على الأرض.. ولم أكن أعلم فعلاً من هو المحرك لكل تلك القوى على الخريطة..

كان هناك عشرات الاسئلة التي تبدأ بمتى ؟ ولا تنتهي بـ إلى أين ؟ والتي لم أجد لها أجوبة فيما رافق ذلك من غضب داخلي على وضع الائتلاف المليء بالمشاحنات والتجاذبات والتنافر والحروب التافهة واستلاب القدرة على إحداث خرق وعدم امتلاك زمام القرار الوطني ضمن حالة الاستعصاء المسيطرة على الزمن وعدم القدرة على إيجاد الحلول لمشاكل السوريين الصغيرة والكبيرة في وقت كان الأحرى بالجميع أن يكونوا يداً واحدة ..

جو من الكراهية وانعدام الثقة لم أعد قادرة على احتماله أكثر في ظل شعوري بالعجز على تقديم المزيد..

نعم لقد استقلت ..

"<u>رسالة إلى وطني</u>"

تعب يفترس أحلامي كما يفترس أحلام السوريين وشوق إلى وطني المسلوب الذي حرمنا منه نظام مجرم وسياسة دولية لم تعد مفهومة المقاصد ولا الغايات..

وبين المطرقة والسندان تُسْحَنُ آمال السوريين في استعادة وطن مكلل بالحرية التي حلموا بها .. حلم تآمر الكثيرون على تحويله إلى كابوس..

ويبقى لنا متسع من أمل ودرب طويل من المشاق يحرق أقدامنا ويستهلك الأنفاس عسانا نعود هناك إلى بلادنا الغائبة قسراً الحاضرة في الوجدان والذاكرة.

أعدك يا دمشق بأننا سنقبل الياسمين وحبات التراب .. وسنعانق الأشجاروعتبات البيوت الفارغة انتظرينا فإنا عائدون ولو طال الزمان وانحنت الهامات.